

دكتور محمد صالح محمد السيد
كلية الآداب - جامعة المنيا

أصالة علم الكلام

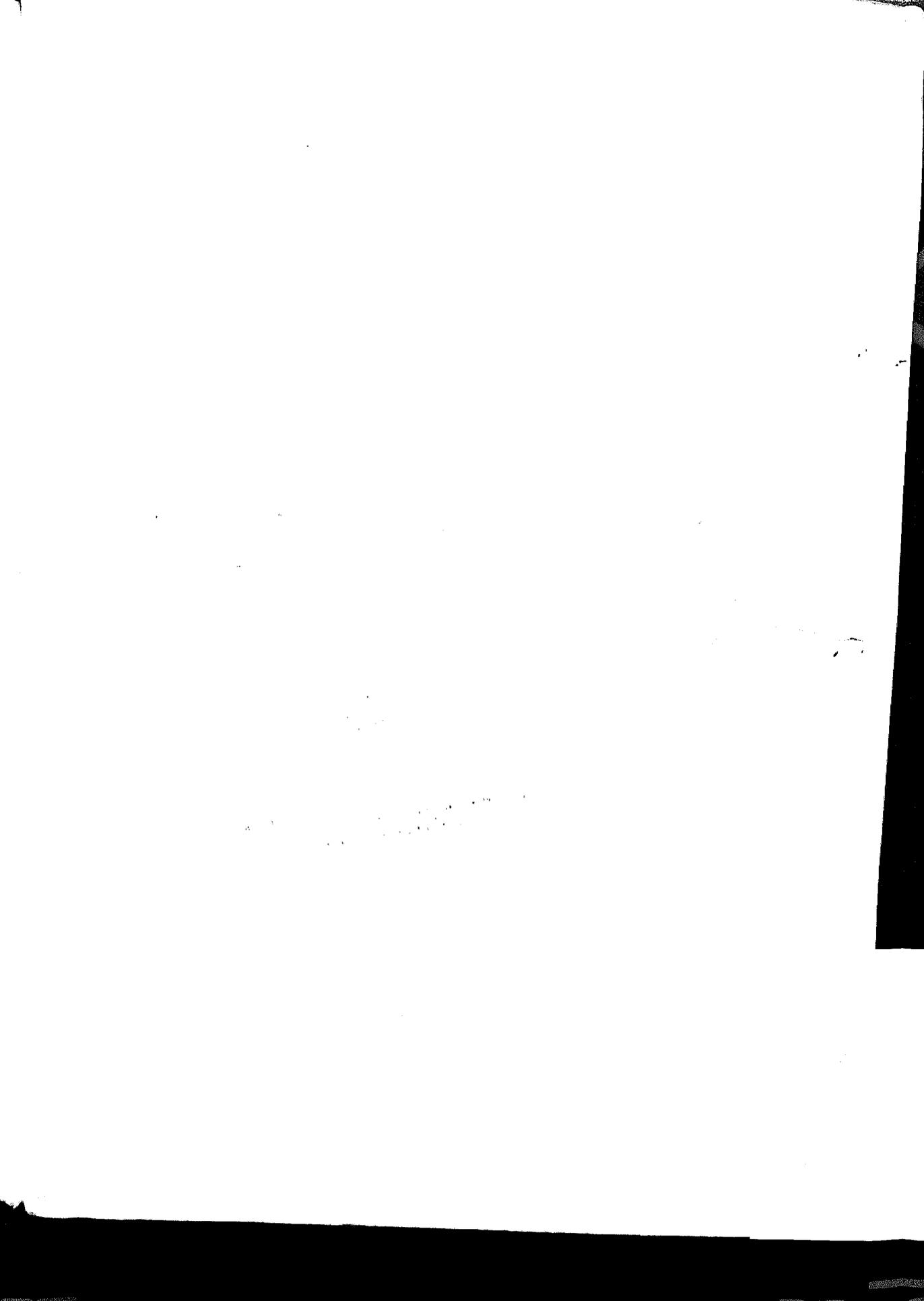
١٩٨٧

دار الثقافة والنشر والتوزيع
مجمع سيف الدين المراني - الغزالة
القاهرة ت/ ٩٠٤٦٩٦٠

0122381



Bibliotheca Alexandrina



١١٥٥

١١٤

دكتور محمد صالح محمد السيد
كلية الآداب - جامعة المنيا

رقم التسجيل
١١٤
٢٣٧٠٢

٢٣٧٠٢
٢

أصالة علم الكلام



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مكتبة الإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina

دار الثقافة والنشر والتوزيع
مناح سيف الدين المراني - الفيحة
القاهرة ت / ٩٠٤٦٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين



الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

مقدمة

نشأت الفلسفة الاسلامية وتطورت في كنف الاسلام وحضارته وارتبطت به أشد الارتباط ، وعالجت مشكلاته الفكرية معالجات عولت فيها على العقل واستدلالاته تارة ، وعلى الذوق والوجدان تارة أخرى ، قدمت بذلك زادا عقليا وقوتنا روحيا للمسلم في كل زمان ومكان .

ويمثل علم الكلام جانبا هاما من الفلسفة الاسلامية ، ذلك لأنه العلم المتكفل بالدفاع عن العقائد الايمانية واثباتها بالدليل العقلي في مواجهة المتشككين والمخالفين .

ولقد انطلق المتكلمون من نقاش ذاتي حول القرآن الكريم بما أثارته من أدلة في مواجهة الديانات والملل والأهواء والنحل السابقة ، فكانت هذه الأدلة نماذج حذوا حذوها ، وصارت أساسا من أسس الجدل مع هذه الديانات .

وكان من أسس هذا الجدل مع الديانات المخالفة ، دراستها دراسة متأنية ، تمكنهم من فهم دقائق عقائدها ، وتعيينهم على تفنيدها مزاعم أصحابها وقد أنتج المتكلمون - بهذه الدراسات - ما يمكن أن يصح في هذا الوقت المبكر - أساسا لعلم مقارنة الأديان متخذين من الاسلام أساسا للمقارنة (١) .

(١) من أبرز ما أنتجه المتكلمون في هذا الصدد ، ما كتبه الجاحظ في « الرد على النصارى » ، والقاضي عبد الجبار في كتابه « المغنى في أبواب التوحيد والعدل » ، الجزء الخامس ، « الفرق الإسلامية » والباقلاني في كتابه « التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة » والشهرستاني في « الملل والنحل » وابن حزم في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، والبيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة » ، ابن القيم في « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » .. وغيرهم .

وهم في دراستهم لهذه الاديان والملك ، عرضوها عرضاً موضوعياً تمهيداً للرد عليها ، فحاضوا في موضوعات جديدة وافدة على الفكر الاسلامي ، قد لا يكون لها صلة مباشرة بذلك الفكر ، فانتسج نطاق موضوعه وتطور وتعمق .

من هنا فقد أثرت شبهات كثيرة تقدرح في أصالة علم الكلام سواء من ناحية موضوعه أو منهجه .

غير أن الباحث المنصف سرعان ما يتبين له أن ماخاض فيه المتكلمون من موضوعات تدخل في لطيف الكلام ، ودقيقه وجليلة إنما هي موضوعات فرضت عليهم فرضاً من قبل خصومهم ، فلم يكن هناك بد من مواجهتها لأن لها صلة وثيقة بعقائد الخصوم ، فضلاً عن أن لكثير منها أصول نقلية في الكتاب والسنة ، بدأ المتكلمون منها كأسس لمناقشة هذه الموضوعات .

فحاض المتكلمون في جدالهم مع اليهود في أبحاث دارت حول الدفاع عن نبوة محمد ﷺ ، وعن شرعية النسخ في الأحكام وغايته وبحث في التشبيه والتجسيم .

كما خاضوا في نقاشهم للمسيحيين في موضوعات دارت حول الكرامة وخلق القرآن ، والذات الالهية وصفاتها ، والحرية والمسئولية . وأنتجت لنا مواجهتهم للديانات الفارسية تفسيرات دارت حول الخير والشر ، وما يتعلق بهما من بحوث ميتافيزيقية وأخلاقية واجتماعية ، فحاضوا في بحوث حول العدل الالهي ، والمصالح والاصلاح والالطف ، والمعوض ، والتكليف ، ، ، ، ، وأدت مقاومتهم للمغوض الى أن يخوضوا في مسائل تتعلق بجوانب عميقة من نظرية المعرفة .

كما أنتجت لنا مواجهتهم للديانات الهندية نقاشاً ممتازاً دار حول دلائل النبوة ، وانكار النسخ ، والتطرق الى بحوث عميقة في نظرية المعرفة مواجهين بذلك كله عقائد الصابئة من جانب والبراهمة والسمنية من جانب آخر .

وهكذا خلف لنا المتكلمون من خلال مواجهتهم للديانات المخالفة تراثا لم يتعلق فقط بالعقائد ، بل امتد ليشمل جوانب أخرى ميثاقية وطبيعية وأخلاقية *

ومن شأن هذا الصراع الجدلي أن يحدث نوعا من التسرب لأفكار الخصوم واستخداما لأسلحتهم وأدواتهم ، من هنا تسرب الى بعض طوائف المتكلمين شيء من أفكار ومعتقدات هذه الديانات ولقد وقف جمهور المتكلمين من أصحاب المدارس الكلامية الكبرى موقف المذخر الشديد من هذا التسرب ، وقاوموه مقاومة عنيفة لا هوادة فيها *

ومما له دلالة قوية ، على أنهم خاضوا في هذه الموضوعات لحاجة دفاعية أننا نجد معظم المتكلمين يبرأ الى الله من كل ما يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فهذا هو النظام من المعتزلة يتضرع الى الله عند احتضاره قائلًا : « اللهم ان كنت تعلم أنى لم أقصر في نصره توحيدك ، ولم أعتقد مذاهبا من المذاهب اللطيفة الا لأتسد به التوحيد ، فما كان منها يخالف التوحيد ، فانا منه بريء ، اللهم ان كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت » (٢) . وهذا أيضا أبو الهذيل العلاف الذى خاض فى دقيق الكلام وجليله يعان براءته وانحلاله عن كل ما يخالف منهاج الاسلام ويعتذر بأن خوضه انما كان لنصرة الاسلام (٣) ، وهذا ما نجده عند الأشعري (٤) ، والجويني (٥) ، والغزالي (٦) *

(٢) ابو الحسين الخياط : الانتصار والرد على ابن الرواندى ص ٤١

(٣) نفس المصدر : ص ٢١٦

(٤) الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ج ١ ، ص ٣٤٧

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد

الخلو ، ومحمد محمد الطناحي ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٢ م ج ٣ ص ٢٦٣

(٦) الغزالي : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١٥ .

كافح علماء الكلام هذه العقائد المخالفة للإسلام ، وما ارتبط بها من زندقة والحاد ، وهم في سبيل ذلك استعانوا بكل مصدر ممكن فلسفياً وغير فلسفى ، طالما كان مشروعاً استخدامه ، للوصول الى هذه الغاية الدينية ، فلا يقدح في اصالتهم تسرب بعض مصطلحات الفلسفة اليهم ، ذلك لانهم وهم في مجال الدفاع عن الدين استعانوا ببعض الجوانب الفلسفية كوسيلة للوصول الى غايتهم ، وفرق كبير بين الوسيلة والغاية : — بل وكما سوف نثبتين — لقد وقفوا من الفلسفة موقف العداة في المواضع التي تخالف العقيدة ، فاذا كان المتكلمون قد خاضوا في جوانب فلسفية : ميتافيزيقية أو طبيعية أو اخلاقية ... فهم أبداً لم يقصدوا أن يكونوا فلاسفة . وانما دعمت هذه الجوانب مهمتهم الدفاعية ، لأن معظم خصومهم من أصحاب الديانات المخالفة ، كانوا على علم سابق بالفلسفة واستخدموها ضدهم في صياغة هجومهم على الإسلام ونقدته ، فلم يكن من سبيل امام المتكلمين الا أن يستخدموا سلاح خصومهم ، لا محبة في الفلسفة لذاتها وانما لكونها وسيلة فقط ، وفي المواضع التي تؤيد أدلتهم الدينية .

وفي اعتقادنا أنه لا يقدح مطلقاً في اصالة علم الكلام ان يحتلط بموضوعه بعض جوانب فلسفية ، ذلك لانهم قد قد استخدموا هذه الجوانب والمصطلحات بعد أن خلصوها مما يتعلق بها من أمور قد تخالف العقيدة .

لكل ما تقدم ، ادرك مؤرخو العلم ، ومصنفوه في الإسلام ، مكانة علم الكلام ، فوضعوه في دائرة العلوم الشرعية الثقلية ، وأنزلوه منزلة عالية من علوم عصرهم .

وإذا كانت الأصالة تعنى أن يكون الشيء ذا أصل يبنى عليه ويستند اليه وجوده (٧) ، فأنني أرى ان ذلك الأصل والاساس هو

(٧) الزمخشري : اساس البلاغة ، دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ

النص المنزل قرآنا أو سنة وما صدر من نقاش ذاتي حول هذه النصوص الدينية ، ذلك النقاش الذي اندفع اليه المسلمون بفعل تطوّر حياتهم ، وتلبيه لمشكلات مجتمعهم ، فصدر علم الكلام ملبيا لحاجات المجتمع الاسلامي . في صدر الاسلام ، في المشاركة بالرأى على أساس من هدى القرآن الكريم والسنة الصحيحة فيما تعرضوا له من مشكلات ، فقد كان ضرورة ملحة استدعتها ظروف مجتمع المصدر الأول .

ومع احتكاكه مع الأديان والتيارات الأجنبية ، يظل علم الكلام في جوهره معبرا عن فلسفة الاسلام الحقيقية .

حاول هذا البحث ان يقدم الأدلة على أصالة ذلك العلم ، من ناحية موضوعة وتطوره^(٨) ، والتمس هذا البحث الأدلة في فصول ثلاثة هي :

الفصل الأول : بعنوان (مدخل عام لبيان أصالة علم الكلام) جاء هذا الفصل بمثابة مدخل عام ، يلتمس بيان هذه الأصالة الاسلامية لعلم الكلام من جوانب ثلاثة : الأول : تعريفات علم الكلام وتسمياته والثاني : الموقف من علم الكلام ، فأبان عن أدلة المعارضين لعلم الكلام ، مناقشا اياها ، ومبيننا ادلة المؤيدين لعلم الكلام ، وكيف كان للفقهاء -

ص ١٨ وابن منظور : لسان العرب ، طبعة مصورة من مطبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ج ١٣ ، مادة اصل ، ص ١٦ ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف ، الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت مادة اصل ، والزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٧ ، مادة اصل ص ٢٠٨ ، وانظر : مختار الصحاح ، لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٢ م ، مادة اصل ، ص ١٨ ، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٢٠٠ مادة اصل .

(٨) ركز هذا البحث عن بيان أصالة علم الكلام من ناحية الموضوع والغاية ، وسوف يفرد صاحبه بحثا آخر ، ان شاء الله - لبيان الأصالة في المنهج الذي انتهجه هذا العلم في معالجة موضوعاته .

المهاجمين لعلم الكلام - آراء كلامية ، والثالث : ببيان كيف أن علم الكلام علما شرعيا ، وبيان منزلته من العلوم الشرعية .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان (المصادر الاسلامية لعلم الكلام) ابنت فى هذا الفصل موضوعات علم الكلام الرئيسية ، وكيفية التماس أصوله من القرآن الكريم والسنة الصحيحة لهذه الموضوعات ، فتمسلا عن أن علم الكلام جاء فى مجموعه ملبيا لحاجات عصر نشأته فحاول المتكلمون ان يخوضوا فى مشكلات مجتمعهم آنذاك ، وأن يلتمسوا لها حلولا ، مما أدى الى اجتهاد فى مجال الأصول الاسلامية فنشأ علم الكلام .

أما الفصل الثالث : فهو بعنوان (المصادر الأجنبية وأثرها فى تطور علم الكلام) نتبعنا فى هذا الفصل مجموعة المصادر الأجنبية والتي كان لها أثر فى تطور موضوع علم الكلام ، وتعميق مباحثه وصقل مناهجه ، وتتمثل هذه المصادر الأجنبية فى أثر الاديان السماوية من اليهودية والمسيحية ، ومجموعة الملل والاهواء والنحل المخالفة للإسلام ، والتي قابلها الإسلام فى البلاد التي غزاها واشتبك معها ، مما دفع بالمتكلمين الى دراستهما ومناقشتها ، وكانت نقاط الخلاف بين الإسلام وبينها من أهم مشكلات علم الكلام ، ولقد استعانت هذه المصادر الأجنبية بالفلسفة اليونانية ، وهذا ما أدى بالمتكلمين الى دراستها ، واستخدامها فى الرد على اصحاب هذه الديانات فليس اقوى من سلاح الخصم للقضاء على اسلوبه ، طالما كان هذا السلاح مشروعا .

وهذا لا يقدر فى اصالة علم الكلام الاسلامية ، فان احتوائه على بعض اساليب الخصم ، او اشتماله على بعض مباحث الفلسفة وطرائفها لأن ذلك كله كان لغاية دينية وهى الدفاع عن الإسلام وتوكيد اصوله ، كما لا يقدر ذلك فى كونه علما دينيا من جملة العلوم الشرعية .

هذه هي فصول البحث الثلاثة ، قصدت من خلالها ان اكشف عن
اصالة علم الكلام الاسلامية ؛ وبيان انه على رأس العلوم الشرعية
قاطبة .

وانى لأرجو أن أكون قد وقفت فى الاقتراب من هذا الهدف وأن
يكون بحثى هذا لبنة فى بناء فلسفة اسلامية أصيلة بها ندافع عن
الاسلام ضد التيارات الوافدة ، ولعل بيان هذه الاصالة يكون دافعا
لتحقيق هذا الهدف .

والله الموفق واليه يرجع الأمر كله .

محمد صالح محمد السيد

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text in the upper middle section of the page.

Handwritten text in the middle section of the page.

Handwritten text in the middle section of the page.

Handwritten text in the lower middle section of the page.

Large block of handwritten text in the lower half of the page.

Handwritten text at the bottom of the page.

الفصل الأول

مدخل عام لبيان أصالة علم الكلام

- ١ - تمهيد
- ٢ - تعريف علم الكلام وتسمياته •
- ٣ - الموقف من علم الكلام •
- ٤ - منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية •

Handwritten text, possibly a title or header.

Handwritten text, possibly a date or location.

Handwritten text, possibly a name or subject.

Handwritten text, possibly a description or note.

Handwritten text, possibly a name or subject.

Handwritten text, possibly a name or subject.

تمهيد :

يعد هذا الفصل مدخلا عاما لدراسة أصالة علم الكلام ، فهو يحاول أن يلمس أصالة هذا العلم الاسلاميه من جوانب ثلاثة :

الأول : تعريفات علم الكلام وتسمياته ، والتي دلت على مدى ارتباط هذا العلم موضوعا ومنهجيا بالأصول الاسلاميه .

الثانى : الموقف من علم الكلام ، فأبان عن أدلة المعارضين لعلم الكلام من الفقهاء والمحدثين والصوفية ، مبنيا أسس هذه المعارضة ، وقد قمت بالرد عليها ، مبنيا أن مذاهب الفقهاء لم تخل من آراء كلامية ، وأن أئمة الفقه الأربعة قد خاضوا فى موضوعات كلامية لها خطرهما ، بل ونسب لبعضهم مؤلفات فى علم الكلام .

وعرضت فى الجانب الآخر لأدلة المؤيدين لعلم الكلام ، مبنيا مدى الحاجة اليه ، من خلال الغاية التى يحققها ببحثه فى العقائد ، وهى اثباتها والدفاع عنها ، وهى غاية لا يستغنى عنها فى أى عصر من العصور .

الثالث منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية ، أوضحت كيف أن علم الكلام يعد من العلوم الشرعية ، بل هو أهمها على الاطلاق به يتم الاعتقاد ، وتصحيح العقائد ، فمهمته توكيد العقائد بدليل النقل والعقل ، فهو المتكفل بالجانب النظرى من الدين الذى هو أساس العمل ، فلا عمل بدون اعتقاد ولقد تنبه مصنفو العلوم من العرب ، فوضعوه فى قائمة العلوم النقلية الشرعية .

هذه هى المداخل العامة ، التى تناولها هذا الفصل لبيان أصالة علم الكلام تمهيدا لبيان هذه الأصالة بشئ من التفصيل فى الفصول التالية .

ونبدأ بتفصيل هذه المداخل العامة على النحو التالي :

أولاً - تعريف علم الكلام وتسمياته :

تعد تعريفات علم الكلام التي قدمها علماء ومؤرخوه من الشواهد التي تشهد على أصالته ، فجل تعريفاتهم تسند علم الكلام الى الدين وأصوله ، وتشير كلها الى أن موضوعه هو الأصول الاعتقادية (١) التي تكون المعرفة النظرية بالدين .

وعلم الكلام يتناول هذه الأصول الاعتقادية ، بالاثبات والدفاع عنها بالأدلة العقلية ، فيدخل في دائرته جميع هؤلاء الذين يتخذون النظر العقلي وسيلة لاثبات العقائد التي جاء بها الاسلام أو الدفاع عنها ، من حيث أن مهمته تأسيس العقيدة الاسلامية على أسس عقلية برهانية حتى يمكن فهم العقيدة ، وعرضها ، والدفاع عنها (٢) .

(١) الفارابي : احصاء العلوم تحقيق الدكتور عثمان أمين ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ ، ص ١٣١ ص ١٣٢ ، والشهرستاني : الملل والنحل ، على هاشم الفصل في الملل والاهواء والنحل ، لابن حزم ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية بالوقفست ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ج ١ ، ص ٥٨ ، والفزالي : المنقذ من الضلال ، مكتبة صبيح ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ، ص ٨ ، ص ٩ وابن خلدون : المقدمة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - فصل الكلام ، ص ٤٥٨ ، والابجي : المواقيت ، اسطنبول ، ١٢٨٦ هـ ص ١٦ ، وسعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النفسية ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ ، ص ٩ - ص ١١ ، وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بتحقيق كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، دار الكتب الحديثة ، ج ٢ ص ١٥٠ ، والامام محمد عبده : رسالة التوحيد دار النصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٧ .. وغيرهم .

(٢) أبو حيان التوحيدى : ثمرات العلوم ، مع كتاب الادب ، والانشاء في الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، ص ١٩٢ - ص ١٩٣ ، وسعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النسقية ، ص ٩ - ص ١١ ، وغيرها ، على أن هناك من المؤرخين وعلماء الكلام من رأى

وهكذا يكون علم الكلام علما دينيا خالصا سواء فى موضوعه أو غايته ، وإذا كان أحد معانى الأصالة أن يكون للشيء أصل ثابت بينى عليه ، فإن الأصل هنا فى علم الكلام هو الدين الإسلامى وأصوله فهى موضوعه وغايته .

كما يمكن الاستدلال على هذه الأصالة الإسلامية ، من تلك الأسماء التى أطلقت على علم الكلام والتى جمعها لنا التهانوى فى كتابه (٣) حيث يقول : علم الكلام ، ويسمى بعلم أصول الدين (٤) م ويسمى

ان مهمة علم الكلام تنف عند الدفاع عن العقيدة ، ولا تتعدى ذلك الى اثباتها ، لان المعتائد الإيمانية مثبتة بالكتاب والسنة فليس هناك ما يدعو الى اثباتها بالعقل . (انظر : الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص ٨ - ص ٩ وفخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٨ هـ تفسير سورة البقرة آية ١٩ - ٢١ ، وابن تيمية : النبوات ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ١٤٥ . . وغيرهم) ، ولقد تبنى جارودية هذا الموثف من غاية علم الكلام ، فذهب الى أن غايته الدفاع عن العقيدة وليس فهم الإيمان ويعلق الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى أورد رأى جاروديه بأن ذلك ربما يصح بعد القرن الرابع الهجرى ، اما خلال القرون الأربعة الأولى ، فكان يغلب عليه البحث فى فهم الإيمان ، وإدراك مضمون العقيدة ، وتصديد المعانى الغامضة التى وردت فى الكتاب والسنة : كالله وصفاته ، والقدر ، والعدل الإلهى والوعد والوعيد ، والنجاة فى الآخرة ، والثواب والعقاب (انظر الدكتور عبد الرحمن بدوى : مذاهب الإسلاميين دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، الطبعة الثانية الجزء الأول ، المنقولة والأشاعرة ، ص ١٣ - ص ١٤) ، وفى رأى ان وجهة النظر هذه صحيحة فيما يتعلق بغاية علم الكلام فى هذه الآونة ، فلقد أسهم متكلمو الفرق الإسلامية من معتزلة وأشاعرة وغيرهم فى تحديد مفهوم الإيمان وشرحه والتدليل عليه ، وأثبتت أصوله ، من هنا ارتبط الدفاع عن العقيدة بأثبات أصولها ارتباطا وثيقا .

(٣) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ككتنا ، ٨٦١ هـ مجلد (١) ، ماد علم الكلام .

(٤) ترجع تسميته بعلم أصول الدين ، لأن مسألة هى أساس الدين وأصوله ، فهو يستدل على أصول العقيدة الإسلامية ويؤسسها على العقل وهو الاسم الذى غلب عليه فى المصنفات المتأخرة .

أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ) بالفقه الأكبر (٥) ، وفي مجمع السلوك يسمى بعلم النظر والاستدلال (٦) ويسمى أيضا بعلم التوحيد والصفات (٧) ، وفي شرح العقائد للفتناني : ويسمى بعلم الشرائع والأحكام ويسمى بعلم الذات والصفات ، وقد يسمى أيضا بعلم العقائد الإسلامية (٨) .

ويتضح من هذه التسميات أن أصول علم الكلام أصول إسلامية صرفة ، وقد وردت أقوال كثيرة تفسر سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام ذكرها الأيجي بقوله : أن علم الكلام سمي بذلك إما لأنه بزاء المنطق للفلسفة ، وإما لأن أبوابه عنونت بالكلام في كذا أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثير فيها التشاجر ، أو لأنه يورث قدره على الكلام في الشرعيات مع الخصم (٩) ، كما يذكر النسفي (١٠)

(٥) تسميته بالفقه الأكبر : ترجع إلى تمييز مباحثة عن مباحث الفقه العملية والتي تسمى بالفقه الأصغر ، فكلاهما علم أصول إلا أن علم الكلام يؤسس النظر ، بينما الفقه يؤسس العمل ومعنى الفقه هو العلم ، وعلم الكلام هو العلم الأكبر لأنه يكون الإيمان ، وهو أصل العمل والطاعة فيكون الفقه فرعاً لهذا الأصل ، فيسمى بالفقه الأصغر .

(٦) تسميته بعلم النظر والاستدلال : يرجع إلى اعتماده على الاستدلال العقلي بجانب الاستدلال النقلى .

(٧) تسميته بعلم التوحيد والصفات : راجعة إلى أنه يضع التوحيد عقيدة أساسية تستخرج منها باقى العقائد الأخرى بالاستدلال ، فصار التوحيد أهم موضوعاته ، فسمى العلم بأشرف أجزائه ، وهذا الاسم هو الذى يفضلهُ الإمام محمد عبده في رسالة التوحيد وكذلك يسميه بعلم الذات والصفات ذلك لأنه يبحث في صفات الله تعالى ، والتي تعد من أهم مباحثه .

(٨) ذلك لأنه يبحث في العقائد الإسلامية حتى يؤمن بها المخالفون .
(٩) الأيجي : المواقف ، ص ١٦ ، وانظر أيضا : الشهر ستانى : الملل والنحل ، على هامش كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ، ص ٥١ .

(١٠) النسفى : العقائد النسفية ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ص ٦ .

جميع هذه التفاسير ، ويضيف اليها تفسيرين هما : الأول ، أن علم الكلام لا يتحقق الا بالمباحثة وادارة الكلام بين الجانبين على حين ان غيره من العلوم قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ، كما انه نظرا اقيامه على الأدلة القطعية المؤيدة اكثرها بالأدلة السمعية كان أكثر العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا ، فسمى الكلام مشتقا من الكلم ، وهو الجرح . والثانى : لأن أول خلاف وقع فى الدين كان فى كلام الله ، أمخلوق هو أم قويم ، فتكلم الناس فيه ، فسمى هذا النوع من العلم كلاما واختص به (١١) .

وهكذا تبدو أصالة هذا العلم فى التعليقات التى قيلت حول سبب تسميته بهذه التسمية ، فهى اما راجعة الى منهجه ، وهو الكلام والجدل والرد على الخصوم ، فيكون بهذا الكلام الصحيح دون غيره لأنه يعتمد على كلام الله ، فى استخراج حججه المؤثرة فى القلوب والعقول معا ، واما راجعة الى موضوعه ، وهو كلام الله تعالى أقديم هو أم محدث ، فيكون هذا العلم موضوعا ومنهجا يدور حول الأصول الدينية .

ثانيا - الموقف من علم الكلام :

تقبل علم الكلام بموجة من الاستنكار الشديد من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية ، وأطلقوا على علم الكلام وأهله ، أصحاب البدع ومن أهم ما استندوا اليه فى هذا الوصف أن الرسول ﷺ والصحابة لم يثبتوا به ، فهو من البدع ، فراحوا يكتبون فى دم علم الكلام وأهله .

(١١) المصدر السابق : ص ٦ وانظر تفصيل ذلك عند الشيخ الاكبر مصطفى عبد الرازق فى كتابه تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٩ م حيث جمع أقوال القدماء فى معنى علم الكلام وتعريفه ، وسبب تسميته ، وبعد ما كتبه أحسن ما كتب فى هذا الموضوع ، انظر ص ٢٦٥ وما بعدها .

فيقول ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في ذم المتكلمين واختلافهم في الدين: «وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون أصول على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجداع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل ، ومعاني الكتاب والحديث ، وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة ، وانقود ، والعرض ، والجواهر ، والكيفية ، والكمية والايينية . ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم بهما وضع لهم المنهج واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة وحب الاتباع واعتقاد الاخوان بالمقالات والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس واعداد آلات النظر ان لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلاتهم لا تدل الا على عدد واحد والا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد فما بهم أكثر الناس اختلافاً ، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين !! ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا ، وان كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم كما اتسع لأهل الفقه ، ووقعت لهم الأسوة بهم ولكن اختلافهم في التوحيد . وفي صفات الله تعالى وفي قدرته ، وفي تقويم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، وعذاب البرزخ وفي اللوح ، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي الا بوحي من الله تعالى (١٢) .

ويقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) في ذم علم الكلام : ونهى السلف — رحمهم الله — عن الجدل في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه .

(١٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، عن طبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٦ هـ ، ص ١٢ ، ص ١٤ . وانظر ايضا لابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمثبته ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ ، ص ٩ .

وأما الفقه فأجمعوا على الجدل فيه والتناظر ، لأنه علم يحتاج فيه الى رد الفروع الى الأصول للحاجة الى ذلك ، وليس الاعتقادات كذلك ، لأن الله جل وعز م لا يوصف عند الجماعة — أهل السنة — الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول ﷺ ، أو أجمعت الأمة عليه . وليس كمثلته شيء فيدرك ، بقياس أو انعام نظر ، وقد نهينا عن التفكير في الله ، وأمرنا بالتفكير في خلقه الدال عليه ، وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : « وكان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أدل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهنم والقدر وما أشبهه ذلك ، ولا أحب الكلام الا فيما تحته عمل^(١٣) وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل ، (أي عيب يفسده) وقال مالك : أرأيت ان جاءه من هو أجدل منه ، أبدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ »^(١٤) ، وقال أبو عمر : تناظر القوم وتجادلوا في الفقه ، ونهوا عن الجدل في الاعتقاد ، لأنه يؤدي الى الانسلاخ من الدين م ألا ترى مناظرة بشر في قواه عز وجل : « وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم حين قال : هو بذاته في كل مكان ، فقال له خصمه : فهو في قلنسوتك وفي حشك ، وفي جوف حمار : تعالى الله عما يقولون : حكى ذلك وكيع ، رحمه الله ، وأنا والله أكره ان أحكى كلامهم تقبحهم الله فعن هذا وتشبهه نهى العلماء^(١٥) . ولقد وضع الهروي (ت ٤٠١ هـ) كتابا في ذم علم الكلام بعنوان « ذم الكلام وأهله » اعتمد عليه السيوطي (ت ٩١٤ هـ) ، في استخراج

(١٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله . ص ١٥٣ والشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١١٩ ، ص ١٢٠ .
(١٤) نفس المصدر ص ١٥٦ والشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٢٠ .
(١٥) نفس المصدر : ص ١٥٧ — ص ١٥٨ والشيخ مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٢٠ .

الشواهد الدالة على ذمه لعلم الكلام ومن الآثار التي نقلها عن المهروي
في هذا الصدد (١٦) .

قول مالك (ت ١٧٩ هـ) أياكم والبدع ، قيل له : ما البدع ؟ قال :
أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ،
ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة ، والتابعون لهم باحسان .

وقول الرسول ﷺ : « من تكلم في الدين برأيه فقد أتهمه »
وقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهارا وذلك عند كلامهم
في ربهم » .

وقول علي رضي الله عنه : « يخرج في آخر الزمان ، أقوام
يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الاسلام ، ويدعون الناس الى كلامهم ،
فمن لقيهم فليقاتلهم فان قتلهم أجر عند الله » .

وقول ابن عمر : « ان القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة
الله ، وقالوا لم ؟ ولا ينبغي أن يقال لله لم ، لأنه لا يسأل عما يفعل ،
وهم يسألون » .

وقول محمد بن الحنفية : « لا تهك هذه الأمة ، حتى تتكلم في
ربها » .

وقول هشام بن عبد الملك لبنيه : « اياكم وأصحاب الكلام فان
أمرهم لا يؤول الى الرشاد » .

وقول جعفر بن محمد : « اذا بلغ الكلام الى الله فأمسكوا »
وقوله : « تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش فان
قوما تكلموا في الله فتأهوا » .

(١٦) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية
ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

وقول شعبه : « كان سفيان الثوري ، ييغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي ، وكان يقول : عليكم بالآثر واياكم والكلام في ذات الله » .

وقول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أن أبا حنيفة قال : لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيه من الكلام ، وقوله ان أبا حنيفة كان يحدثنا على الفقه وينهانا عن الكلام .

وتشير كل هذه الأقوال والآثار إلى أن المتكلمين تد خاضوا موضوعات دقيقة كان يجب أن يستكوا ويمسكوا عن الخوض فيها لأن الرسول ﷺ وصحابته ، لم يخوضوا في شيء من هذا القبيل بل نهوا عنه .

والمواقع أن الاسلام — شأنه شأن أى دين آخر قد مر بمرحلتين : مرحلة التصديق القلبي والايمان بالعقائد والأصول حتى يرسخ الدين في القلوب ، ثم مرحلة البحث والنظر وصوغ مسائل الدين صياغة فلسفية ، فلم يكن هناك سائل في عهد الرسول ﷺ يسأل عن كيفية الاستواء في الآية الكريمة : « الرحمن على العرش استوى » وان سأل فإنه يلقي الجواب الذي قال به مالك بن أنس : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والايمان به واجب » . وقد خشى المسلمون الأوائل أن يكونوا من أهل البدع الذين قال الله فيهم : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ولكنهم أرادوا أن يكونوا حسب تكلمة الآية : « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولو الالباب »

وعلى هذا تجمع المصادر أن المسلمين في زمن الرسول ﷺ لم يختلفوا حول أمر من أمور العقيدة الرئيسية مثل : وجود الله وصفاته ولم يبحثوا في هذه المسائل ، كلهم فهموا ذلك من القرآن الكريم ،

وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، ولم يتأول أحد منهم آيات القرآن الكريم فى هذا الصدد ، ولم يكن لدى أحد منهم ما يستدل به على وجوده تعالى ، وعلى نبوة محمد ﷺ سوى ما جاء فى الكتاب الكريم ، ومن هنا لم يعرف أحد منهم شيئا من طرق الكلام أو الفلسفة فيقول المقرئى : « ومن امعن فى دواوين الحديث ، ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يروى قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله ﷺ ، عن معنى شىء مما وصف الرب سبحانه تعالى به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ . بل كلهم فهموا ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات . نعم ولا فرق أحدهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة ، والحياة ، والادارة ، والسمع والبصر والكلام ، والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوفا واحدا ، وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ، ما أطلق الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين ، فاثبتوا رضى الله عنهم ، بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شىء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت .

ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد ﷺ ، سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ، ولا مسائل الفلسفة (١٧) » .

لقد اكتفى المسلمون الأوائل بما جاء فى القرآن الكريم من عقيدة متكاملة ، فلم يبحثوا بحثا نظريا فى أصول الدين ، ولم يسعوا الى التعلم من غير هذا المصدر الالهى ، فقد وجدوا فيه ما يجب معرفته عن الله والعالم والانسان ، ولم يخوضوا فى جدل حول العقيدة مؤتمرين

(١٧) المقرئى : الخطط ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٠-١٨١

بأمر الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » ، وقوله تعالى أيضا « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » الى آخر هذه الآيات التي تفيد تجميع الكلمة ، وعدم الخوض في الجدل ، الا بمقدار — ما تدعو الحاجة اليه .

ولهذا نقول انه لم يكن عند المسلمين الأوائل في زمن الرسول ﷺ والمصحابة الأوائل كلام أو فلسفة، ولا خوض في جدال، وانما اجماع في الكلمة حول العقائد .

على أن بعض المصادر تشير الى بعض المناقشات التي حدثت في زمن الرسول ﷺ ، فلقد وجد جماعة من الصحابة يتحدثون في التقدير فنهاهم عن ذلك بقوله ﷺ : بهذا ضلت الأمم قبلكم (١٨) .

وغالب الظن أن الذين ذموا علم الكلام وأهله ، واعتبروهم أهل بدعة اعتمدوا — كما ذكرنا — على أن المتكلمين خاضوا في موضوعات لم يخض فيها السلف الأول من المسلمين ، فيكونوا بهذا ابتدعوا موضوعات جديدة ، تدخل في دقائق الأصول الدينية .

ولقد عرض لنا الأشعري في رسالته في استحسان الخوض في علم الكلام . التي تعد من الرسائل الهامة في بيان أصالة علم الكلام الإسلامية أدلة المعترضين على علم الكلام ، تمهيدا للرد عليهم فيقول : « أما بعد فان طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالهم وثقل عليهم النظر والبحث في الدين ، ومالوا الى التخفيف والتقليد وطعنوا على من فتنس عن أصول الدين ونسبوه الى الضلال وزعموا أن الكلام في

(١٨) انظر بعض هذه المصادر والمناقشات في تمهيد لتاريخ الفلسفة

الإسلامية ، ص ٢٨١ — ص ٢٨٣ .

الحركة والسكون والجسم والعرض والألوان والأكوان والجزء والمطفرة
وصفات الباري عز وجل بدعة وضلالة (١٩) .

وقالوا لو كان ذلك هدى ورشادا لتكلم فيه النبي ﷺ وخلفاؤه
وأصحابه (قالوا) ولأن النبي ﷺ لم يمت حتى تكلم في كل ما يحتاج
اليه من أمور الدين وبينه بيانا شافيا ، ولم يترك لأحد بعده مقالا
فيما للمسلمين اليه حاجة من أمور دينهم ، وما يقربهم الى الله عز وجل
وبياعدهم عن سخطه .

فلما لم يرووا عنه الكلام في شيء مما ذكرناه علمنا أن الكلام
فيه بدعة ، والبحث عنه ضلالة ، لأنه لو كان خيرا لما فات النبي ﷺ
وآله وأصحابه وسلم واكملوا فيه .

(قالوا) ولأنه ليس يخلو ذلك من وجهين : اما أن يكونوا علموه
فسكتوا عنه ، أو لم يعلموه بل جهلوه ، فان كانوا علموه ولم يتكلموا
فيه وسعنا أيضا نحن السكوت عنه ، كما وسعهم السكوت عنه ،
ووسعنا ترك الخوض (فيه) كما وسعهم ترك الخوض فيه ولأنه لو كان
من الدين ماوسعهم السكوت عنه ، وان كانوا لم يعلموه وسعنا جهله
كما وسع أولئك جهله لأنه لو كان من الدين لم يجهلوه فعلى كلا الوجهين
الكلام فيه بدعة والخوض فيه ضلالة فهذه جملة ما احتجوا به من ترك
النظر في الأصول (٢٠) .

(١٩) نشرة يوسف مكارثي ، بيروت ، ١٩٥٣ م في ذيل كتاب اللمع

للاشعري عن نشرة حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٤ هـ ، ونشرها أيضا الدكتور
عبد الرحمن بدوي ، ضمن كتابه مقالات الاسلاميين ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٥ - ص ٢٧ . وقد
اعتمدنا على النشرتين .

(٢٠) الأشعري : رسالة استحسنان الخوض في علم الكلام ، نشرة
يوسف مكارثي اليسوعي ، بيروت ١٩٥٣ م في ذيل كتاب اللمع عن نشرة
حيدر آباد الدكن ١٣٤٤ هـ ص ٨٧ وقارن نشرة الاستاذ الدكتور عبد الرحمن
بدوي ، ضمن كتابه مقالات الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ،
الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ، ج ١ ص ١٥ - ص ٢٧ .

ولقد رد الأشعري على هذا الاعتراض على أصالة علم الكلام من ثلاثة وجوه :

الأول : أننا لو قلبنا الأمر عليهم فقلنا : هل قال الرسول ﷺ : أن من بحث عن ذلك وتكلم فيه يكون مبتدعا ضالا ؟!

الثانى : وهو رد هام فى بيان أصالة علم الكلام الاسلامية ، حيث يقول : أن الرسول ﷺ لم يجهل شيئا مما ذكرتموه من الكلام فى الجسم والعرض والحركة والسكون والجزء والطفرة ، وان لم يتكلم فى كل واحد من ذلك معينا ، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة ، غير أن هذه الاشياء التى ذكرتموها معينة أصولها موجودة فى القرآن والسنة جملة غير مفصلة .

ويحاول الأشعري أن يوضح أن الخوض فى مسائل : الحركة والسكون ، والطفرة ، والألوان ، والأكوان وهى كلها مسائل كلامية لا بأس به ، لأن له أصول نقلية .

فيذهب الى : أن الحركة والسكون والكلام فيهما أصلهما موجود فى القرآن وهما يدلان على التوحيد ، وكذلك الاجتماع والافتراق فقد أخبر الله تعالى عن خليفه ابراهيم عليه السلام ، فى قصة أعول النكوب والشمس والقمر وتحريكها من مكان الى مكان ما دل على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك ، ولو جاز عليه ذلك ما كان باله .

وكذلك الكلام فى التوحيد مأخوذ من قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » وهذه الآية موجزة فى التنبيه على التوحيدانية وأدلة المتكلمين على التوحيد مرجعها الى تلك الآية وأيضا الى قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » ، وكذلك سائر الكلام فى تفصيل فروع التوحيد والعدل انما هو مأخوذ من القرآن ، وكذلك القول فى جواز

البعث بعد الموت ، فأقره على من قال بالخلق الأول ، فتكون الاعادة
أيسر وأسهل من البداية بقوله تعالى « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ،
وهو أهون عاينه » وقوله « كما بدأكم تعودون » ، كما أقره على
المنكرون للخلق الأول وقالوا بقدم العالم ، فرد على القائلين بقدم العالم
فاحتج عليهم بأن الضدين لا يجتمعان فى محل واحد ، ولا فى جهة واحدة
ولا فى الموجود فى المحل ولكنه يصح وجودهما فى محلين على سبيل
المجاورة فاحتج الله تعالى بقوله « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر
نارا ، فاذا أنتم منها توقدون » (٢١) .

كذلك أيضا يجدر أن للمتكلمين أصولا عقلية لمقدماتهم العقلية فى
ردهم على الدهرية التى تدور حول أنه لحد حادث أول تبدأ منه فى مقابل
قول الدهرية بأنه لا حركة الا وقبلها حركة ، ولا يوم الا وقبله يوم ،
فى قول الرسول ﷺ « لا عدوى ولا طيرة » ، فقال أعرابى « فما بال
الأبل كأنها الضباء تدخل فى الأبل الجربى فتجرب » ، فقال النبي ﷺ :
« فمن أعدى الأولى » فسكت الأعرابى لما أفهمه بالحجة المعقولة وكذا
يقال لمن زعم أنه لا حركة الا وقبلها حركة ، لو كان الأمر هكذا لم تحدث
منها واحدة ، لأن ما لا نهاية له لا حدث له .

ويذهب الأشعري الى أن قاعدة رد الشيء الى شكله ونظيره
قاعدة مأخوذة من النقل فلقد قال رجل للرسول ﷺ يا نبي الله « ان
امراتى ولدت غلاما أسود » وعرض بنفيه فقال النبي ﷺ : « هل
لك ابل ؟ » فقال : نعم ، قال ﷺ : « فما ألوانها » قال « حمر » فقال
النبي ﷺ : « هل فيهما من أوزق » قال « نعم ان فيها أوزق » قال ﷺ :
« فأنى ذلك » قال « لعل عرقنا نزرعه » فقال النبي ﷺ « ولعل ولدك

(٢١) قريب من هذا ما ذهب اليه الكندي فى رسالته : « فى الإبانة
عن سجود الجرم الأقصى ، وطاعته لله عز وجل » ، انظر : رسائل
الكندي الفاسفية بتحقيق وتقديم الدكتور أبو ريده ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، ١٩٥٠ ، الجزء الأول .

نزعة عرق « ويرى الأشعري أن المتكلمين قد عولوا على هذه القاعدة في تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته وعن الجسمية لأنه حكمه ليس حكمها (٢٢) .

ويواصل الأشعري التماس أصول نقلية لكل المشكلات الكلامية فيلتمس لنظرية الجزء الذي لا يتجزأ أصولاً نقلية من قوله تعالى « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » ، فمحال احصاء ما لا نهاية له ومحال أن يكون الشيء الواحد أى الجوهر الواحد ينقسم ، لأن هذا يوجب أن يكون شيئين ، وقد أخبر أن العدد يقع عليهما ، فلن يتم الاحصاء (٢٣)

وأخذ الأشعري في هذه الرسالة يثبت ضرورة استخدام العقل في أمور العقيدة مستندا على نصوص نقلية وأدلة عقلية ، بعد أن حاول جاهداً — فيما بينا — أن يجد أصول المسائل التي يخوض فيها المتكلمون في كتاب الله وسنة رسوله ، فوجد الأشعري قياس الشبيه والنظير في سنة الرسول ﷺ والأصل في المناقضة على الخصم في النظر مأخوذ من سنة الرسول أيضا ، وذلك من تعليم الله إياه حين لقي الحبر السمين فقال له ﷺ « نشدتك بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أن الله يبغض الحبر السمين » فغضب الحبر حين غيره بذلك ، فقال : « ما أنزل الله على بشر من شيء » فقال الله تعالى « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا » فناقضه عن قرب لأن التوراة شيء وموسى بشر ، وقد كان الحبر مقرا بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى ، فقد كان الحبر يلوح بقوله « ما أنزل الله على بشر من شيء الى انكسار نبوة محمد ، واتهامه بالكذب فناقضه القرآن بما يعترف بصحته ، وهو

(٢٢) الأشعري : استحسان الخوض في علم الكلام ، نشرة مكارثي

ص ٨٨ — ص ٩٠ .

(٢٣) سننناول هذا تفصيلا فيما بعد في الفصل الثاني والمخصص لبيان

المصادر الاسلامية لعلم الكلام .

كتاب موسى التوراة الذى أنزله الله عليه ، وكان حجة فى يديه ••
وينتهى الأشعري من كل هذه الأمثلة انتى ساقها على أن الأصول النقلية
من القرآن والسنة ، لم يهمل العقل فى فهم الشريعة وتأييده ضرورة
وليس ضلالة كما يقول الحنابلة ، الذين يتمسكون بظاهر النص وحده
ولا يحددون عنه (٢٤) •

الثالث : ان مسائل عظم الكلام ، والتي يطعن فى الخوض فيها على
اعتبار أنها بدعة ، قد علمها الرسول ﷺ ولم يجهل منها شيئا مفصلا ،
غير أنها لم تحدث فى أيامه معينة فيتكلم فيها أو لا يتكلم فيها وان كانت
أصولها موجودة فى القرآن والسنة ويقيس الأشعري الخوض فى مسائل
فقهاء ووجوب ذلك على الخوض فى مسائل أصولية ووجوب الخوض
فيها ، ومنع أن تكون بدعة لأن الخوض فى المسائل التفهيمية لم يكن بدعا
فيقول : « وما حدث من شيء فيما له تعلق بالدين من جهة الشريعة فقد
تكلموا فيه وبحثوا عنه وناظروا فيه وجادلوا وحاجوا كمسائل العول
والجدات فى مسائل المفروض وغير ذلك من الأحكام وكالحرام والنبات
والبنتة » وحبك على غاريك « وكالمسائل فى الحدود والطلاق مما يكثر
ذكرها مما قد حدثت فى أيامهم ولم يجيء فى كل واحدة منها نص عن
النبي ﷺ لأنه لو نص على جميع ذلك ما اختلفوا فيها وما بقى الخلاف
الى الآن •

وهذه المسائل ، وان لم يكن فى كل واحدة منها نص عن رسول الله
ﷺ فانهم ردوها وقاسوها على ما فيه نص من كتاب الله تعالى واجتهادهم
فهذه أحكام حوادث الفروع ردوها الى أحكام الشريعة ، التي هى شروع
لا تستدرك أحكامها الا من جهة النسخ والرسول ، اما حوادث تصدث
فى الأصول فى تعيين مسائل فينبغى لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها الى
جملة الأصول المتفق عليها بالعقل والحس والبديهة ، وغير ذلك ، لأن

(٢٤) نفس المصدر ص ٩٣ •

حكم مسائل الشرع التي طريقتها السمع أن تكون مردودة الى أصول الشرع التي طريقتها السمع وحكم مسائل العقلية والمحسوسات ، أن يرد كل شيء من ذلك الى بابه ولا تخلط العقلية بالسمعية ، ولا السمعية بالعقلية (٢٥) .

أى أن الأشعري رأى أننا في أمور الدين تستدل بأدلة عقلية وسمعية فمن المسائل ما يحتاج الى دليل عقلي ، ومنها ما لا يمكن البرهنة عليه الا بدليل سمعي ، ومنها ما يبرهن عليه بالعقل والسمع معا ، فكل مجاله ، ويجب أن لا تختلط المجالات ، أى أن رأى الأشعري هو « محاولة ادراك النص في ضوء العقل أو السير وراء العقل في حدود من الشرع ، لأن العقل اذا ترك وشأنه اتبع هواه وفرق بين الهوى المضل ، وبين الهدى الذى يعصم من الزلل والعتار » (٢٦) ولكنه بالشرع يتبع هذا ، .

وهذا يعد من الأشعري منها دقيفا يتطلب الحيدة بين العقل والنص ، وأن أى ميل الى أحدهما يكون على حساب الآخر (٢٧) .
وينتهى الأشعري فى بيان شرعية موضوعات علم الكلام بانقول بأنه لو حدث فى أيام النبى ﷺ الكلام فى خلق القرآن ، وفى الجزء والطفرة ، بهذه الألفاظ ، لتكلم فيه وبينه ، كما بين سائر ما حدث فى أيامه من تعيين المسائل وتكلم فيها (٢٨) .

وفى نهاية رسالة الأشعري فى استحسان الخوض فى علم الكلام يوضح لنا مستخدما برهان الخلف المعروف فى المنطق ، ان ما خاض فيه

(٢٥) نفس المصدر : ص ١٥ .

(٢٦) الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ م ص ١٩٦ وهو ينقل عن الدكتور

غرابية : الاشعري ص ٨١ .

(٢٧) الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ص ١٩٦ .

(٢٨) الاشعري : استحسان الخوض فى علم الكلام ، ص ٩٦ .

المتكلمون من مسائل وما انتهوا اليه من نتائج لا يدخل في دائرة البدع
ومن ادلته التي يقدمها : رده على القائلين بان القرآن غير مخلوق وهم
في جملتهم من الفقهاء واصحاب الحديث المهاجمين لعلم الكلام ، بأن
الرسول ﷺ لم يصح عنه حديث في أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ،
فلم قلت انه غير مخلوق ؟ فان قالوا : قد قاله بعض الصحابة ، وبعض
التابعين ، قيل لهم يلزم الصحابي والتابعي أن يكون مبتدعا ضالا ،
اذا قال ما لم يقله الرسول ﷺ

وحتى الذين يسكنون عن ابداء رأيهم في هذه المشكلة (أي خالق
القرآن) أو غيرها كالصفات ونحوها ، فان موقفهم هذا موقف بدعة :
ذلك لأن الرسول ﷺ لم يرد عنه أنه قال : « ان حدثت هذه الحادثة
لا تقولوا فيها بعدى شيئا » .

وأجاز الأشعري الاحتجاج على نفي التشبيه والتجسيم واثبات
التنزية حتى ولو كان ذلك مما لم يرد على لسان الرسول ﷺ ، والصحابة
والتابعين ، لأن ذلك دل عليه محكم التنزيل وان من توقف في ذلك الأمر
فهو ضال مبتدع .

وعلى هذا يمكن القول بأن الأشعري قد مهد القول في رسالته
هذه للدفاع عن علم الكلام وتأييده ، وبيان اعتماده على النقل والعقل
فتعد هذه الرسالة دليلا هاما على أصالة علم الكلام الاسلامية وهي في
نفس الوقت تفيد أن ما خاض فيه المتكلمون من موضوعات لم تكن
في الصدر الأول للإسلام ولا في عهد الرسول ﷺ إنما خاضوا فيها
في منازعاتهم الفكرية مع أصحاب الديانات الأخرى أو مع الفرق الضالة
ولا يوصف خوضهم في هذه الموضوعات بالبدعة لأن لكل عصر مشكلاته
واتجاهاته الفكرية ، فضلا عن أن كثيرا من العلوم الاسلامية كالحديث ،
الفقه ، والتفسير . . . وغيرها من العلوم التي لم يشغل الصحابة بشيء
منها على الوجه الذي ظهرت عليه كعلوم متخصصة أو شبه متخصصة ،

فلو كان الأمر كذلك ، لكانت هذه العلوم وأصحابها بدع ضالة ، ولم يقل أحد بهذا على الإطلاق .

وهنا يمكن ان تطرح السؤال التالي : لماذا يستحسن الخوض فى علم الكلام ؟

لقد أبان لنا الايجى عن فائدة الخوض فى علم الكلام ، فهو يحقق خمس فوائد (٢٩) :

الأول : الترقى من حضيض التقليد الى ذروة الايقان « ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .
الثانية : ارشاد المسترشدين بايراد الحجة ، والزام المعاندين باقامة الحجة .

الثالثة : حفظ قواعد الدين عن أن تزلزها شبه المبطلين .

الرابعة ان يبنى عليه العلوم الشرعية ، واليه يؤول أخذها واقتباسها .

الخامسة : صحة الفية والاعتقاد اذ بها يرجى قبول العمل ، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين .

ويفصل التهانوى (ت ١١٥٨ هـ) ما سبق أن قرره الايجى من فوائد لعلم الكلام ، بأن علم الكلام تبنى عليه العلوم الشرعية أى يبنى عليه ما عداه من العلوم الشرعية ، فانه أساسها ، واليه يؤول أخذها واقتباسها فانه ما لم يثبت وجود صانع عالم قادر مكلف مرسل للرسل ، منزل للكتب ، لم يتصور علم تفسير ، ولا علم فقه وأصوله ، فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسه منه فالآخذ فيها بدونه كبان على غير أساس . وغاية هذه الأمور كلها الفوز بسعادة الدارين (٣٠) .

(٢٩) الايجى : المواظف ، ص ٨ .

(٣٠) التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، مادة علم الكلام .

وهكذا ينتضح لنا أن علم الكلام هدفه الدفاع عن الدين والرد على الخصوم ، مستخدما في ذلك أدلة النقل والعقل فيلجأ الى انبثات العقائد ، ليس لأن هذه العقائد محل شك لديه وإنما يثبتها للغير ممن لديه شبهة فيها ، أو مخالفتها ، بدلا من اللجوء الى مقاومتهم بالقوة مما يؤدي الى انتشار النفاق في قلوب المخالفين ، الذين قد تلجئهم القوة الى الايمان ظاهريا وهذا ما يدلنا عليه الشعراني بقوله : « اعلم رحمك الله أن علماء الاسلام ، ما صنعوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وإنما وضعوا ذلك ردعا للخصوم ، الذين حجدوا الاله ، أو الصفات ، أو الرسالة ، أو رسالة محمد ﷺ بالخصوص ، أو الاعداء في هذه الاجسام بعد الموت ، ونحو ذلك مما لا يصدر الا عن كافر ، فطلب علماء الاسلام اقامة الأدلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير . »

وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ، ورجاء رجوعهم الى طريق الحق ، فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أحق ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك ، فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكتفى في العصر الواحد واحد من هؤلاء (٣١) .

وإذا كان الامام الغزالي قد ألجم العوام عن الخوض في علم الكلام ، فإن هذا الالجام لا يعني أنه لا يرى ضرورة لعلم الكلام ، إنما لأنه يرى أن العوام ليسوا بحاجة الى أدلة علم الكلام في ايمانهم بالعقائد لأن ايمانهم ايمانا بسيطا ، أما ايمان الخواص ، ذلك الايمان القائم على البرهان مستقصيا شروط البرهان وأصوله ، حتى لا يبقى في

(٣١) الشعراني : اليواقيت والجواهر ، طبعة مصر ، ١٣٠٧ هـ ،

ذلك الايمان مجال للاحتتمال ، هذا الايمان بهذا المعنى لا يتحقق الا للعلماء وباستخدام أدلة علم الكلام وبراهينه (٣٢) .

ومن هنا يرى أن الاشتغال بعلم الكلام ، من فروض الكفايات فيقول : (اعلم أن التبخر في هذا العلم والاشتغال بمجامة نيس من فروض الأعيان ، وهو من فروض الكفايات ، فأما أنه ليس من فروض الأعيان فقد اتضح لك برهانة في التمهيد الثاني (٣٣) ، اذ تبين أنه ليس يجب على كافة الخلق الا التصديق الجازم ، وتطهير القلب عن الريبة والشك في الايمان ، وانما تصير ازالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك .

فان قلت : فلم صار من فروض الكفايات ، وقد ذكرت أن أكثر الفرق يضرهم ذلك ، ولا ينفعهم ، ما علم أنه قد سبق ان ازالة الشك في أصول العقائد واجبة ، واعتوار الشك غير مستحيل وان كان لا يقع الا في الأقل ، ثم الدعوة الى الحق بالبرهان مهمة في الدين ، ثم لا يبعد أن يثور مبتدع ويتصدى لاغواء أهل الحق بافاضة الشبهة فيهم ، فلا يد ممن يقاوم شبهته بالكشف ، ويعارض اغواءه بالتقبح ولا يمكن ذلك الا بهذا العلم ، ولا تنفك البلاد عن أمثال هذه الوقائع ، فوجب أن يكون في كل قطر من الاقطار ، وصقع من الاصقاع ، قائم بالحق ، فيشتغل بهذا العلم ، يقاوم دعاة المبتدعة ويستميل المائلين عن الحق ، ويصفي قلوب أهل السنة عن عوارض الشبهة (٣٤) .

(٣٢) الغزالي : الجام العوام عن علم الكلام ، ص ٣٨ — ص ٤٢ .

(٣٣) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ، حقيقه وخرج احاديثه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندي ، القاهرة ، ١٩٧٢ التمهيد الثاني ص ١٢ ، ص ١٤ ، ص ١٥ — ص ١٨ .

(٣٤) نفس المصدر ، ص ١٩ — ص ٢٠ ، وهذا أيضا ما ذكره في كتابه احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، ج ١ .

وفى الحقيقة ، يمكن القول ، بذن المرء يمكنه أن يلّمح تناقضاً شئ
موقف الامام الغزالي من علم الكلام ، فهو فى بعض مصنفاته يرى
كفر الفلاسفة والمتكلمين لما احدثوه من بدع ، وتأثر المقلدين بهم
وتعصبهم لهم ، فهو يقول فى كتابه : « فيصل التفرقة بين الاسلام
والزندقة » « اذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب ، صرحنا بأن الخوض فى
علم الكلام ، حرام لكثرة الآفة فيه » (٢٥) . ثم نراه يخوض فى علم
الكلام مبيناً أنه من فروض الكفايات — كما أشرنا — الا أنه فى حقيقة
الأمر لا يتردد فى الخوض فى علم الكلام فى حالين ، الأول : أن تقع
لشخص شبهة لا تزول الا عن طريق أهل الكلام ، اذ تكون هى الدواء
الوحيد لعلته ، والثانى : حالة شخص كامل العقل ، راسخ القدم فى
الدين يود تحصيل هذا العلم ايدأوى به مريضاً وقعت له شبهة أو أن
يفحم به مبتدعاً .

ولعل هذا التردد يرجع الى أن الغزالي كان يبحث عن اليقين وكان
هذا هدفاً رئيسياً لديه ، وقد أبان لنا عن ذلك فى كتابه « المنقذ من
الضلال » ، وهو يعرف العلم اليقيني بأنه ذلك العلم الذى ينكشف فيه
المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ،
ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون
مقارناً لليقين ، مقارنة أو تحدياً باظهار بطلانه — مثلاً — من يقارب
الحجر ذهباً ، والبعضاً شعباناً لم يورث ذلك شكاً أو انكاراً فأنى اذا
عملت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لى قائل : لا بل الثلاثة أكثر ،
بدليل أنى أقلب هذه العصا شعباناً ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم
أشك — بسببه — فى معرفتى ، ولم يحصل لى منه الا التعجب من
كيفية قدرته عليه ، أما الشك فيما علمته فلا ثم عملت : ان كل ما لا

(٢٥) الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، نشرة الكردي
القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٩٩ .

اعلمه على هذا الوجه أولا أتيقنه هذا النوع من التيقن ، فهو علم لا ثقة به ، لا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه ، فليس يعلم يقينى (٣٦) .

وراح الغزالي يبحث عما اذا كان هناك شيء من ذلك العلم فوجد نفسه مضطرا الى استنتاج أن المعرفة الوحيدة التي تتصف بهذه الصفة هي معرفة الحسيات والضروريات ، ولكنه مضى بالشك الى نهايته المنطقية ، فانتهى الى أنها ليست معرفة من النوع اليقيني (٣٧) .

ثم لجأ الى العقل لعله يجد عنده الأمان الذي ينشده ، غير أنه أيضا شك في كون المعرفة التي انتهى اليها العقل تعد من النوع اليقيني أيضا ، ولعله يقصد بالعقل هنا ذلك العقل المنطقي القاصر على الجدل والمقدمات والنتائج ، أى ذلك العقل الفلسفي .

وانتهى الى الطريق الصوفي ، كطريق لتحصيل العلم اليقيني المنشود ، وعبر عن منهجه في الوصول الى اليقين بقوله : « ولم يتن ذلك (أى اليقين) بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور كذفه الله تعالى في الصدر ، ذلك النور هو أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكسف موقوف على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة » (٣٨) .

وهكذا كان الغزالي في بحثه عن اليقين معنيا ببيان عجز العقل الانساني عن الوصول الى معرفة يطمئن اليها القلب وتسكن اليها النفس .

ولما كان علم الكلام عماده على العقل وأدلته ، فمن هنا تردد الغزالي في الأخذ بعلم الكلام لعدم ثقته بالعقل ، ومن هنا يقيم علم

(٣٦) الغزالي : المنقذ من الضلال ، بتحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود ضمن كتاب قضية التصوف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٩ — ص ٣٣٠ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٣٣١

(٣٨) نفس المصدر : ص ٣٢٣

الكلام بأنه علم وفي بمقصوده ، غير واف بمقصودى (أى مقصوده فى الوصول الى اليمين) ، وإنما مقصودة حثف عقيدة أهل السنة ، وحراستها من تشويش أهل البدعة (٢٩) .

وهكذا يكون علم الكلام غير واف بمقصود الغزالى فى الوصول الى اليقين ذلك لعدم ثقته فى منهجهم ، فهو يرى أنهم يبدأون استدلالاتهم بمقدمات ليست يقينية ، وإنما اضطروهم الى التسليم بها منطوق الآيات القرآنية ، أو اجماع الأمة ، أو مجرد التقليد ، فهو لذلك لا يصل فى استدلاله الى اليقين الذى لا يرقى اليه الشك ، وهو مراد الغزالى من العلم اليقيني (٤٠) .

على أن الغزالى نظر الى علم الكلام نظرة خاصة وقاصرة ، من حيث قصر مهمته على نصره مذهب أهل السنة فقط ، الذى يراه أفضل المذاهب لأنه المذهب الجامع — من وجهة نظره — بين النقل والعقل (٤١) وقد تابعة ابن خلدون فى هذه النظرة متابعة تامة (٤٢) .

وهكذا يرجع موقف الغزالى — المتردد — من علم الكلام الى شكه فى منهج المتكلمين ، فضلا عن الموضوعات التى خاضوا فيها وعجز العقل عن الوصول فى بحثها الى علم يقينى ، ومن ثم فهو يأخذ بمذهب أهل السنة لاعتماد هذا المذهب على النقل أكثر من اعتماده على العقل ولتوقفهم عن الخوض فى دقيق الكلام وجليله .

ولرأى الامام الغزالى خطره ، فكثير ما يتعلق به المنكرون لعلم الكلام ، مع أن الغزالى يمكن اعتباره واحدا من أئمة المتكلمين فهو صاحب مذهب

(٢٩) نفس المصدر : ص ٣٣٦

(٤٠) نفس المصدر : ص ٣٣٦ — ص ٣٤٠ .

(٤١) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٨

(٤٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٦ ، ص ٣٦٧ .

فيه ، ناصره ودافع عنه ، وصنف فيه مصنفات لها خطرهما فى تاريخ علم الكلام ، وسوف نرى فيما بعد ، كيف أنه يضع علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية (٤٣)

لعله قد اتضح لنا مما تقدم فائدة علم الكلام ، واستحسان الاشتهال به ، لنصرة الدين ، وقمع المخالف بالحجة لا بالقوة ، ورد شبهات الخصوم ، وان كان البعض قد تحفظ بعض التحفظات سواء من ناحية الموضوع أو المنهج فى علم الكلام .

ولهذا نجد انه بالرغم من الموجة الشديدة التى قابلها علم الكلام من الاستتكار من قبل الفقهاء والمحدثين والصفوية ، فان ذلك لم يمنع ان يكون علم الكلام ضمن العلوم الاسلامية ، بل وان يكون لبعض أئمة الفقه آراء كلامية ، وما ذلك الا لأن علم الكلام لم ينشأ ترفا ولا عبثا ، وانما اضطر اليه المتكلمون اضطرارا ، حين سمعوا الباطل فلم يسعهم السكوت ، وحين رأوا الهجوم الفكرى من أصحاب الديانات الأخرى الذين غلبهم الاسلام على أمرهم ، فلم يكن هناك بد من الدفاع .

فلقد روى عن الامام أبى حنيفة (ت ١٥٠ هـ) ذمة لعلم الكلام (٤١) ومع ذلك فقد نسب اليه مصنفات فى علم الكلام حيث نسب اليه كتاب « الفقه الأكبر » (٤٤) ،

(٤٣) انظر كلامنا فيما بعد عن منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية .
(٤٤) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٦٧

(٤٥) رواه ابو مطيع وهو : ابو مطيع الحكم بن عبد الله القرشى (ت ١٩٩ هـ) وهو من أصحاب أبى حنيفة (انظر ابن حجر لسان الميزان ، طبعة الهند ، ١٣٢٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٣٤) .
وقد نشر كتاب الفقه الأكبر نشرات كثيرة فى الهند ومصر ووضعت له شروح كثيرة أيضا ، ومن أشهر شروحه شرح أبى منصور الماتريدى

(ت ٣٣٢ أو ٣٣٣ هـ) (انظر نشرة حيدر اباد الدكن ، ١٣٢١ هـ) ويغال
ان هذا الشرح هو رواية لابي الليث السمرقندى (ت ٣٧٣ هـ) ، وليس
للماتريدى ، وقد شرحه أيضا أبو المنتهى (احمد بن محمد المقيسوى) طبع
بالقاهرة ، ١٣٢٥ هـ) وايضا شرح ملا على القارى (طبع بالقاهرة ، ١٣٢٥ هـ)

وقد تطرق الشك فى نسبة هذا الكتاب لابي حنيفة ، على اعتبار
انه احتوى على مشكلات كلامية ، لم تثر فى عصره فهو يحتج على الاشعري
والاشعرية ، وهى متأخرة عن ابي حنيفة بقرنين من الزمان ، وهناك آراء
ترى ان ما بين ايدينا ليس هو كتاب الفقه الاكبر ، وانما الكتاب الحقيقى
كتاب فى الفقه حوى نحو ستين ألف مسألة (انظر أحمد أمين : ضحى
الاسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، على
ان هناك آراء اخرى ترى ان هذا الكتاب لابي حنيفة غير ان هناك زيادات
اضيفت اليه تمس موضوعات لم تكن ماثرة فى عصره فيرى الامام أبو زهرة
ان ما وصلنا من هذا الكتاب لا يخرج عن ورقات تمثل رسالة صغيرة
(انظر : الامام أبو زهرة الامام ابو حنيفة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ،
ص ١٦٧ — ص ١٦٨) ، ويرى الدكتور النشار رأيا قريبا من هذا حيث
يقرر ان هناك موضوعات زيدت على الكتاب لم تكن ماثرة فى عصر ابي
حنيفة ، غير انه يقرر ان الكتاب يحتوى على مجموعة الآراء التى يؤيدها
أبو حنيفة فى أغلب الاحايين (انظر الدكتور انشار : نشأة التفكير الفلسفى
فى الاسلام ، ج ١ ، ص ٣٣٤) .

غير اننا نجد فى نصوص المؤرخين القدامى ما يفيد صحة نسبة هذا
الكتاب الى ابي حنيفة تذكر منها : ما يقرره ابو المظفر الاسفراينى (ت ٤٧١ هـ)
فى معرض بيانه لاتفاق آراء اهل السنة والجماعة مع اهل الراى والحديث
حيث يقول : (ومن أراد ان يتحقق ان لاختلاف بين الفريقين فى هذه الجملة
فلينظر فيها صانعة ابو حنيفة رحمه الله فى الكلام ، وهو كتاب « العلم »
وفيه الحجج الشاهرة على اهل الالحاد ، والبدعة وقد تكلم فى شرح اعتقاد
المتكلمين ، وقرر احسن طريقة فى الرد على المخالفين وكتاب (الفقه
الاكبر) الذى اخبرنا به الثقة بطريق معتد ، واسناد صحيح ، عن نصير
ابن يحيى عن ابي مطيع عن ابي حنيفة فى الوصية التى كتبها الى ابي عمرو
عثمان البتى ورد فيها على المبتدعين) (انظر ابو المظفر الاسفراينى :
التبصير فى الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ،
الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ م ص ١٨٤) .

ورسالة الى البتني^(٤٦) وكتاب « العالم والمتعلم »^(٤٧) وكتاب الرد على القدرية^(٤٨) .

كما يقول أيضا البزدوى (ت ٤٨٢ هـ) « وقد صنف أبو حنيفة رضى الله عنه ، فى ذلك (اى فى علم التوحيد والصفات) كتاب « الفقه الأكبر » ، وذكر فيه اثبات الصفات واثبات تقدير الخير والشر من الله ، وان ذلك كله بمشيئته ، واثبت الاستطاعة مع الفعل ، وان أعمال العباد مخلوقه يخلق الله تعالى اياها كلها ، ورد القول بالاصلاح ، وصنف « العالم والمتعلم » وكتاب « الرسالة » وقال لا يكفر أحد بذنب (ردا على قول الخوارج) ولا يخرج به من الايمان ، ويترحم عليه (انظر البزدوى : اصول الفقه دار السعادة ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ، ج ١ ، ص ٢٠٢) .

وقد اقر طاش كبرى زاده (ت ٩٤٨ هـ) يصح نسبة هذا الكتاب لابي حنيفة (انظر طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج ٢ ، ص ٣٨) .

ويبدو ان ابا حنيفة حدد فى هذا الكتاب الآراء التى أخذ بها أهل السنة تحديدا دقيقا ، كما رأينا فى قول الاسفراينى وكذلك البغدادى من حيث انها تطابق آراء أهل السنة فيما بعد فضلا عن ان أهل السنة يعتبرون ابا حنيفة فى سندهم (انظر الدكتور جلال موسى : نشأة الاشورية وتطورها ، ص ٢٠) (وانظر ايضا تفصيل مذهب ابي حنيفة الكلامى عند الدكتور النشار فى نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ، ص ٣٢٤ وما بعدها) .

(٤٦) وهى رسالة الى امام أهل البصرة عثمان بن مسلم البتني فى الإرجاء ، حيث أن ابا حنيفة كان على شئ من الإرجاء ردا على الخوارج وقد أورد القاضى عبد الجبار المعتزلى مناقضت له مع عمرو بن عبيد المعتزلى فى الإرجاء (انظر للمؤلف كتاب عمرو بن عبيد ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٥ م ، ص ١٥٥) . وقد نشر هذه الرسالة زاهد الكوثرى (طبعة القاهرة ، ١٣٦٨ هـ) .

(٤٧) وهو كتاب رواه عن مقاتل بن سليمان المفسر المشهور ، وبه بعض آرائه الكلامية والسياسية ، نشرة الكوثرى (القاهرة ١٣٦٨ هـ) ويتضح من هذا المؤلف أن ابا حنيفة خاض فى مسائل كلامية كثيرة مثل : الكلام فى حقيقة الايمان وما يتعلق بها من الاسماء ، والاحكام المقابلة لها ، وفى الصفات ، والقضاء والقدر ، والحكم على مرتكب الكبيرة .

(٤٨) هذا الكتاب رد فية على اصحاب مذهب الجبر المطلق (الجهمية)

والى أبى حنيفة يرجع تسمية علم الكلام بالفقه الأكبر ، وهو يراه اصل للفقه الذى يطلق عليه (الفقه الأصغر) ، ويجوز الاشتغال به لأن فضله التفقه فى الدين فيقول : (الفقه فى الدين أفضل من الفقه فى العلم ، لأن الفقه فى الدين اصل والفقه فى العلم فرع ، وفضل الاصل على الفرع معلوم ، قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » أى يوحّدون بالتعلم المبني على الدين ، فصار الدين هو التوحيد ، والعلم هو الديانة يعنى الشرائع وهو يعد بعد التوحيد ثم الدين عقد على الصواب ، والديانة سيرة على الصواب (٤٩) لهذا سمي أبو حنيفة علم الكلام بالفقه الأكبر ، فى مقابل الفقه الأصغر .

كما روى عن الامام مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) كراهيته للخوض فى علم الكلام (٥٠) واعتبر المتكلمين أهل بدعة (٥١) الا أن ذلك لم يمنع من أن يكون له مذهب كلامى يحارب فيه التشبيه والتجسيم بوجه عام ،

فلقد ذكر الكعبى قول أبى حنيفة فى القدر ، فيقول : والمشهور عنه ايضا بالاضافة الى القول بالقدر ، ان الاستطاعة وان كانت مع الفعل ، فانها تصلح لأمرين ، ويقصد الطاعة والمعصية أو الخير والشر (انظر : الكعبى : باب ذكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ، ضمن كتاب (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) اكتشف المخطوطة وحققتها فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠٤ — ص ١٠٥ ، وايضا القاضى عبدالجبار فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة بتحقيق فؤاد السيد ، تونس ١٩٧٤ م ، ص ٣٤٤) *

(٤٩) ابو منصور الماتريدى : شرح الفقه الأكبر ، ص ٦
 (٥٠) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى روايته وحمله ص ١٥٣ — ص ١٥٥ وايضا : الزواوى : مناقب الامام مالك ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ، ص ٣٧ — ص ٣٨

(٥١) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٦٦ وهو ينقل عن السيوطى : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .

فان عبارته المشهورة : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ، برغم انها تفيد ظاهريا محاربة المتكلم فى الصفات ، الا أنها تشير الى التثنية فى مقابل المشبهة والمجسمة ، والى استخدام طريقة التفويض فى معالجة مسألة الصفات ، ويمكن القول بأن هذه العبارة كانت أساسا لرأى الأشعرى — فيما بعد — فيما يتعلق بالصفات (٥٢) .

كما روى عنه الكعبى (٥٣) ، والقاضى عبد الجبار (٥٤) القول بانكار القول بالتقدير .

وينسب الى مالك انه صنف رسالة الى « ابن وهب » فى « التقدير والرد على القدرية » ، ذكرها القاضى عياض ، وأن غير واحد من شيوخه قد حدثه بها بأسانيدهم المتصلة الى مالك ويسوق لذلك أسانيد يصف رجالها بالصحة والثقة ، وقد وصفها القاضى عياض بأنها من خيار الكتب الدالة على سعة علم مالك بهذا الفن ولا يشك الاستاذ أمين الخولى فى نسبة هذه الرسالة الى مالك لما عرف عن مالك من كراهية لأهل الأهواء ولعنه القدرية بصفة خاصة وفى الحقيقة لم تصل إلينا هذه الرسالة حتى يمكن الحكم بأنه صاحب مذهب كلامى (٥٥) .

لسنا بهذا نريد أن نشبت ان للامام مذهبها كلاميا يمكن به أن يدرج

(٥٢) الدكتور النشاز : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢٤٤ .

(٥٣) الكعبى : باب ذكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٧٨ .

(٥٤) القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٣٣٥

(٥٥) انظر : الدكتور جلال موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ص ٢ ، وانظر أمين الخولى : مالك بن انس ، طبعة القاهرة بدون تاريخ ص ٤٦٤

فى عداد المتكلمين وانما غرضنا القول بأن له آراء ، ووجهات نظر كلامية ، فلقد كان كثير التعويل على النقل محافظا على ظاهر النفس .

والامام الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) يعد المتكلم الثانى بعد الامام أبى حنيفة ولقد روى الكثير من الآثار التى استدل بها البعض على كراهيته لعلم الكلام ، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن كراهيته لم تكن موجهة الى علم الكلام فى ذاته — وانما كانت موجهة الى أهل الأهواء والبدع ، المنحرفين عن عقيدة أهل السنة ، وقد استدل البعض على هذا مما أورده جواد زيهـر من كلام الشافعى فى قوله : « حكى على رجال الكلام ، انهم يجب ان يضربوا بالسياط والنعال ، وان يطاف بهم مشهرين فى المـجامع والتبائل وينادى عليهم : هذا جزاء من ينبذ علم القرآن والسنة من ناحية وينكب على علم الكلام ، وهو علم ان اصاب المرء فيه لم يؤجر وان اخطأ فيه كفر » (٥٦) فقد استنتج جواد زيهـر من هذا القول كراهية الشافعى لعلم الكلام فى ذاته . وقد سبق ايضا للفخر الرازى أن انتهى الى نفس النتيجة (٥٧) .

ولكن مما يجعلنا نشك فى هذه النتيجة ما يلى :

أولا : لقد درس الشافعى كلام المتكلمين واجاده فهو يقول عن نفسه فيما رواه الفخر الرازى (لقد دخلت فيه — أى فى علم الكلام) حتى بلغت مبلغا عظيما (٥٨) فلا يتصور أن يبلغ فى علم هذا المبلغ ، ووبنكره هذا الانكار .

(٥٦) جواد زيهـر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ ، ص ١١٤ .

(٥٧) الرازى : مناب الشافعى ، طبعة مصر ، بدون تاريخ ، ص ٤٠ .

(٥٨) نفس المصدر : ص ١٣٦ .

ثانيا : ان له كلاما كثيرا فى أبواب التوحيد المختلفة (٥٩) ورأيه فى
القضاء والقدر ، والايمان (٦٠) .

ثالثا : نسب اليه البغدادى فى اصول الدين كتابين فى الكلام
احدهما تصحيح النبوة والرد على البراهمة ، والثانى : فى الرد على
اهل الأهواء ، وان صح ذلك فانه يدل دلالة قاطعة على أن له آراء
كلامية (٦١) .

رابعا : ان الشافعى عاصر المعتزلة ، ولم يوافقها فى استخدام العقل
فأثر الاتباع على الابتداع ، أى أثر النقل على العقل ومن هنا كان
نقده لعلم الكلام فى الثوب المعتزلى على اعتسار ان المعتزلة كانت
مسيطرة على المساحة الكلامية فى عصره ، فقد ناظر ينشر المريسي الفقيه
المشهور ، كما تروى المصادر رده على القدرية (٦٢) .

أما الامام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .

فلقد نسب اليه كراهيته لعلم الكلام ، حتى وان كان الخوض
فيه لنصرة السنة والجماعة واغلب الظن ان هذه الكراهية لعلم الكلام
ترجع الى ما عاناه الامام من المحنة ، والتي جعلته المتكلم المرسوم
باسم السلف وتجرد منذ ذلك الوقت لبيان عقيدة السلفية ، فقد اعلن
أمام القاضى بن أبى دؤاد انه ليس صاحب كلام .

(٥٩) نفس المصدر : ص ٤٠ — ص ٤١ .

(٦٠) نفس المصدر : ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ وايضا الاسفراينى

التبصير فى الدين ، ص ٩٤ — ص ٩٥ ، ص ٩٩ .

(٦١) البغدادى : اصول الدين ، طبع مدرسة الالهيات ، بدار الفنون

التركية استانبول ، ١٣٤٦ هـ ص ٤٠٨ .

(٦٢) الاسفراينى : التبصير فى الدين ص ٩٩ وانظر الدكتور النشار

نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٧ والدكتور

جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، ص ٢٨ — ص ٢٢ .

ويبدو أن نفيه لكونه واحدا من المتكلمين ، كان يعنى انه ليس واحدا من الذين يكرهون علم الكلام لذاته ، وانما يكرهون علم الكلام القائم على الجدل ، والخوض فى موضوعات لم يخض فيها السلف الصالح .

ولقد نسب اليه رسالة فى الرد على الرنادقة والجهمية (٦٣) ولقد خاض ابن حنبل فى مسائل كلامية لها خطرها (٦٤) .

فمع غلبة الفقه والحديث على هؤلاء الاقطاب الأربعة لم تخل مذاهبهم من آراء كلامية ومن الخوض فى علم الكلام .

هذا عن الموقف من علم الكلام ، عرضنا فيه لأراء المخالفين للخوض فى علم الكلام ، ومدى تحفظهم فى الخوض فيه ردا على البدعة ، كما عرضنا آراء الأئمة من استحسان الخوض فيه ، ويمكننا الانتهاء الى القول بأن علم الكلام — من العلوم الشرعية ، التى يستحسن الخوض فيه لفائدته فى الدفاع عن الدين ، وننتقل الى بيان ، مزاياه من العلوم الشرعية .

(٦٣) قام بنشر وتحقيق هذه الرسالة ، الدكتور على ساجى النشار وعبار الطالبي ، ضمن كتاب عقائد السلف ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٠ .

(٦٤) انظر : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، لابن الفضل صالح أحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، دار الدعوة الاسكندرية الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٩ — ص ٦٦ اخبار الحنابلة ص ٦٦ رايه فى القرآن ، ص ٧٩ قوله فى الايمان ، وابن الجوزى ٢١٥٩ ص ١٦٥ ، ص ١٦٨ ، ص ١٧٣ ، ص ١٧٦ .

والشيخ أبو زهرة : أحمد بن حنبل ١٣٦٧ هـ ص ١٣٩ — ص ١٤٠ وانظر أيضا الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، ص ٣٢ — ٣٦

٣ - منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية :

يمكن القول بان علم الكلام ليس فقط واحدا من العلوم الشرعية بل هو رئيس العلوم الشرعية قاطبة ، ذلك لان سائر العلوم الشرعية مستندة اليه استناد الفروع على الاصل ، لأن فيه تثبت موضوعاتها ، طالما كان موضوعه متعلقا بالعقائد واثباتها .

فيقول الابجى فى بيان مرتبة علم الكلام من العلوم الشرعية بناء على موضوعه ، وغايته ، فيقول: «ان موضوعه أعم الأمور وأعلاها وغايته أشرف الغايات وأجداها ودلائله يقينية يحكم بها صريح العقل وقد تأيدت بالنقل وهى الغاية فى الوثاقة ، وهذه هى جهات شرف العلم لا تعدوها فهو أشرف العلوم ... وهو العلم الأعلى فليست له مبادئ تبين فى علم آخر ، بل مبادئه اما مبينة بنفسها أو مبنية فيه فهى مسائل له ، ومبادئ مسائل أعر منه لا تتوقف عليها ، لئلا يلزم الدور فمنسه تستمد العلوم ، وهو لا يستمد من غيره ، فهو رئيس العلوم على الاطلاق » (٦٥) .

ويفضل التهانوى هذا القول فيقول : « والكلام هو الاصل اذ تنتهى اليه العلوم الشرعية كلها وفيه تثبت موضوعاتها وحيثياتها ، فليست له مبادئ تبين فى علم آخر شرعيا أو غيره بل مبادئه إما مبنية بنفسها أو مبينة فيه ، فهى ، أى فتلك المبادئ المبنية فيه ، مسائل له من هذه الحيثية ومبادئ مسائل آخر منه لا تتوقف عليها لئلا يلزم الدور ، فلو وجدت فى الكتب الكلامية مسائل لا يتوقف عليها اثبات العقائد اصلا . ولا دفع الشبه عنها فذلك من خلط مسائل علم آخر به تكثيرا للفائدة فى الكتاب ، فمن الكلام يستمد غيره من العلوم الشرعية

(٦٥) الابجى : الواثق ص ٨ .

وهو لا يستمد من غيره أصلا ، فهو رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق بالجملة .

فعلماء الاسلام قد دونوا لاثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وافعاله وما يتفرع عليها من مباحث النبوة والمعاد علما يتوصل به الى اعلاء كلمة الحق فيها ، ولم يرضوا ان يكونوا محتاجين فيه الى علم آخر أصلا ، فاخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد والمباحث النظرية التي تتوقف عليها تلك العقائد ، سواء أكان توثقها عليها مواد أدلتها ، أو باعتبار صورها . وجعلوا جميع ذلك مقاصد مطلوبة في علمهم هذا ، فجاء علما مستغنيا في نفسه عما عداه ، ليس له مبادئ تبين في علم آخر (٦٦) .

وهكذا تستند العلوم الشرعية الى عم الكلام ، فيستند اليه الفقه — مثلا — استناد الفرع على الأصل ، ذلك لان علم الفقه يرتبط بالعمل والعمل فرع على النظر والاعتقاد .

وعلم التصوف يستند اليه ايضا ، ذلك لأن التصوف يبحث في الأحكام الشرعية — نظرية كانت أو عملية — من ناحية آثارها في قنوب المتعبدين بها ، من حيث يعنى بجانب السلوك والاخلاق على أساس من التذوق الروحي والوجدان القلبي ، ومن هنا فهو يستند الى علمي الكلام والفقه ، اذ لا بد للصوفي على الحقيقة من علم كامل بالكتاب والسنة لكي يصح اعتقاداته وعباداته ومعاملاته على اختلافها .

ولهذا يقرر الدكتور التنتازاني ان انفصال هذه العلوم (يعنى : علم الكلام ، والفقه ، والتصوف) ، والتميز بينها ، انما هو أمر اعتباري فقط ، ذلك لان هذه العلوم يمكن ان تتدرج تحت اسم واحد ، هو الشريعة ، وجاء هذا الانفصال والتميز نتيجة التخصص العلمي

(٦٦) التنهاوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، مجلد (١) مادة كلام .

الدقيق ، وهو أمر ظهر في الاسلام في وقت متأخر ، أما قبل ذلك فكان اسم الفقه يطلق ليس فقط على العمليات من الشرع ، وإنما أيضا على الاعتقادات والاخلاق (٦٧) .

وهذه المكانة الهامة لعلم الكلام ، يمكن ان نلمسها بشكل واضح في تصنيف العلوم عند العرب ، والذي قام عندهم على بيان تصورههم للمعرفة البشرية ، وتوضيح علاقات اجزائها بعضها ببعض موضحين ترتيب العلوم من حيث الخصوص والعموم ، ومبينين حدودها والعلاقات القائمة بينها (٦٨) .

فالقارابي ، هو أول مفكر اسلامي عنى بتصنيف العلوم في كتاب من أهم كتبه يحمل هذا العنوان هو « احصاء العلوم » (٦٩) والذي يحدد في مقدمته غرضه من هذا الاحصاء وهو : « احصاء العلوم المشهورة في عصره ، علما علما ، وتعيين غرضها بالدقة اللازمة ، وبيان مجمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، واجزاء كل ماله اجزاء ومجمل ما في كل واحد من اجزاء » (٧٠) وبهذا يستطيع الانسان ان يقايس بين العلوم فيعلم ايها افضل ، وايها ارفع ، وايها اتقن ، وأوثق وأقوى وايها أوهن ، وأوهى وأضعف (٧١) .

(٦٧) الدكتور أبو الوفا الغنيمي الثقفاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٥ - ص ٦ .

(٦٨) انظر تفصيلا المقصود بتصنيف العلوم : الدكتور جلال موسى منهج البحث العلمي عند العرب ، في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، درا الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ م ص ٥٥ - ص ٥٦ وأيضا الدكتور محمد علي أبو زيان تصنيف العلوم بين القارابي وابن خلدون ، بحث بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد التاسع ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٩٧ - ص ١٢٢ .

(٦٩) قام بتحقيقه تحقيقا علميا الاستاذ الدكتور عثمان أمين دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ .

(٧٠) نفس المصدر : ص ٥٣ .

(٧١) نفس المصدر : ص ٥٣ - ص ٥٤ .

يخصص الفارابي في كتابه هذا ، الفصل الخامس لتعلم المدني
واجزائه ، علم الفقه وعلم الكلام (٧٢) .

فيقدم لنا تعريفا لعلم الكلام بانه : صناعة وهو ملكة يقندر بها
الانسان ، على نصره الآراء ، والافعال المحدودة التي صرح بها واضح
الملة ، وتزبيف كل ما خالفها بالأقاويل .

ويرى ان له جزأين : الأول يدور حول الآراء ، والثاني حول
الأفعال اما ما يدور حول الآراء : فهو ما يتعلق بمسائل : التوحيد ،
وذات الله ، وصفاته ، وافعاله ، اى ما يمس الأصول الاعتقادية .

أما ما يدور حول الافعال : فهو ما يتعلق بأفعال الانسان مثل :
الجبر والاختيار ، ومشكلة الامامة ، وغيرها من مباحث تتعلق بسلوك
الفرد والجماعة منظور اليها من جهة الفعل الانساني .

والملاحظ في تصنيفه انه يميز بين الفقه والكلام ، فيذهب الى
القول بان صناعة الكلام غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأنعال
التي يصرح بها واضح الملة مسلمة ويجعلها اصولا ، فيستنبط منها
الاشياء اللازمة عنها ، والمتكلم ينصر الاشياء التي يستعملها الفقه
اصولا ، من غير ان يستنبط منها اخرى ، فاذا اتفق ان يكون لانسان
ما قدرة على الأمرين جميعا فهو فقيه ومتكلم ، فتكون نصرته لها بما
هو متكلم واستنباطه عنها بما هو فقيه (٧٣) .

ويمكن اعتبار هذا التمييز بين علم الكلام والفقه والذي يورده ،
الفارابي ، تمييز اعتباريا ، بدليل قوله ان الانسان يمكن ان يجمع

(٧٢) نفس المصدر : ص ١٢٤ — ص ١٢٨ ، ويعتبره الدكتور عثمان
أمين من امتع فصول الكتاب ، ص ١٢ من المقدمة .

(٧٣) نفس المصدر : ص ١٣١ — ص ١٢٢ .

بينها ، فضلا عن انه يدخلهما ضمن دائرة واحدة وهي دائرة العلم
المدنى وهذا الربط فى اعتبارنا ربط محكم للعلاقة بينهما .

ومن الملاحظ ايضا انه يعتبر علم الكلام والفقه ، صناعتين زائدتين
على الفلسفة ، ومتأخرين بالزمان عنها ، وان كان يضعهما ضمن اقسام
الفلسفة العملية ، وهذه نظرة صائبة فى النظر الى علم الكلام ، لان علم
الكلام وان اتصل بالفلسفة من حيث استخدام النظر العقلى فى كل
منهما على اختلاف المنهج فيهما ، الا ان علم الكلام يعد علما اسلاميا
دينيا خالصا ، وليس فلسفيا ، ذلك لان صلته بالفلسفة صلة عرضية
لا جوهرية ، وعلم الفقه علم اسلامى خالص لا صلة له بالفلسفة
ايضا ، ولكن يبدو انه لصلة علم الكلام والفقه بالعمل قد ادرجهما ضمن
القسم العلمى للفلسفة ، أى اوردهما ضمن العلوم التى تتعلق بالعمل
والسلوك ذك لأنه يرى ان المقصود بعلم الكلام ليس فقط حصول رأى
أو اعتقاد يقينى فحسب ، بل حصول صحة رأى لأجل عمل (٧٤) وهذا
مما حدى بجارديه الى القول بأن تصنيف الفارابى تصنيف مصطنع
ليستوعب العلوم الاسلامية كالفقه والكلام (٧٥) غير أن جارديه له
موقف آخر فى بحث تال لذلك يرى فيه أن وضع هذين العلمين فى
دائرة الفلسفة العلمية عند الفارابى انما هو ثمرة حقيقية لتوفيق بين
الدين والفلسفة التى اتسمت بها فلسفة الفارابى التوفيقية (٧٦) .

وينتهى الفارابى فى هذا الفصل الى تحليل بارع يبسط فيه
موقف المتكلمين ، ويصور وجهة نظرهم فى الدفاع عن الدين فيذكر ان

(٧٤) الدكتور عثمان امين : مقدمة تحقيقاته لاحصاء العلوم للفارابى

ص ١٣ .

(٧٥) جارديه والآب فنواى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام

والمسيحية ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٧٦) جارديه : التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابى ، مجلة

الفارابى والحضارة الانسانية ، مهرجان الفارابى ، بغداد ، ١٩٧٥ ص ١٢٩

شقيقا منهم يرون ان ينصروا الملل بقولهم ان عقائدنا مأخوذة عن وحى
الهى ، فلا ينبغي ان نخضع للنقد ، لأن فيها أسراراً الهية ، تضعف
العقول البشرية عن ادراكها (٧٧) .

وإذا ما انتقلنا الى تصنيف اخوان الصفا ، نجد انهم يضعون
بطريق غير مباشر ، علم الكلام ، ضمن القسم الثالث من علومهم ،
أى ضمن مجموعة العلوم الالهية ، حيث يوردون فى هذا القسم كل
الموضوعات التى تعالج عامة ضمن مباحث علم الكلام ويبدو أنهم بهذا
يعتبرون علم الكلام جزءاً من العلوم الفلسفية ولا يضعونه ضمن مجموعة
العلوم الشرعية التى افردوا لها القسم الثانى من علومهم (٧٨) .

ويبدو أن هذا رأى خاص لأخوان الصفا ، يرجع الى نزعتهم
الفلسفية التى جمعوا فيها مختلف التيارات الفلسفية الشائعة قاصدين
تفسير الدين تفسيراً فلسفياً عقلياً ، معتمداً على النظر الى الدين نظرة
باطنية صوفية ومعتمدين فى فهمهم للدين على العلوم الطبيعية (٧٩) .
وفد جاء تصنيف ابن النديم فى كتابه « الفهرست » مبرزاً لمكانته
علم الكلام بين العلوم ، فلقد جاء كتابه فى عشر مقالات خصص بمقاله
بأكملها لعلم الكلام وهى المقالة الخامسة فى الكلام والمتكلمين وجاءت
هذه المقالة فى خمسة فنون جاءت الاربعة الأولى منها تشرح نشأة
علم الكلام ، وتورد أسماء المتكلمين ومصنفاتهم ، فجاءت على النحو
التالى :

(٧٧) الدكتور عثمان امين : مقدمة تحقيقه لاحصاء العلوم للفارابى ،
ص ١٣ .

(٧٨) جاردية والآب فنوانى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام
والمسيحية ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٧٩) حنا الفاخورى ، وخليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، دار
المعارف ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

الفن الأول فى ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة
واسماء كتبهم (٨٠) .

الفن الثانى : فى اخبار العلماء ، وأسماء ما صنفوه من الكتب
ويحتوى هذا الفن على أخبار متكلمى الشيعة الامامية والزيدية (٨١) .

الفن الثالث : يحتوى على اخبار متكلمى الجبيرة والحشوية واسماء
كتبهم (٨٢) .

الفن الرابع : اخبار المتكلمين من الخوارج (٨٣) .

أما الفن الخامس فقد جمع فيه بين المتكلمين والصوفية معا ،
فجاء فى أسماء الرحالة ، السائح والزهاد ، والعباد والتصوفة
المتكلمين على الخطرات والوساوس (٨٤) .

والملاحظ على تصنيف ابن النديم أنه أبرز علم الكلام بشكل واضح
فقد جعله يشغل مقاله بأكملها من ضمن عشر مقالات . كما يلاحظ أيضا
انه جمع الصوفية مع المتكلمين مما يدل على مدى الارتباط بين علمى
الكلام والتصوف — كما ذكرنا — وبخاصة فى القرن الرابع الذى عاش
فيه ابن النديم (٨٥) .

(٨٠) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٧٢ — ص ١٧٥ .

(٨١) نفس المصدر : ص ١٧٥ — ١٧٩ .

(٨٢) نفس المصدر : ص ١٧٩ — ص ١٨١ .

(٨٣) نفس المصدر : ص ١٨٢ — ص ١٨٣ .

(٨٤) نفس المصدر : ص ١٨٣ — ص ١٩٨ .

(٨٥) قارن جاريدية : فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية

ج ١ ، ص ٢٠٢ .

أما الخوارزمي فقد أورد في تصنيفه الذي جاء في كتابه (مفاتيح العلوم) سائر علوم عصره ، فأوقفنا على الحياة العلمية التي كانت عليها بغداد في القرن الرابع الهجري ، وان كان قد اقتصر في تصنيفه على وصف واحصاء العلوم ، ولم يهتم بذكر مراتبها •

واشتمل كتابه على مقالتين جاءت الأولى في ستة أبواب ذكر فيها العلوم الشرعية ، وما يتصل بها من العلوم العربية مثل الفقه ، والكلام والنحو ، والكتابة والشعر ، والعروض ، والأخبار وجاءت الثانية في تسعة أبواب أورد فيها علوم اليونان وغيرهم من الأمم وهي : الفلاسفة والمنطق ، والطب ، وعلم العدد والهندسة ، وعلم النجوم ، والموسيقى ، والحيل ، والكيمياء (٨٦) •

احتل علم الكلام الباب الثاني من المقالة الأولى ، وجاءت في سبعة فصول جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول في مواضع متكلمى الاسلام فيما بينم (أى في المصطلحات التي يستخدمها المتكلمون) (٨٧) •

الفصل الثاني : في ذكر ارباب الآراء والمذاهب من أهل الاسلام (أى في الفرق والمذاهب) (٨٨) •

الفصل الثالث : في ذكر اصناف النصارى ، ومواضعاتهم (٨٩) •

الفصل الرابع : في ذكر اصناف اليهود ، ومواضعاتهم (٩٠) •

(٨٦) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص ٥ •

(٨٧) نفس المصدر : ص ١٧ — ص ١٨ •

(٨٨) نفس المصدر : ص ١٨ — ص ٢٣ •

(٨٩) نفس المصدر : ص ٢٣ •

(٩٠) نفس المصدر : ص ٢٤ •

الفصل الخامس : فى ذكر ارباب الملل والنحل (٩١) .

الفصل السادس : فى ذكر عبدة الاوثان من العرب واصنافهم (٩٢) .

وهكذا جاءت الفصول الأربعة الأخيرة فى الفرق الغير اسلامية .

الفصل السابع : فى وصف الأبواب التى يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين (٩٣) وفيه عرضا موجزا للمسائل التى يعالجها

المتكلمون .

وهكذا احتل علم الكلام منزلة هامة فى تصنيف الخوازمى فأفرد له بابا بأكمله وان كان قد أورده بعد الفقه ، لأقبله ويبدو أن هذا راجع — كما ذكرنا — الى ان الخوازمى كابن النديم اعتمد تصنيفهما العلوم على مجرد الاحصاء والوصف ، ولم يهتم كلاهما ببحث مراتب العلوم .

ونود ان نشير هنا الى مكانة علم الكلام عند الغزالى الذى أورده فى كتابه احياء علوم الدين حيث قسم العلوم الى : علوم شرعية ، وعلوم غير شرعية ، ووضع علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية .

وهو كما سبق أن اوضحنا أن علم الكلام فرض من فروض الكفايات فيقول موضحا موقف الشرع من علم الكلام : أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والابحار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو اما مجادلة ذمومة وهى من البدع — كما سيأنى بيانه — وأما مشاغية بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التى اكثرها ترهات وهذيانا تزدريها الطباع

(٩١) نفس المصدر : ص ٢٥ — ص ٢٦ .

(٩٢) نفس المصدر : ص ٢٦ — ص ٢٧ .

(٩٣) نفس المصدر : ص ٢٧ — ص ٢٨ .

وتمجها الاسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ، ولم يكن شىء منه مألوفاً فى العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع . ولكن تغير الآن حكمه ، اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ، ونبتت جماعة لفقوا لها شبيها وزينوا فيها كلاما مؤلفا ، فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة ، مأذونا فيه ، بل صار من فروض الكفايات » .

فهو يرى هنا ان علم الكلام ، علم ينشط بظهور الشبهات ضد الاسلام ، فهو يتفق مع الامام أحمد بن حنبل فى النهى عن علم الكلام ، عندما لا يكون هناك حاجة اليه ، أى نهى عنه بالنسبة للعوام ، ولم يبه عنه بالنسبة للخواص ، وكذلك الجوينى ، الذى قال — بعد ان قضى أكثر من ثلاثين عاما يدفع الشبهات التى كانت سائدة حول العقيدة « والآن ارجع الى دين العجائز » يقصد بذلك انه استخدم علم الكلام بقدر ما دفع به الشبهات ، أما وقد استقرت العقائد فى الازهان نقية خالصة ، فليس هناك ما يدعو الى علم الكلام (٩٤) .

وفى الرسالة اللدنية يعطى لعلم الكلام منزلة هامة فهو يعتبره من العلوم الشرعية ، التى يقسمها الى جزأين عظيمين ، الأول علم الأصول والثانى علم الفروع أو العلوم العملية .

ويضع على قمة العلم النظرى أو علم الأصول علم التوحيد والذى يسمى بعلم الكلام ، ويرى ان موضوع هذا العلم ذات الله وصفاته ، والأنبياء ، والصحابة والحياة والموت والاخرويات ويحدد أصول ذلك العلم بانها : القرآن أولا ثم السنة ، ثم الدلائل العقلية والبراهين

(٩٤) الدكتورة فوقية حسين محمود : مدخل الى الفكر الاسلامى ص ٥٨ — ص ٥٩ .

القياسية بعد ذلك ، على أن هذه الأصول الأخيرة تستخدم المنطق و اجزائه المختلفة استخدامها لكافة (٩٥) .

وهكذا يعطى الغزالي لعلم الكلام اهمية خاصة فى هذه الرسالة وعلى أية حال ، فمهما اختلف موقفه منه من حيث الأهمية كما ابنا سابقا ألا أن وقفه ثابت من حيث اعتباره علم من العلوم الشرعية .

أما موقف ابن خلدون من علم الكلام فيمكن ان نلمسه من خلال تصنيفه للمعلوم والذي أورده فى مقدمته .

جاء تصنيف العلوم فى مقدمة ابن خلدون مبينا بوضوح العلوم التى كانت على عصره ، أى فى القرن الثامن الهجرى وهو عصر الركود والانحلال والتأخر بالنسبة للعلم والحضارة الاسلامية بوجه عام ، ولهذا غلبت على هذا العصر روح الجمع وتدوين المصنفات الضخمة ، خوفا من ضياع التراث بعد هجمات التتار وغيرهم على بلاد الاسلام ، من هنا كان حرص ابن خلدون على أن يضمن مقدمته كل ما انتهى اليه وتوفر اليه من علوم العصر ضمنا بهذا التراث أن يندثر (٩٦) .

وقد صنف ابن خلدون العلوم التى كانت فى عصره الى صنفين :
الأول : صنف طبيعى للانسان : يقف عليه الانسان بطبيعة فكره
وهى العلوم الحكيمة الفلسفية .

الثانى : العلوم النقلية : وهى تلك العلوم التى يأخذها الانسان
عمن وضعها وهى كلها مستندة الى الخبر ، عن الواضع الشرعى فهى

(٩٥) الغزالي : الجواهر الفوالى فى رسائل الغزالي ، الشهادة
١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ ، الرسالة اللدنية ، ضمن الرسائل العشر .

(٩٦) الدكتور أبو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ،
مقالة بجلة عالم الفكر ، ص ١٢٢ .

العلوم الشرعية ، ومجال العقل منحصر فى هذه العلوم فى الحاق
الجزئيات الحادثة بالأصول العامة التى وضعها الشارع ، أما أصل
هذه العلوم النقلية فهى الشرعيات من الكتاب والسنة ، مأخوذ بالنص
أو الاجماع ، أو اللاحق (٩٧) .

والصنف الأول : وهو القسم المختص باسم علوم الفلسفة والحكمة
ويشمل علم المنطق ، والعلم الطبيعى ، والعلم الالهى ، وعلم التعاليم
وهذا الصنف خاص بكل شعب وكل دين ، فهى علوم طبيعية للانسان
من حيث انه ذو فكر (٩٨) .

أما الصنف الثانى : فهى علوم خاصة بالملة الاسلامية ، وان كانت
للملك الأخرى علوما خاصة بها ، غير ان الاسلام نسخ ما كان قبله من
ملك ، فنسخ علومها أيضا ، وتشمل هذه العلوم : علوم اللسان وعلوم
القرآن (المقراءات والتفسير) ، وعلوم الحديث ، وعلم أصول الفقه ،
ثم علم التوحيد (أى دراسة العقائد الايمانية) ، ثم علم الكلام ،
وهو علم الحجاج عن العقائد الايمانية والرد على المنحرفين عن عقائد
أهل السنة والسلف ، علم التصوف وعلم تعبير الرؤيا (٩٩) .

وهكذا يورد ابن خلدون علم الكلام ، ضمن العلوم النقلية
الشرعية ، ويخصص له فصلا كاملا يعرف فيه علم الكلام ، موضحا
موضوعه ، وعوامل نشأته وتطوره ، واختلاطه بمباحث الفلسفة عند
المؤخرين ، وضرورة تمييزه عن الفلسفة (١٠٠) .

(٩٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٥ .

(٩٨) نفس المصدر : ص ٤٧٨ .

(٩٩) نفس المصدر : ص ٤٣٦ .

(١٠٠) نفس المصدر : ص ٤٥٨ — ٤٦١ .

ومع ان ابن خلدون اعتبر علم الكلام ، علما شرعيا ، وبين أهميته في الدفاع عن الاسلام ضد مخالفيه ورد شبهتهم بالدليل العقلي ، الا انه من الملاحظ انه قصر مهمة علم الكلام على الرد على شبهات المخالفين لعقيدة أهل السنة والسلف ، أى يقصر مباحث علم الكلام على مستوى الموقف الأشعري ، والذي يعتنقه ابن خلدون نفسه ، وهذه النقطة تدين تصنيفه العلمي للعلوم النقلية ، فلم يتجرد لوضع تصنيف موضوعي للعلوم المعروفة في عصره ، بل وقف موقفا خاصا به ، وأسماه بعلم الكلام ، مع أن علم الكلام قد وصل في عصره الى قمة تطوره فانتسعت مباحثه ، وكثرت الآراء ، والمذاهب (١٠١) ويبدو أن موقفه هذا من علم الكلام جاء نتيجة أمرين :

الأول : رفضه لاختلاط علم الكلام بالفلسفة ، ويكاد يكون هذا الخط امرا عاما عند المتأخرين ، فأراد ان يحدد علم الكلام بعقائد السلف فقط ، لاعتقاده بان العقل معزول عن النظر في الشرع ، فيجب التمييز بين العقائد والفلسفة (١٠٢) .

الثاني : أنه يرى ان علم الكلام في عصره علم لا داعى له فينبغى أن تؤخذ العقائد من السلف وكفى . فيقول « وعلى الجملة فينبغى ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام ، غير ضرورى لهذا العهد على طالب العلم اذا الملحة والمبتدعة قد انقرضوا والائمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها ، الا كلام تنزه البارى عن كثير ايهاماته واطلاقه » (١٠٣) .

(١٠١) دكتور ابو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ،

ص ١١٦ .

(١٠٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٦ .

(١٠٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٧ .

وهذا موقف خاص لابن خلدون من علم الكلام ، لذا يرى أنه
يجب ان يقتصر فقط على عقائد السلف •

ثم نأتى أخيرا الى موقف طائش كبرى زاده فى كتابه « مفتاح
السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم » فهو يدرج علم
الكلام ضمن العلوم الشرعية ويجعله الشعبة الخامسة منها ، قيل الفقه
التي يجعله الشعبة السادسة (١٠٤) ، وهو يتفق مع ما سبق أن قرره
الايجى فى «المواقف» من أن علم الكلام هو رئيس العلوم الشرعية، وقد
احتل علم الكلام فى تصنيفه حيزا كبيرا (١٠٥) •

لعل ما تقدم يؤكد لنا على أصالة علم الكلام الاسلامية. ، وعلى
أنه يمثل علما هاما من العلوم الشرعية الدينية ، وهو اذا كان كذلك ففى
رأينا انه علم واجب فى كل عصر ، ذلك لأن أمر الدفاع عن الدين أمر
واجب ، فضلا عن أنه لا يخلو منه عصر من العصور •

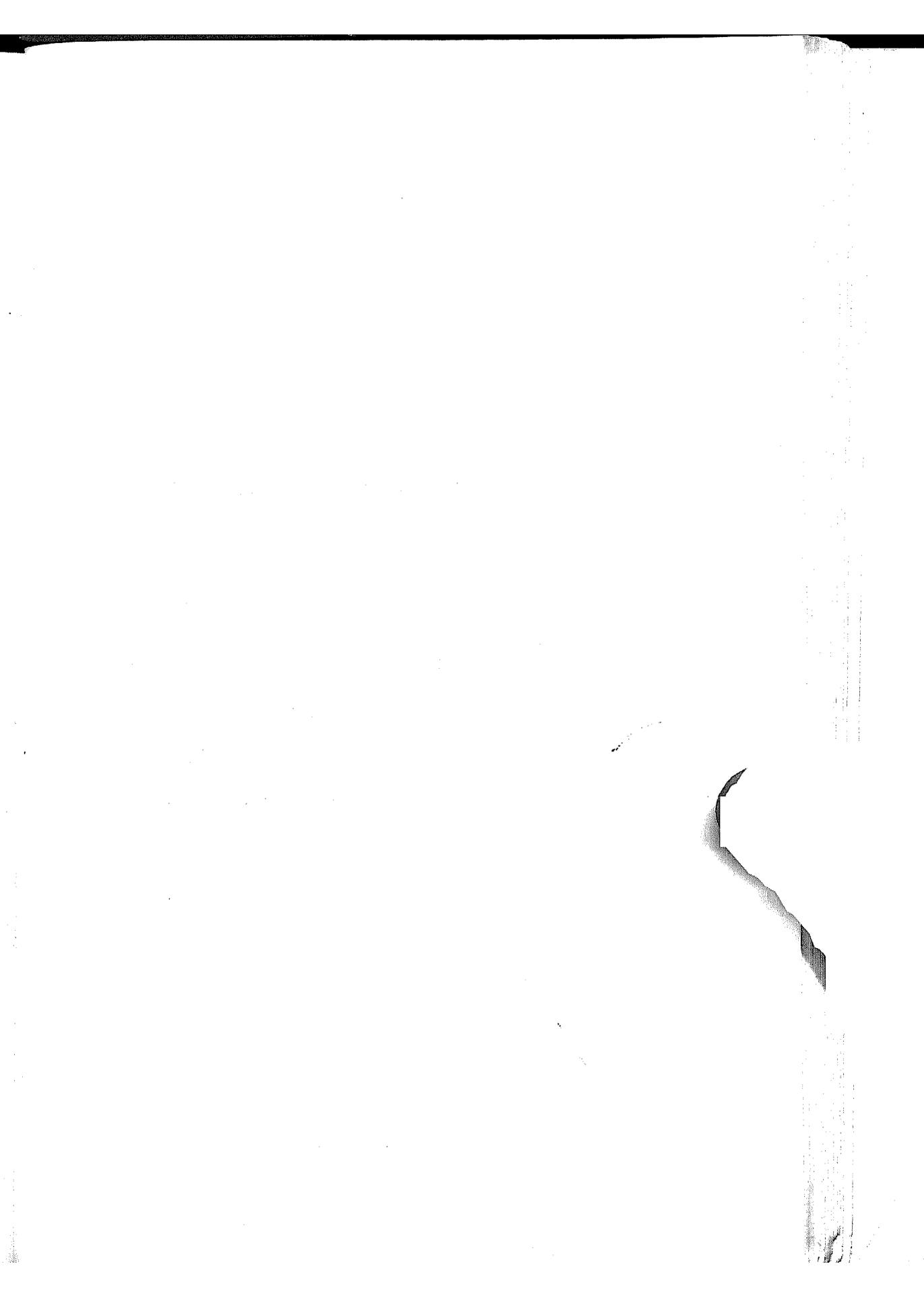
(١٠٤) طائش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،
ج ٢ ، ص ١٥ .

(١٠٥) نفس المصدر : ص ١٥٠ — ٢٨٢ .

الفصل الثاني

المصادر الاسلامية لمباحث علم الكلام

- تمهيد
- موضوعات علم الكلام
- المصادر الاسلامية لمباحث علم الكلام
 - أثر القرآن الكريم
 - أثر السنة
 - مشكلات صدر الاسلام



تمهيد :

يتناول هذا الفصل البحث عن المصادر الاسلامية لمباحث علم الكلام الرئيسية ، لاثبات أن ما خاض فيه المتكلمون من موضوعات متعددة ، انما كان ذلك بفضل توجيه المصادر الاسلامية من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، هذا فضلا عن أن علم الكلام جاء تلبية لحاجات المجتمع الاسلامى فى صدر الاسلام ، محاولا أن يجد حلولاً دينية لكل ما وقع فى هذه الفترة من احداث ومشكلات ، أفرزتها ظروف المجتمع آنذاك .

وبيان المصدر الاسلامى لمباحث علم الكلام الرئيسية التى تشكلت موضوع هذا العلم عبر تاريخه ، تمهيدا للبحث عن الجذور الاسلامية لكل مبحث من هذه المباحث الكلامية .

ولقد تحددت المصادر الاسلامية فى المصادر الثلاثة التالية :

الاول - القرآن الكريم :

الثانى - السنة الصحيحة .

الثالث - مشكلات المصدر الاول للاسلام :

وفيما يلى تفصيل القول فى تحديد مباحث علم الكلام ، وتحديد أصولها الاسلامية .

موضوعات علم الكلام :

يمكننا أن نحدد - بشكل عام - موضوعات علم الكلام الرئيسية وذلك من خلال تحليلنا لكلام القدماء فى هذا الصدد :

فيقول أبو حيان التوحيدى أن مدار النظر فى علم الكلام يدور على محض العقل فى : « التمسين والتقييح ، والاحالة والتصحيح والايجاب والتجوير ، والاعتبار ، والتعديل والتجوير ، والتوحيد والتفكير والاعتبار فيه ، ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به ، وبين جليل يفرع الى كتاب الله تعالى فيه ، ثم التفاوت فى ذلك بين المتحلين به على مقاديرهم فى البحث والتنفير ، والفكر والتجبير والجدل والمناظرة والبيان والمفاضلة، والظفر بينهم بالحق سجال ولهم عليه مكر ومجال (١) .

لقد جمع أبو حيان التوحيدى علم الكلام والفلسفة والتصوف وهو يعد - بوجه عام - واحد من جملة الذين خاضوا فى علم الكلام الذى درسه على يد عالمين جليلين هما : أبو بكر السيرافى ، وعلى ابن عيسى الرمانى صاحب التفسير ، والتوحيدى حين يستعرض لنا موضوعات علم الكلام ، فهو يشير الى علم الكلام فى عصره ومدى ازدهاره فلقد كان مدار البحث فى علم الكلام يدور حول البحث فى الذات والصفات ، أى التوحيد ، وموضوع العدل أيضا ، وكان العقل أداة البحث (٢) .

(١) أبو حيان التوحيدى : ثمرات العلوم ، ص ١٩٢ .

(٢) لقد روى أبو حيان التوحيدى الكثير من المناقشات فى هذا الصدد (انظر : أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ص ١٨٩ ، ص ١٩٦) كما أثار فى « هوائيه » الكثير من الاشكالات الفلسفية والكلامية حول : صفات الله ، والتوحيد ، والتشبيه كما خاص أيضا فى الجبر والاختيار ، والموت ، والمعاد والوجود والعدم ، والعقل والشريعة .

(انظر : الهوامل والشوامل ، بتحقيق أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ ، ص ٥٥ - ص ٥٦ ، ص ١٢٣ ، ص ٢٧٨) ، وانظر أيضا (المقاييسات ، بتحقيق حسن السندوبى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، ص ١٨٦ - ص ١٨٧ ، ص ١٥١ - ص ٢٧) وقد استنكر التوحيدى بوجه عام الجدل الذى دار حول الذات والصفات ، معترفا بتصور العقل البشرى عن الاحاطة بالذات الالهية ،

كما يرى الايجي صاحب كتاب المواقف أن موضوع علم الكلام هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات للعقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا *

« وقيل هو ذات الله ، تعالى : اذ يبحث فيه عن صفاته وأفعاله في الدنيا كحدوث العالم ، وفي الآخرة كالحشر ، وأحكامه فيهما كبعث الرسل ، ونصب الامام ، والثواب والعقاب ، وفيه نظر من وجهين :

الاول : انه قد يبحث فيه عن غيرها كالجواهر والاعراض ، لا من حيث هي مستندة اليه تعالى — لا يقال ذلك على سبيل البداية — لأننا نقول ليس ذلك في الامور اليقينية بذاتها ، فلا يبين بيانه في علم ، فان بين في هذا العلم فهو من مسائله ، أو في علم آخر ، كأن ثمة علم أعلى منه شرعى ، وانه باطل اتفاقا *

الثانى : أن موضوع العلم لا يبين فيه وجوده ، فيلزم أما كون

فرضا ايها من كل تشبيه وتجسيم ، وهو في هذا لا يقر بقول المعتزلة بنفى الصفات ، كما لا يقول باثبات الصفات ، لأنه يرى أن الاثبات للصفات يؤدي الى نفي الصفات !! كما أن نفي الصفات يؤدي الى اثباتها وينتهى الى القول باننا في كلتا الحالتين نقول عن الله ما لا تعلم ؟ ! ، لذلك نراه يقرر بعجزنا التام عن ادراك الذات الالهية أو وصفها لهذا نراه يناجى الذات الالهية بنغمة لا تخلو من روح صوفية تنأى عن الجدل في الصفات بقوله : « الهى كل ما أقوله فأنت فوقه وكل ما اضهره فأنت أعلى منه ، فالتقول لا يأتي على حقتك في نعمتك ، والضمير لا يحيط بكنهك ، وكيف نقدر على شيء من ذلك وقد ملكتنا في الاول حين خلقتنا ، وقدرت علينا حين صرفتنا ؟ فالقول وان كان فيك فهو منك ، والخاطر وان كان من اجلك فهو لك ، ومن الجهل أن أصفك بغير ما ووصفت به نفسك ، ومن سوء الادب أن أعرفك بغير ما عرفتنى به حقيقتك » انظر : الاشارات الالهية ، تحقيق ونشر الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ١٩٥٠ ، الجزء الاول ، ص ٢١٨) وانظر ص ٢٧٩ — ص ٢٨٠ .

اثبات الصانع بينا بذاته ، أو كونه مبينا فى علم أعلى ، والقسمان
• باطلان .

وقيل : هو الموجود بما هو موجود ، ويمتاز عن الالهى باعتبار ،
وهو ان البحث ههنا على قانون الاسلام ، وفيه أيضا نظر من وجهين :
الاول : انه قد يبحث فيه عن المعدوم والحال ، وعن أمور
لا باعتبار أنها موجودة فى الخارج كالنظر والدليل ، واما الوجود فى
الذهن فهم لا يقولون به •

الثانى : قانون الاسلام ما هو الحق من هذه المسائل ، وبهذا
المقدر لا يتميز العلم ، كيف ، وكل يدعى ذلك مع أن المخطيء من أرباب
علم الكلام ، وان كفر أو بدع « (٣) •

وهكذا يوضح لنا الايجى - أيضا - أن موضوعات علم الكلام
تدور حول الذات الالهية ، وما يتعلق بها من صفات ذات ، وصفات
أفعال فى الدنيا ، كخلق العالم ، وما يتفرع عليه من البحث فى
الجواهر والاجراض لبيان حدوث العالم وخلقه ، وأفعاله فى الآخرة ،
كالبعث والاستدلال عليه ، والثواب والمعقاب ، وهذه الموضوعات تمثل
البحث فى أمهات المسائل الميتافيزيقية الفلسفية ، غير أن البحث فيها فى
علم الكلام - كما يذكر الايجى - يكون على مقتضى قانون الاسلام ،
أى على مقتضى ما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، لأعلى
مقتضى العقل المحض ، فيكون دور العقل دور المستدل عليها ، لا المنشىء
لها •

ويذهب سعد الدين التفتازانى الى قول قريب من هذا فى تصديق
موضوعات علم الكلام ، فيرى أن مسائله القضايا الشرعية الاعتقادية
وغايتها تجلية الايمان بالايقان ، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ، ونجاة

(٣) الايجى : المواقف ، ص ٨ •

المعاد ، فهو أشرف العلوم ، والمتقدمون متفقون على أن موضوعه الوجود من حيث هو ، ويتميز عن الالهي بكون البحث فيه على قانون الاسلام أى ما علم قطعا من الدين : كصدور الكثيره عن الواحد ، ونزول الملك من السماء ، وكون العالم محذوفا بالعدل ، والفناء الى غير ذلك مما تجزم به الملة دون الفلسفة وقيل موضوعة : ذات الله وحده، أو مع ذات الممكنات من حيث استنادها اليه ، لما انه يبحث عن ذلك ولهذا يعرف بالعلم الباحث عن أحوال الصانع من صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة أو عن أحوال الواجب وأحوال الممكنات فى المبدأ والمعاد على قانون الاسلام (٤) .

ويؤكد الجرجاني فى التعريفات على نفس هذه الموضوعات، وأنها تبحث فى علم الكلام على مقتضى قانون الاسلام ، أى بما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة . فيقول « الكلام : علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأحوال الممكنات ، من المبدأ والمعاد ، على قانون الاسلام ، والقييد الأخير (أى على قانون الاسلام) لاجراج العلم الالهي للفلاسفة ، فهو يرى اخراج البحث الفلسفى الميتافيزيقي عن دائرة البحث فى علم الكلام ، على اعتبار أن هذه الموضوعات وان كانت من أمهات المسائل الميتافيزيقية ، الا أنها تبحث فى علم الكلام ، وفق الاصول الاسلامية ، وليس وفق العقل المحض ، ومن هنا يدخل فى علم الكلام البحث فى السمعيات من المعاد ، والثواب والعقاب ، وما يتعلق به من البحث فى الجنة والنار ، والصراط ، والميزان ، والبحث فى هذه الموضوعات يكون وفق القواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة (٥) .

(٤) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ، طبعة الاستانة ١٣٢٦ هـ ، على متن العقائد لنجم الدين النسفى ، وبهامشة حاشية الكستلى ، ويليه حاشية الخيالى ، ص ١٥ .
(٥) الجرجاني : التعريفات ، المطبعة الخيرية ، القايره ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٦ هـ ، ص ٨٠ .

كما يؤكد على ذلك أيضا طاش كبرى زاده ، فيذكر أن موضوع علم الكلام « ذات الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وذلك عند المتقدمين وقيل موضوعه : الوجود من حيث هو موجود ، وانما يمتاز عن الإلهي الباحث عن أحوال الوجود المطلق ، باعتبار الغاية ، لأن الباحث فى الكلام على قواعد الشرع ، وفى الإلهي على مقتضى العقول .

وعند المتأخرين ، موضوع علم الكلام ، المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد تعاقبا قريبا أو بعيدا ، وأرادوا بالدينية المنسوبة إلى نبينا محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وذلك بأن يسلم المدعى منه ثم يقام عليه البرهان العقلى ، وهذا التسليم ، هو معنى التدين اللائق بحال المكلفين ، حتى لو لم يؤخذ منه لا يعد كلاما ولا علما دينيا وان وافقه فى الحقيقة لفوات أمر التدين بل يعد من الأمور الحكمية وبالجملة يشترط فى الكلام أن يكون المقصد منه تأييد الشرع بالعقل وأن تكون العقيدة مما وردت فى الكتاب والسنة ولو فات أمر هذين الشرطين لا يسمى كلاما أصلا .

ولما لم يلزم من قصد موافقة الشرع الموافقة فى نفس الأمر عند بعضهم كلام أهل الاعتزال من الكلام ، وان لم يوافق الكتاب والسنة فظهر من هذا التفصيل أن الكلام من العلوم الشرعية ، ولكن اذا كان على طريقة الكتاب والسنة ، وأن هناك كلاما موهبا يثبته الكلام وليس بذاك ، ككلام أهل الاعتزال وأمثاله فذلك علم شرعى باعتبار مسائله وعلم غير شرعى باعتبار دلائله » (٦) .

وهكذا يعتبر طاش كبرى زاده أن الموضوع الرئيسى لعلم الكلام هو البحث فى المسائل العقائدية ، لبيان صدقها بدليل العقل انطلاقا من التسليم بصحتها ، لأن أعمال العقل فيها ليس لأنها محل شك من

(٦) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة ، ج ٢ ،

ص ١٥٠ - ص ١٥١ .

المتكلم ، بل المتكلم مسلم بها ومعتقدا بصحتها اعتقادا جازما ، وانما يود تأييدها بالدليل العقلي لدفع الشبه عنها وتوكيدها ، فيكون القصد من علم الكلام تأييد الشرع بالعقل ، فالعقل مثبت لا متشبه ، لهذا فهو يعد علم الكلام علما شرعيا باعتبار مسائلة ، وطرق أدلته ، ولعل اقتصاد وطاش كبرى زاده فى استخدام العقل ، جعله يحكه على علم الكلام المعتزلى ، بأنه يدخل فى علم الكلام باعتبار مسائلة ، أى اعتبار موضوعه ، ولكن لا يدخل فى علم الكلام بمعناه الشرعى باعتبار أدلته لاعتماده على العقل وبراهينه أكثر من اعتماده على النقل ، ونفى اعتقادنا أن هذا تحاملا على المعتزلة ، فجل اهتمامهم كان منصبا على الأدلة الشرعية .

ويورد لنا انتهاوى فى « كشافه » ثبنا موسعا لموضوعات علم الكلام فيقول : وموضوعه : هو المعلوم من حيث أنه يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا ، وذلك لأن مسائل هذا العلم : اما عقائد دينية كاثبات القدم ، والوحدة للصانع ، واما قضايا تتوقف عليها تلك العقائد : كتركيب الاجسام من الجواهر الفردة ، وجواز الخلاء ، وانتفاء الحال ، وعدم تمايز المعدومات المحتاجة اليها فى المعاد ، وكون صفاته تعالى متعددة موجودة فى ذاته .

والشامل لموضوعات هذه المسائل هو المعلوم المتناول للموجود المعدوم ، والحال فالحكم على المعلوم بما هو من العقائد تعلق به اثباتها تعلقا قريبا ، وان حكم عليه بما هو وسيلة اليها تعلق به اثباتها تعلقا بعيدا مرات متفاوتة .

وقد يقال المعلوم من الحيثية المذكورة ، يتناول محمولات مسائلة أيضا + فأولى أن يقال : من حيث أنه يثبت له ما هو من العقائد أو وسيلة اليها — وقال القاضى الأرموى : موضوعه ذات الله تعالى : اذ يبحث فيه عن عوارض الذاتية التى هى صفات الثبوتية والسلبية وعن

أفعاله : اما فى الدنيا كحدوث العالم ، واما فى الآخرة كالحشر وعن أحكامه فيها : كبعث الرسل ، ونصب الامام فى الدنيا من حيث انهما واجبان عليه تعالى ، أولا ، والثواب والعقاب فى الآخرة من حيث أنهما يجبان عليه ، أم لا •

وفيه بحث : وهو أن موضوع العلم ليبيين وجوده فيه ، أى فى ذلك العلم ، فيلزم اما كون اثبات الصانع مبينا بذاته ، وهو باطل ، أو ، كونه بينا فى علم آخر ، سواء أكان شرعيا أولا ، على ما قال الأرموى وهو أيضا باطل ، لأن اثباته تعالى المقصود الأعلى فى هذا العلم •

وأیضا : كيف يجوز كون أعلى العلوم الشرعية أدنى من علم غير شرعى ؟ بل احتياجه الى ما ليس علما شرعيا مع كونه أعلى منه مما يستنكر جدا •

وقالت طائفة ومنهم حجة الاسلام « الغزالي » موضوعة : الموجود بها هو موجود ، أى من حيث هو غير مقيد بشيء ويمتاز الاسلام عن الالهى باعتبار أن البحث فيه على قانون الاسلام ، لا على قانون العقل واطق الاسلام أولا ، كما فى الالهى •

وفيه يبحث أيضا : اذ قانون الاسلام ما هو الحق من هذه المسائل الكلامية ، اذ المسائل الباطلة خارجة عن قانون الاسلام قطعا مع أن المخطيء من أرباب الكلام ، ومسئلة من مسائل علم الكلام (٧) •

من خلال استعراض أقوال القدماء فى موضوع علم الكلام يمكن القول بأن هذه الموضوعات تمثل فلسفة متكاملة للاسلام فى حقيقتها فهى تشمل البحث فى الانهيات ، والعالم ، والانسان بحثا قائما على أصول اسلامية من الكتاب والسنة ، فتبدأ هذه الفلسفة بأول موضوع

(٧) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، مادة كلام .

وأهمه وهو البحث، فى الذات الالهية بعد الاستدلال على وجوده تعالى والبحث فى أوصافها من : الوجود ، والعدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ، والوحدانية •

ثم البحث فى صفات الذات من : العلم والقدرة ، والحياة والسمع والبصر ، والكلام ، والارادة ، وقد أضاف بعض المتكلمين (الأسماء) أى أسماء الله الحسنى الى الصفات • ويدخل فى هذا الجانب البحث فى مشكلة التنزية ، ورؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار ، وخلق القرآن •

ثم البحث فى أفعاله تعالى ، الذى يعد مدخلا للبحث فى الافعال الانسانية ، ومدى علاقتها بافعاله تعالى ، وأيضا البحث فى الحسن والقبح العقليين لتعلقهما بمبحث أفعال الله تعالى ، واتصافها بالحكمة والعدل ، ويدخل فى هذا الجانب البحث فى : التكليف ، وغايته وشروطه ، والوعد والوعيد ، وفعل الاصلح ، والالطف ، والعوض ، وواضح أن هذا الجانب الالهى يتصل بالبحث فيه بالجانب الانسانى من حيث تكليف الانسان ، واستطاعته على ذلك التكليف والثواب والعقاب المرتبط بالتكليف والبحث فى الحسن والقبح العقليان وهل قيمة الافعال فى ذاتها مستقلة عن ارادة الله تعالى ، أم مردها الى الشرع وأوامره ، وهذا مبحث فى صميم الاخلاق الاسلامية فضلا عن أن له صلة وثيقة بمدى الصلة بين الشرع والعقل وله صلة وثيقة بالنبوة وتفسيرها ومدى الحاجة اليها ، التى هى أول موضوع فى مبحث السمعيات وعليها يترتب البحث فى الحشر ، والبعث ، والجزاء والمعجزات وأحوال القيامة ••• الى آخر مباحث السمعيات •

وهكذا اتصل البحث فى الالهيات بالبحث فى الانسان على أن كلا المبحثين يتصلان بالبحث فى العالم ، حيث خلقه ، والاستدلال على أن الله تعالى الخالق البارئ المصور ، وكيفية الخلق ، وصلة الله تعالى

بالعالم تلك الصلة التي يحكمها العدل برباط وثيق : ويتطلب البحث فسي العالم وخلفة البحث في الجوهر والعرض والخوض في جوانب طبيعية فلسفية ، كالبحت في الوجود والمعدوم ، والقدم والحدوث والوجوب والامكان ، والوحدة والكثرة ، والعلة ، المعلول ، والزمان والمكان . . . الى آخر هذه المباحث الطبيعية والتي استعان بها المتكلمون اعيايات دينية .

وهذه هي الموضوعات الكبرى التي خاص فيها المتكلمون والتي كونت فلسفة اسلامية حقيقية اعتمدوا فيها على المصادر الاسلامية من القرآن والسنة الصحيحة ، فتناولت البحث في الالهيات ، والعام والانسان ، ويهمننا الآن أن نتبين هل لبحث المتكلمين في هذه الجوانب الفلسفية الكبرى أصولا من المصادر الاسلامية .

على أننا نود أن نشير الى أن المتكلمين قد قدموا لبحثهم في هذه الموضوعات الكبرى بمقدمات يمكن القول بأنها تمثل نظرية للمعرفة عند المتكلمين من حيث هي تشمل البحث في المعرفة ومبادئها وحججها وأحكام النظر ، وهذه المقدمة تعد مقدمة هامة ، من حيث هي تبين لنا مدى امكانية الانسان في تحصيل المعرفة ، تلك النظرية التي تطورت عند المتكلمين بالكلام عن مضادات العلم من الظن والشك والتقليد والوهم والالهام ، ومصادر العلم من المحسوسات والمجريات والمشاهدات والاوليات والبديهيات والتواترات الى أن أصبحت نظرية متكاملة في العلم ابتداء من القرن السادس الهجري وحتى القرن التاسع ، ثم اتحدت بمبحث الوجود بعد ذلك (٨) .

(٨) الدكتور حسن حنفي ، دراسات اسلامية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة العربية الاولى ، ١٩٨٢ ، ص ١٤ ص ١٦ .

المصادر الإسلامية لمباحث علم الكلام

أولا - القرآن الكريم :

لقد كان القرآن الكريم بحق أعجب حادث فى تاريخ البشرية ، نزل ليخاطب البشر جميعا ، به انتقل العرب الى نور العلم والمعرفة فكان الأساس لحضارتهم التى ازدهرت قرونا ، فأشاعت فى العالم كله نور الهدى والمعرفة ، ودفعت بالانسانية الى حب الحياة ، والسعى الى تعمير الأرض وتنشيط الطبيعة ، لتؤدى غايتها فى نفع الانسان الذى كرمه الله تعالى ، وجعله أشرف مخلوقاته ، وخليفته على أرضه .

ولم يكن القرآن الكريم ، عند الصحابة والتابعين - كتاب دين جاء ليضع أسس العبادات ، أو جاء ليثبت المواعظ الاخلاقية بدعوته الى مكارم الأخلاق ، أو تاريخا لقرون ماضية أهملها التاريخ ، أو لم يصل الى معرفته بها ، ليكون فى ذكر تاريخها عظة وعبرة ، لم يكن القرآن الكريم عندهم كل هذا فحسب ، بل كان فوق ذلك ، كتاب ميتافيزيقى يصور الالهية فى صورتها النهائية ، وكتاب فيزيقى يحدد حقائق الطبيعة وقوانينها ، وكتاب أخلاقى يضع قواعد السلوك الانسانى وكتاب فى السياسة يحدد أسس الحكم والعلاقات الدولية كان فوق كله كتاب المعرفة الشاملة الذى لم يترك جانبا من جوانب الفكر والعمل ، أو الدين والشريعة ، الا وقد تناوله ، فهو بحق وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله منذ نشأته وحتى فنائه (٩) .

اجتهد المسلمون - منذ البداية - أن يتلمسوا فى القرآن الكريم أصول تفكيرهم ، وان يظمنوا الى أحكامه الكلية ، وان يجتهدوا ما شاء

(٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام

ج ١ ، ص ٣١ ص ٣٢ .

لهم الاجتهاد فى محيطه الواسع ، فوجدوا فيه ما يتعلق بالالوهية والعالم والانسان ، بمعنى آخر وجدوا فيه أصول فلسفتهم الدينية التى تدفعهم الى الفكر والعمل معا ، لا مجرد الفلسفة التأملية النظرية فأتد دعاهم القرآن الى التقيد به والعمل باحكامه ، والسلوك على أساسه لا الى مجرد تأمل اللفظ والوقوف عند التأمل النظرى بل للعمل والسلوك .

من هنا اجتهد المسلمون — منذ البداية — لفهم معانى القرآن ومرامى أقواله ، والعمل به ، ولقد أورد ابن تيمية من الآثار والأخبار عن النبى ﷺ والمصحابة ما يفيد عناية الصحابة بفهم القرآن واستخراج العلم منه والعمل (١٠) . ولذا اتجه المسلمون الى تفسير القرآن نظهر علم التفسير فى وقت مبكر ، لفهم القرآن ، وبيان معانيه ، واستخرج احكامه وتعاليمه ، ذلك العلم الذى تطور فيما بعد باستعانته بعلوم أخرى كعلوم اللغة ، والنحو والصرف ، لضبط الناطلة ومعانية ، وبعلم كعلم الفقه وأصوله للكشف عن أحكام القرآن وتشريعاته وأدلة هذه الاحكام ، وأيضا بمعرفة أسباب النزول ، كما استفاد فى طوره المتقدم بعلم الكلام ، الذى نشأ بفضل النظر فى القرآن — كما سنبين — للاستدلال على العقائد وتأييدها بالأدلة والبراهين والحجج ، وليبين ما يجب فى حق الله تعالى وما لا يجب وما يستحيل ، كذلك استفاد بعلوم البلاغة للكشف عن وجوه الاعجاز البلاغية فيه الى آخر هذه العلوم التى نشأت حول القرآن وتفسيره .

واختلفت مناهج المفسرين فمنهم من وقف عند النص الظاهر مانعا من استخدام الرأى والعقل فى التفسير (١١) ومنهم من أباحه (١٢)

(١٠) ابن تيمية : مقدمة فى اصول التفسير ، منشورات دار الحياة بيروت ، بدون تاريخ ص ٩ .

(١١) نفس المصدر : ص ٣٩ — ص ٤٦ وقد أورد ابن تيمية الكثير من الاحاديث والأخبار والآثار التى تفيد منع استخدام الرأى فى تفسير القرآن الكريم والذى يعتبره حراما .

(١٢) وهناك من أباح استخدام الرأى فى تفسير القرآن الكريم لدعوة

(١) أثر الآيات المتشابهات فى نشأة علم الكلام :

ولقد شغل المفسرون بعامه سواء منهم من أباح التفسير بالرأى أو من منعه بالآيات المتشابهات فى القرآن الكريم ، تلك الآيات التى أثارت تفسيرات وتأويلات مختلفة ، مما دعا العقل الى النظر فيها وذلك لأن القرآن قد ترك التحديد فيها أحيانا ، مما دفع العقل الى التفكير لفهم المقصود منها ، فنترك الباب مفتوحا بازاء هذه الآيات فلم يلزم المسلم بمراده بمعنى معين ، على نحو ما نجد فى الآيات المحكمة التى حدد مرادها تحديدا قاطعا (١١) ،

فقد أثارت على سبيل المثال — الآيات المتعلقة بالجبر والاختيار نقاشا عقليا بين منكر للحرية ومثبت لها ، لأن هذه الآيات تركت الباب مفتوحا للقول بالجبر أو القول بالحرية ، ولم تقطع برأى بعينه ومن هنا

القرآن الكريم الى التدبر والتعقل والتأمل لآياته (انظر الدكتور عبد الله شحاته : متهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٨٣ وما بعدها) .

(١٢) من دلائل اعجاز القرآن الكريم انقسام آياته الى آيات محكمة ومتشابهة ، والمحكم هو الذى احكمه الله ، أى فصله عن الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه يقول ابن تيمية : فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل اتقانته ، ولهذا دخل فيه معنى المنع (ابن تيمية : الاكليل فى التشابه والتأويل ، مكتبة انصار السنة المحمدية ، مصر ، الطبعة الثانية : ١٢٦٦ هـ — ١٩٤٧م ، ص ٧) المحكم أيضا جعله متنا واضحا للدلالة ، مهتئا عن الفساد (انظر ابن منظور : لسان العرب مادة حكم) وهكذا تكون الآيات المحكمة آيات واضحة لا غبوض فيها ولا فساد (انظر محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨م مادة حكم) والمتشابه لغة هو المشكل ، والمتماثل والمتببس : (انظر قوله تعالى : منه آيات محكمات وأخر متشابهات) وقيل معناه يشبه بعضها بعضا (انظر لسان العرب مادة : شبه ..

بدأ العقل يتساءل : كيف يمكن أن يكون الانسان مختارا ومجبورا في آن واحد ؟ ثم هل للانسان ارادة يدبر بها ؟ ، وما صلة هذه الارادة بارادة الله تعالى ؟ وما معنى اختيار الانسان اذا كان له اختيار ؟ ، وما معنى كون الانسان مجبوراً اذا كان لا يفعل الا بفعل الله تعالى ؟ وكيف يتم التكليف مع كونه مجبوراً ، وكذلك ما تفسير الثواب والعقاب مع القول بالجبر ؟ ، كل هذه تساؤلات عرضت للعقل الانساني عندما أمعن في فهم نصوص القرآن الكريم ، مما دعاه الى الاجتهاد فيها وقد ظل الانسان في اطارها يفكر وينظر .

كما أثارَت أيضاً الآيات المتعلقة بالصفات نقاشاً عقلياً حولها ذلك أن بعضها قد أشار الى تشبيهه أو تجسيمه — إذا أخذت على ظاهرها من قبيل تلك الآيات التي ورد فيها ذكر الوجه واليد والجنب والاستواء والى جانبها الآيات التي أشارت الى التنزيه ، مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » وهي آية محكمة واجبة الاعتقاد ، ومن هنا أثارَت هذه الآيات نقاشاً عقلياً حول الصفات وعلاقتها بالذات .

وهكذا كانت نصوص القرآن الكريم من العوامل التي دعت الى ظهور علم الكلام ، فيما يقول الدكتور التفتازاني ، ذلك لأن هذه النصوص اما أن تكون اثارَت في عقول بعض المسلمين حب البحث في العقائد الاسلامية ، وتقصى العقائد المخالفة لها ، أو لأن بعض هذه النصوص من قبيل المتشابهة الذي لا يدرك كنه معناه ، كبعض الآيات في الصفات وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء لمثل هذه المتشابهات الى مشكلات عقائدية عويصة كانت فيما بعد موضوعاً عاماً لذلك العلم (١٤) .

يمكننا أن ننتهي الى القول بأن للقرآن الكريم أثراً بالغاً في نشأة علم الكلام .

(١٤) الدكتور أبو الوفا التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ١٤

ولقد بنى بعض المستشرقين على أثر القرآن الكريم فى نشأة علم الكلام آثارا بالغة الخطورة ، فذهب جولد زيهر الى القول : بأن علم الكلام جاء محاولة من المتكلمين لايجاد نسق مذهبى متجانس يسد الثغرات ويستبعد المتناقضات بين آيات الكتاب ، وضرب على ذلك مثلا بمشكلة الحرية فيذهب الى القول بأنه يمكن أن تستدل من الآيات القرآنية على الرأى وضده فى هذه المسألة (١٥) وانتهى أيضا دى بور الى نفس الرأى (١٦) .

وهذه دعوى قديمة ، وقد عنى الفاضى عبد الجبار (١٧) بالرد عليها وهو فى معرض رده على الملاحدة ، وهى دعوى قائمة على عدم فهم لطبيعة القرآن الكريم ، وهى أن وروده محكما ومنتسابها جاء لحكمة منه تعالى وهو أن يظل العقل الانسانى باحثا فى القرآن الكريم ، فهو حمال أوجه وقد استوعب الحقيقة كاملة ، فلو اقتضت آياته على ناحية واحدة ، لنا له ما نال المذاهب الفلسفية من قصور ، وفى هذا يقول فخر الدين الرازى : لو كان القرآن محكما بالكلية ، لما كان مطابقا الا لمذهب واحد ، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك ما ينفر أصحاب المذاهب الأخرى عن قبوله وعن النظر فيه (١٨) .

وكذلك لو كان القرآن الكريم محكما كله — وهذا جائز من الله تعالى — لتعلق الناس به لسهولة مأخذه • ولارتكنا الى طريق التقليد

(١٥) جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٧ — ص ٦٩ .
(١٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ٦٦ — ص ٧١ .

(١٧) الفاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، الطبعة الاولى ، ص ٥٩٨ — ص ٥٩٩ .

(١٨) الرازى : التفسير الكبير ، ج ٢ ص ١٠٧ — ص ١٠٦ .

والتأمل فيه ، ومن خلال التدبر العقلي للقرآن ارتقى العقل الاسلامي
وكون العلم ، الذي كان أساسا لحضارة مزهرة ، على أن هذه الآيات
المتشابهات جاءت في فروع الاعتقاد دون اصوله (١٩) .

وفي الحقيقة ليس ثمة تعارض بين متشابه القرآن ومحمكة
ومن هنا حاول المتكلمون تدبر الآيات القرآنية ، وحمل المتشابه على
المحكم منها بالتأويل على قدر ما تسمح قواعد التأويل التي وضعها .

والى هذا النظر فى الآيات المتشابهات يعزى المؤرخون نشأة
علم الكلام ، فهذا هو ابن خلدون يذهب الى أن ما أثارته الآيات
المتشابهات دعا الى التناظر والاستدلال بالعقل زيادة على النقل فنشأ
علم الكلام (٢٠) .

(ب) احتواء القرآن الكريم على ذكر العقائد المخالفة والرد عليها :

إذا كان غرض علم الكلام وغايته هو الدفاع عن الدين ضد
مخالفيه ، مما دعا المتكلمين الى دراسة الأديان المخالفة تمهيدا للرد
عليها ، فان المتكلمين قد وجدوا فى القرآن الكريم نموذجا يمكن أن
يحتذى فى هذا الصدد . فلقد احتوى القرآن الكريم على ذكر العقائد

(١٩) فى تفصيل القول بحكمة ورود القرآن محكما ومتشابهها انظر على
سبيل المثال : القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص ٥١٨ — ٦٠٠
ومتشابه القرآن تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، دار التراث ، القاهرة ،
١٩٦٩ ، وتنزيه القرآن عن المطاعن القاهرة ، ١٣٢٩ هـ ، وابن حزم : الاحكام
فى اصول الاحكام تصحيح أحمد محمد شاكر ، مطبعة السعادة ، مصر الطبعة
الاولى ١٣٤٥ — ١٣٤٨ هـ ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٥ .

والزمخشري : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقوال
فى وجود التأويل ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ،
١٣٤٣ هـ وابن قتيبة ، الاكليل فى التشابه والتأويل ص ٧ — ٤٧ .

(٢٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٣ .

المخالفة للإسلام ، وعلى الحجج الداحضة لها ، فكان ذلك من العوامل التي آثرت عقول المسلمين الى البحث في العقائد وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة (٢١) .

فمن الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العقائد والمذاهب المخالفة للإسلام قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيدا » (٢٢) .

وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم » (٢٣) . مثل هذه الآيات لا بد وأن تثير عند قرائها تساؤلات ، حول تلك العقائد والمذاهب والأديان المخالفة ، وحول الفرق بين كل منها وبين العقيدة الإسلامية (٢٤) .

كما ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام ، على نحو رده على الدهرية الذين قالوا : « وما يهلكنا الا الدهر » وكانت عقيدتهم تقوم على نزعة شكية سادت بين معتقيه وحالت بينهم وبين الايمان بالخالق والخالق فانكروا الصانع المدبر للعالم زاعمين ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا يصانع فام يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا فلا شيء خارج النطفة فهي مستكفية بنفسها عن خالق بوجودها (٢٥) .

(٢١) الدكتور أبو الوفا التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٧

(٢٢) سورة الحج آية ١٧٨ .

(٢٣) سورة البقرة آية ٦٢ .

(٢٤) الدكتور أبو الوفا التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٨

(٢٥) الشريف المرتضى : امالي المرتضى ، القاهرة ، الطبعة الاولى

١٣٢٥ هـ ، ج ١ ص ٨٨ .

والغالب أن الايمان بالدهر من ديانات الفرس القديمة والتي الغيت فيها النظرة الاثينية في نشأة العالم ، فجعلوا الدهر هو المبدأ الأسمى ، فهو عندهم عين القدر أو الفلك الاعظم (٢٦) .

ولقد ساد هذا الاعتقاد بين العرب قبل الاسلام حيث صوره القرآن الكريم كما بينا ، ولقد استمرت هذه الفزعة المادية والنسكية بعد الاسلام ، وتصدى لها متكلمو الاسلام ، وما زالت لها بقايا في علمنا المعاصر متمثلة في المذاهب المادية في تفسير الوجود .

كما ورد في القرآن الكريم الرد على عبدة الكواكب كالصابئة في نحو قوله تعالى : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال انى لا أحب الآفلين » (٢٧) ، كما رد على منكرى النبوات ، ومنكرى البعث ، كما رد على أصحاب الديانات السماوية من اليهودية والمسيحية .

من هنا قدم القرآن الكريم أمثلة لكيفية الرد على الأديانات المخالفة سماوية كانت أم غير سماوية ، مما حث علماء الكلام على التصدى لهذه الديانات وبيان تهاافت دعواها (٢٨) وبهذا يكون القرآن الكريم في هذا الجانب من أقوى الأسباب في نشأة علم الكلام .

(ج) منزلة العقل في القرآن الكريم :

لقد احتل العقل منزلة هامة في القرآن الكريم ، ونود أن نشير الى أن القرآن الكريم اذا كان قد نهى عن الجدل في أمر العقيدة

(٢٦) دى بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ١٢

(٢٧) سورة الانعام آية ٧٦ .

(٢٨) سوف نتناول تفصيلا رد القرآن على أصحاب الديانات السماوية والملل والاهواء والنحل في الفصل الثالث .

فهو لم يكن - قط - ضد التفكير والتأمل والنظر ، الذى هو السبيل الى معرفة الله تعالى ، بالتأمل والاستدلال فى العالم المخلوق ، فهو المزم الواجبات على المسلم ومن هنا دعا القرآن دعوة صريحة الى النظر فى العالم ، اما تعدى هذا المجال الى البحث فى الذات وما يتعلق بها فهذا ما منع القرآن من الخوص فيه ذلك لأنه حدد دائرة الالوهية تحديدا قاطعا وعلى العقل فقط أن يفهم ذلك التحديد لا ان يجادل فيه فاندفع العقل فى دراسة الوجود فأبدع العلم وأقام الحياة •

ان الأدلة كثيرة على تعظيم العقل والتفكير ، يمكن أن نلمسها فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم •

ويكفى فى المجال أن نشير الى ما يلى :

لقد عظم القرآن العلم والتعلم ، فكانت أول سورة نزلت تشير الى ذلك « أقرأ باسم ربك الذى خلق •• » والقراءة المشار اليها قراءة فى كتاب الكون تعليما وتعلما ، ومن القراءة اشنتق القرآن ، ولهذا فان القرآن يعظم العلم والحكمة التى هى الفهم العميق الذى ينبثق عن ذلك الكتاب المنزل •

والانسان لن يحصل العلم ، ولن يتعلمه الا بالتفكير والنظر والتدبر ومن أمثلة هذه الآيات التى تدعو الى النظر والتدبر قوله تعالى « ان شر الدواب عن الله الصم البكم الذين لا يعقلون » (٢٩) ، فلقد جعل الله تعالى الذين لا يستخدمون عقولهم فى مرتبة البهائم أو أكثر منهم شرا كما ذم القرآن الكريم التقليد كطريق للعلم وحث الانسان على العمل بالدليل وزجره ونهاه عن التقليد وأنذره بالهلاك اذا هو قاد بل أوجب عليه الاجتهاد •

(٢٩) سورة الواقعة آية ٦٢ •

كما نبه القرآن الكريم الى استخدام القياس وهو عملية عقلية
سي نحو قوله تعالى « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » (٣٠)
فجعل الله تعالى التاركين لقياس النشأة الأخرى على النشأة الأولى في
الاستدلال على البعث والجزاء والعقاب خارجين عن الحق .

كما حث القرآن على استخدام العقل والنظر في العالم بقوله
تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله
من شيء » فوجب على الانسان النظر في العالم للاستدلال على
خلقه وعظمته بعظم مخلوقاته وكثرتها وتعددتها وكما في قوله تعالى :
« ان في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفاك
التي تجري في البحر ، بما ينفع الناس ، وما نزل الله من السماء من
ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم
يعقلون » (٣١) .

ويرى الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى : « آيات لقوم يعقلون »
ان الله يشير هنا الى أولئك الذين ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون
لأنها (أى الآيات) دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة ، ويسوق
الزمخشري هنا قول الرسول (ص) : « ويل لمن قرأ هذه الآية فمج
فيها » أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (٣٢) .

وبالقرآن الكريم دعوة صريحة للانسان الى استخدام عقله
لاكتشاف قوانين الخلق كما في قوله تعالى : « لا الشمس ينبغي لها
أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » (٣٣)

• (٣٠) سورة الاعراف آية ١٨٥ .

• (٣١) سورة البقرة آية ١٦٤ .

• (٣٢) الزمخشري : الكشاف ، ج ١ ص ٩٢ .

• (٣٣) سورة يس آية ٢٩ .

وقوله تعالى : « افلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها والقيينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٣٤) .

كل هذه الآيات وغيرها مما لا نستطيع أن نحصره في مقامنا هذا تنهض دليلا على وجوب النظر العقلي ، والا فلماذا يوجه الله اللوم الى أولئك الذين لا يعماون عقولهم في بدائع صنعه للوصول الى الايمان به ؟

ومن هنا لا تصدق دعاوى بعض الباحثين الغربيين كتنمان Tenman الذي كان يرى ان القرآن كان من جملة عوائق التفكير الحر عند المسلمين (٣٥) . وهذا ليس بحق ، فان القرآن لم يمنع العقل من النظر الحر في جانب العالم ، ولكنه منعه من النظر فيما يتعلق بجانب الميتافيزيقا .

هذا فضلا عن ان طبيعة القرآن الكريم ومنهجه تحث على التفكير والنظر فلقد جاء أسلوبه نثرا ، خلص من قيود الشعر والسجع فهو لذلك يوجه الى حد كبير بتفكير منهجي في المسائل التي يتناولها ضراحة أو اشارة أو رمزا أكثر مما يوجه الشعر المقفى ، مما يساعد على التسلسل المنطقي (٣٦) .

التزم القرآن الكريم في علاجه لبعض المسائل كالتوحيد والتنزيه وفي صفاته تعالى بالتحديد الذي هو خاصه كل علم وفلسفة (٣٧) .

(٣٤) سورة « ق » آيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣٥) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٤ - ٥ .

(٣٦) الدكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٥٣ - ٥٤ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٥٣ - ٥٤ .

وفى بعض المسائل الأخرى ترك التحديد أحيانا ، ليدفع العقل الى الفكر والتدبر ، لفهم ما يريد القرآن (٣٨) *

كما ان القرآن الكريم قدم أدلة دامغة على بعض القضايا الايمانية كوجود الله ، وخلق العالم ، ووحدانيته ، والبعث ، قدم هذه الأدلة الدامغة بوجوه مختلفة فى أنواعها وطرقها الى درجة يصح أن نقول معها بأن القرآن قد احتوى الى حد ما على أصول نظرية فى المعرفة ، داعيا من يتجه اليهم بهذه الأدلة الى اعمال الفكر فيما يراه ويحسه بأى نوع من أنواع الحس للوصول الى المجهول (٣٩) *

وحقا ما انتهى اليه الدكتور يوسف موسى من أن القرآن بطبيعته يدعو الى التفكير بسبب ما اشتمل عليه من أمور الغيب ودعوته الى الايمان بها ، وباعداده - بهذا - لما وراء الفلسفة التى ليس المعقل وحده أن يصل اليها **** ولقد حاول علماء الكلام بذل كل جهدهم للانتقال من القرآن فى تكوين العقائد الدينية ، وفى التدليل عليها وحفظها من تشويش أهل البدع والملاحدة ، لقد جاء القرآن أولا لتعريفنا بالله معرفة حقة ، ثم لاعدادنا بهذه المعرفة متى تمت لنا ، لأن نؤمن بكل ما أخبرنا به من الأمور الغيبية التى لم يستطع العقل ادراكها ، ذات الله وصفاته ، الدار الأخرى ، وما يكون فيها مثلا وفى وصل القرآن الى هذا بمن ينعم فيه النظر والتفكير ، يكون قد وصل به للايمان الصحيح الكامل ، ثم هذا الايمان يستتبع فى هذه العقائد التى هى موضوع الايمان *

وهكذا كانت طريقة القرآن ومنهجه تبعث على التفكير والنظر فان طرقه المتعددة فى التعبير عن المراد من استخدام التعبير الحقيقى

(٣٨) نفس المصدر : ص ٥٤ *

(٣٩) نفس المصدر : ص ٥٥ - ص ٦٠ *

فى مواضع ، والتعبير المجازى فى مواضع ثانية ، والتشبيه والتمثل فى مواضع ثالثة وكثيرا ما كان يوجه نظرنا الى الواقع المشاهد أحيانا وأحيانا أخرى يدعو الى تجاوز هذا الواقع الى البحث فيما وراءه الى آخر هذه الطرق فى البيان والاستدلال ، وهذا ما يجعلنا نقول ان القرآن الكريم احتسوى بالضرورة على كل طرق الادراك الكامل السليم وبرغم التناقض الواضح فى هذه الطرق المتباينة الا ان ذاك التناقض الذى يظهر لمن ينظر فيه نظرا سطحيا يرتفع اذا وضعنا فى اعتبارنا طبيعة الموضوع الذى يناوله ، وتناسب طرق تناوله والاستدلال عليه ، وغايته فى الوصول الى اليقين المطلق فى الموضوع الذى يتناوله ذلك لأن القرآن الكريم يسعى الى الوصول الى الحقيقة واليقين ، من حيث ان فكرة الحق وتميزه عن الباطل تعد فكرة مركزية فى القرآن الكريم ، من هنا فرق بين طرق المعرفة غير اليقينية من : الظن والحكم بالهوى ، والتقليد والمحاكاة ، وبين طرق البرهان والاستدلال والتي يركز عليها أشد التركيز ولن يتم البرهان والاستدلال باستخدام العقل فى وضع قواعد الاستدلال والبرهان (٤٠) .

بقيت نقطة أخيرة فى بيان قيمة العقل ومنزلته فى القرآن الكريم تتعلق بالأسس المنهجية التى أشار اليها القرآن الكريم ، تلك الأسس التى تتعلق بالبحث سواء أكان بحثا عقليا نظريا (فلسفيا) أو بحثا علميا (مرتبطا بالواقع المشاهد) فلقد نبه القرآن الكريم الى ضرورة طرح التقاليد الفاسدة ، وتحرير الفكر من الآراء والمذاهب السابقة

(٤٠) الدكتور سامى نصر : نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين (الفرق الكلامية) مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١م الجزء الاول ، ص ٣٩ — ص ٤٠ وايضا الدكتور أبو ريدة : الايمان فى عصر العلم ، مقالة بمجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الاول ، العدد الاول ، الكويت ، ١٩٧٠م ، ص ٣٩ — ص ٤٠ ، ص ١٥٩ .

الموروثة (سورة البقرة آية ١٧) ورفض سلطان الغير مهما كانت قيمته (انظر سورة التوبة آية ٣١) ونبذ التقليد والتحرر من سلطانه والانتجاع الى وسائل المعرفة المتاحة له من الحس والعقل ، ودعا المسلم بعد ذلك الى أن يخطو الخطوة الثانية وهي تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال •

ولقد وجه القرآن المسلمين الى استخدام الاستدلال القياسى والاستقرائى وحقيقة ما قاله أستاذنا الدكتور التفزازانى : ان القرآن الكريم ليس كتابا فى المنطق ولكنه يحتوى على الأصول العامة للدلائل العقلية ، أما تفصيلاتها ، فليس من وظيفة القرآن ان يتعرض لها ويكفى القرآن انه ينبه الى مثل تلك الدلائل الاجمالية ليمضى العقل البشرى بعد ذلك الى وضع تفاصيلها ، وكشف قوانينها وطرق استخدامها (٤١) •

وحقا لقد نبه القرآن الى هذه الأصول العامة للدلائل العقلية الأمر الذى جعل كبار المشتغلين بالفلسفة والمعقولات من المسلمين يذكرون ان القرآن قد انطوى على مختلف أنواع الحجج والبراهين بحيث لا يمكن أن تزداد عليه فى هذا شئ (٤٢) •

يقول الدكتور التفزازانى : والحقيقة اننا لو نظرنا الى القرآن نظرة متأنية لوجدنا انه نبه العقول الى استخدام أنواع الاستدلال ، العقلى المختلفة مباشرة كان أو غير مباشر ، فهو كما يدعو الى استنباط نتيجة من مقدمة أو مقدمات ثبت صحتها فى معرض الاستدلال على العقائد النظرية (انظر الآيات من آخر سورة يس آية ٧٧ — ٨٣) نراه يدعونا أيضا الى استخدام المشاهدة الحسية ، واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة ليصل بنا الى معرفة القوانين العامة التى تفسر هذه الطبيعة بمقتضاها (٤٣) •

(٤١) الدكتور أبو الوفا التفزازانى : الانسان والكون فى الاسلام ، دار

الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ •

(٤٢) نفس المصدر : ص ٣٥ •

(٤٣) انظر تفصيلا : نفس المصدر : ص ٣٥ — ص ٤١ •

وهكذا يوجه القرآن العقل البشرى الى خطوات منهج متكامل فى المعرفة سواء أكانت المعرفة العقلية أم المعرفة العلمية المتعلقة بالواقع المحسوس . وفى كل هذا تزكية لاستخدام العقل فى الحصول على المعرفة الصحيحة المتعلقة بالله والعالم والانسان ، جاء هذا المنهج تقديرا لقيمة العقل فى أن يؤدي غايته فى الوصول الى المعرفة التى يؤسس عليها الايمان الصحيح ، فليس لنا أن نتجاهل ما فى القرآن الكريم من ضروب الاستدلال القائم على البحث عن العلل على قواعد الفكر الملزمة ، ومن التنبيه المستمر على النظر العقلى فى الكون والتأمل فيه وعلى التدبر فى بناء العوالم ، وتوقف بعضها على بعض ، ومن اشارات كونية ونفسية من شأنها أن توصل بالضرورة العقلية الى الغاية منه وهى انشاء وجهة نظر عن الذات الالهية وعن الانسان وعن الكون وعن الحياة^(٤٤) .

مما تقدم يمكن ان ننتهى الى أن القرآن : بطبيعته وأسلوبه وطريقة تناوله للمسائل أو المشاكل المختلفة ، يدعو للتفلسف ، وأنه قابل لما هو حق من الأراء التى ذهب اليها المفكرون فى هذه النواحي وأنه لهذا كان كل أصحاب مذهب كلامى أو فلسفى فى الاسلام ، يهتمون بان يجدوا لمذاهبهم أسانيد من القرآن^(٤٥) .

(د) موضوعات علم الكلام واتسار القرآن اليها :

لقد اشتمل القرآن على المادة الأساسية التى كونت موضوعات علم الكلام ، فقد أشار الى موضوع الالهيات وما يتفرع عليه من مباحث ويمكن أن نشير الى ذلك فيما يلى :

(٤٤) الدكتور ابو ريده : مقدمة ترجمته لكتاب دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام .

(٤٥) الدكتور يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٦٤ .

(١) الاستدلال على وجود الله تعالى :

لقد عرض القرآن للأدلة على وجود الله ، تلك الأدلة التي تكاد تكون بعينها الأدلة التي استند إليها المتكلمون في هذا الصدد مما يشير إلى اعتمادهم على القرآن الكريم في هذا الجانب .

فقد تميز القرآن الكريم بأنه جعل نقطة البداية لمعرفة الله تعالى ما يشاهده الإنسان في الكون وفي نفسه ، وتدل آيات كثيرة في القرآن الكريم على أن المقصود مما يشاهده الإنسان في نفسه هو نشأته وتقلبه في مراحل الخلقة وبنينه وأعضاؤه وجوارحه إلى جانب ما يدركه الإنسان في حياته الباطنية : حياة الفكر ، وحياة النفس ، بالمعنى الواسع لهاتين الكلمتين .

فالقرآن لا يجعل أساس النظر المؤدى إلى معرفة الله مفهومات ولا معاني ذهنية ، ولا قضايا نظرية جدلية ، وهو حتى عندما يريد أن يجادل لا يجعل موضوع الجدل خارجا عن نطاق المشاهد الذي يدركه الإنسان مباشرة^(٤٦) .

ويقول الدكتور أبو رييدة أنه لا بد من التنبيه ، بأن القرآن انفرد من بين الكتب المنزلة ، على صورتها التي وصلت إلينا ، بهذه الطريقة في المعرفة بالله ، وجعل مسألة اثبات وجود الله مسألة بحث علمي في ضوء العقل والحس^(٤٧) .

فقد نيه القرآن الكريم في كثير من آياته التي تناولت العالم وخلقته ، إلى قدرته تعالى ، وبديع صنعه ، وعجائبه وأسراره من هذه

(٤٦) الدكتور أبو رييدة : الإيمان في عصر العلم ، ص ١٦٠ .

(٤٧) نفس المصدر : ص ١٦٢ .

الآيات استخاض علماء الكلام والمشتغلين بالعلوم الطبيعية والكونية بوجه عام دليلا على وجود الله وهو الدليل المسمى بدليل التدبير أو دليل الانتقان أو دليل الأحكام وهو يتلخص فى الاستدلال من النظر فى نظام العالم على وجود صانع قادر حكيم طبقا لمبدأ عقلى هو مبدأ العلية الذى يقضى بان كل حادث وكل شىء يقع على نحو ما لابد له من علة كافية (٤٨) .

ولقد كان هذا الدليل من أقوى الأدلة التى استند عليها المتكلمون والفلاسفة فى إثبات وجود الله تعالى (٤٩) ، بل وجميع من تصدى لهذه المشكلة قديما وحديثا .

(٤٨) نفس المصدر : ص ١٦٢ .

(٤٩) فقد عول المتكلمون جميعا — معتزلة وأشاعرة — على هذا الدليل تعويلا كبيرا (انظر : القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ١١٧ — ص ١١٩ ، والمختصر فى أصول الدين ، ص ١٨٧ والمحيط بالتكليف ، ص ٧٥ وما بعدها ، والنيسابورى : ديوان الأصول فى التوحيد ، ص ٢٩٦ وما بعدها ، وانظر : الأشعرى : اللمع فى الرد على أهل الزيع والبدع ، نشرة الدكتور غرابية ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ، ص ١٨ ، والباقلانى : الشهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، ص ٤٥ وايضا الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص ١٦ ، والجوينى : لمع الأدلة فى قواعد ، عقائد أهل السنة والجماعة ، بتحقيق الدكتور فوقية حسين محمود ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٨٠ ، والشهرستانى : نهاية الاتهام فى علم الكلام ص ١٢ .

ونجد هذا الدليل لدى فلاسفة الاسلام ، كالكندى (انظر : الابانة عن العلة الذاعلة القريبة للكون والفساد رسائل الكندى الفلسفية ج ١ ص ٢١٥ ، ص ٢٣ ، ص ٢٣١ ورسالته فى حدود الأشياء ورسومها ، ص ١٦٥ ورسالته : الابانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل ، ص ٢٥٧ — ص ٢٥٨ ، ورسالته فى ماهية النوم والرؤيا ص ٣٠٦ ، ونجده بتفصيل وتدقيق شديد عند الفيلسوف ابن رشد (انظر : مفاهج الأدلة فى عقائد أهل الملة بتحقيق الدكتور محمود قاسم ، الأنجلو المصرية ،

وهكذا وجد المتكلمون فى آيات القرآن الأدلة على وجوده ، تلك الأدلة التى استخرجوها وقاموا بتفصيلها وبيانها ، وكان أهم دليلهم — كما ذكرنا — دلائل الحدوث ، ذلك الدليل الذى تناولته الآيات القرآنية ومن ثم كان جل اهتمامهم — معتزلة وأشاعرة — اثبات حدوث العالم ومن ثم يبنى على ذلك وجود محدث لا فتقار المحدث الى محدث ، طبقا لبدأ العلية .

(ب) ذات الله وصفاته :

أشارت آيات كثيرة الى هذه المشكلة ، فلقد كان من الطبيعى ان يفيض القرآن الكريم فى الكلام عن الله الواحد الأحد الذى لا شريك له ، محددًا بذلك تحديدا قاطعا وحدانيته تعالى (٥٠) ، هذا الاله الواحد منزها عن مشابهة مخلوقاته ، ليس كمثل شىء ، متعاليا عن التصور العقلى والحسى مخالفا للحوادث رب العالمين . وقد أثارت الآيات المتشابهة — كما ذكرنا — سابقا — مذاهب فى الصفات ، فلقد أشارت هذه الآيات الى أن الله جسم له : وجه ، ويدان ، وساق ، وقدم (*) ،

القاهرة الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٥٠ وما بعدها ، والدكتور محمد عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٧٠ وما بعدها (انظر على سبيل المثال الآيات القرآنية : سورة البقرة آية ١٦٣ — ١٦٤ ، سورة الروم آية ١٧ — ٣٠ ، الأنبياء آية ٣٠ — ٣٢ ، سورة الطور آية ٢٥ — ٣٦ ، ص ٤٣ وسورة الأنعام آية ٧٤ — ٨٣ الى آخر هذه الآيات) .

(٥٠) انظر على سبيل المثال : سورة البقر آية ١٦٥ ، وسورة آل عمران آية ٦٣ ، وسورة الزهر آية ٣ ، وسورة النساء آية ٤٨ ، وسورة الأنعام آية ١٦٣ ، والنحل آية ٣ ، ٥١ وغيرها من الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم .

(*) انظر على سبيل المثال : سورة الرحمن آية ٢٧ ، سورة البقرة آية ١١٥ ، ٢٧١ ، سورة الروم آية ٣٨ ، ٣٩ ، سورة الاتسار آية ٩ ، وسورة آل عمران آية ٧٣ ، سورة المسائدة آية ٦٤ ، سورة الفتح آية ١٠ ، سورة الحديد آية ٢٩ ، وسورة القلم آية ٤٢ .

فمن أجرى هذه الآيات على ظاهرها دون بيان كيفية شيء من ذلك وقع في التشبيه والتجسيم ، ومنهم من تأولها فانتهوا الى نفي الصفات ومنهم من توسط فأقر بها ، دون تأويل أو بيان لكيفيتها . اعتمادا على آيات التنزيه (٥١) .

ومن هنا يقول الدكتور التفتازانى : ومن الآيات ما يوحى التشبيه والتجسيم ، مثل الآيات التى ورد فيها ذكر اليد والاستواء على العرش ولكن الى جانب هذه الآيات توجد آيات التنزيه المطلق مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ، وهى الواجبة الاعتقاد ، لكان بعض المسلمين يسلم بآيات الصفات كما وردت ، دون تأويل ، والبعض الآخر يتأولها لتصبح متمشية مع ما يعتقد من التنزيه ، ووقع بعض المسالمين فى التشبيه والتجسيم (٥٢) .

كما أشارت الآيات القرآنية الى صفات الذات من : العلم والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . مشكلة رؤية الله تعالى (٥٣) وانقسم المتكلمون بين مثبت للرؤية وبين نافي لها مما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم هو من العوامل الأساسية التى وجهت المتكلمين لدراسة المشكلة والى تبنى اتجاه لها حيث استند من أجاز الرؤية على الآيات التى أجازتها وأولوا الآيات التى لم تجيزها ، والآخرون العكس ، واعتقادنا بأن القرآن الكريم لم يثير اهتمامهم بهذه المشكلة فحسب ، الرؤية ونفيها ، بل أنه حثهم على اتخاذ اتجاه معين تجاه هذه المشكلة .

(٥١) سورة الشورى آية ١١ .

(٥٢) الدكتور التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٢٠ ،

ص ١٠ .

(٥٣) سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ ، وسورة الأنعام آية ١٠٢ .

كما أشارت الآيات القرآنية اشارة واضحة الى مشكلة كلامية هامة اختلف المسلمون حولها ، بل اقتتلوا بسببها وهي مشكلة كلام الله هل هو قديم قدم الله تعالى ؟ أم هو محدث مخلوق ، فلقد أشارت الآيات القرآنية اشارات واضحة الى هذين القولين (٥٤) فظهر مذهبان كلاميان أحدهما يؤكد على قدمه والآخر يؤكد على حدوثه أو خلقه وكلاهما يستند الى آيات القرآن الكريم .

على ان الآيات القرآنية أشارت الى مشكلة هامة شغلت حيزا كبيرا فى الدراسات الكلامية وهي مشكلة العدالة الالهية ، والتي أشار اليها القرآن فى نواحي ثلاثة :

(أ) العمل بين الله والانسان (الجبر والاختيار) .

(ب) الاضلال والهداية .

(ج) العدالة والجور أو الوعد والوعيد أى مشكلة الثواب والعقاب .

(١) لقد أثار آيات كثيرة مشكلة العلاقة بين الفعل الالهى والفعل الانسانى ، فذهب البعض الى القول بالجبر ، وذهب البعض الآخر الى القول بالحرية وكلاهما مستند على آيات القرآن الكريم (٥٥) .

(٥٤) انظر على سبيل المثال : سورة الاعراف آية ١٤٥ ، التوبة آية ٦٠ ، الواقعة آية ٧٧ وفى مجملها آيات تشير الى قدم القرآن انظر : سورة الزمر آية ٢٣ ، وسورة النساء آية ٢ ، وسورة السجدة آية ٢ ، وسورة الانعام آية ٢ ، وسورة الانبياء آية ٢ وسورة طه ١٢ — ٤٧ ، وسورة الاسراء آية ٨٦ ، وسورة الانعام آية ١٠٢ ، سورة الانبياء آية ٢ ، والنساء ٨٧ .

(٥٥) من أوضح ما استدل به الجبريون قوله تعالى فى الآيات التالية : سورة الزمر آية ٦٢ ، سورة الرعد آية ١٦ ، سورة الصافات آية ٩٥ ، ٩٦ ، سورة الأنفال آية ١٧ ، سورة الأنعام آية ١٠٢ ، ١٠٤ ، سورة النحل آية ١٧ ، سورة البقرة آية ١٢٨ : (انظر تفسير فخر الدين الرازى ج ٤)

وهكذا كان للقرآن أثر فى توجيه الفريقين الى المذهب الذى قال به بالنسبة لعمل الانسان ، وهل هو مخلوق له ، أو لله ، فاذا كان لله القدرة التامة المطلقة ، فهل يكون كل شئ حتى فعل الانسان من خلقه أم ان الانسان فعله على اعتبار أنه محاسب عليه ، فيجب أن يكون واقعا تحت قدرته حتى يكون للتكليف معنى وللثواب والعقاب مغزى وهذا يقودنا الى الجانب الآخر فى العدالة الالهية . وهو جانب الهداية والاضلال ، فهو مرتبط بعدالة الله تعالى التى لا ترضى الفساد والشر فالله منزه عن فعل الشر وأفعاله كلها حسنة ، ويفعل الأصلاح لعباده كما يقول المعتزلة ، وذلك وفقا لعدالته المطلقة فبينما يرى فريق أهل السنة ان الله يخلق الشر كما يخلق الخير وكلاهما استند الى القرآن فيما ذهب اليه (٥٦) .

ومرة أخرى يمكن أن نلاحظ مقدار أثر القرآن الكريم فى تكوين مذاهب المتكلمين أهل سنة ومعتزلة ، واستدلالهم على مذاهبهم فلقد

ص ١٣٠ (شارن ج ١ ص ٥١١) سورة عيسى آيات ٢٤ - ٢٧ (انظر ابن المنير : الانتصاف على هامش الكشاف للزمخشري ، ج ٤ ص ١٨٥ - ص ١٨٦ (شارن الكشاف ج ٤ ص ١٨٦) . . الى آخر هذه الآيات .
ومن أوضح ما استدل به انصار الحرية كالمعتزلة : سورة الانعام آية ٤٨ (انظر تفسير الرازى ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٢) وسورة آل عمران آية ١٦٥ ، وسورة الكهف آية ٢٩ (انظر تفسير الرازى ج ٤ ، ص ٣١٩) وانظر تفصيلا الرازى : المحصل ، ص ١٤٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ فلقد أفاض فى ذكر مذهب المعتزلة وأوجه استدلالهم بالآيات القرآنية .

(٥٦) استند أهل السنة فى قولهم على الآيات التالية : آية ٣١ سورة الفرقان ، وآية ١٢٣ من سورة الأنعام ، وآية ١٢٢ من سورة الأنعام ، وآية ٣٥ من سورة ابراهيم كما استند المعتزلة على الآيات : ٨ - ١٠ من سورة آل عمران ، وآية ٦٠ من سورة النساء ، وآية ٢٧ من سورة الاعراف ، وآية ١٥ ، ٢٢ من سورة القصص ، فضلا عن تأويل الآيات السابقة تأويلا يفيد أن ، الله لا يفعل التبيح وان أفعاله كلها حسنة ، وهذا متصل بقولهم : بالعدل الالهى .

ساهم القرآن كثيرا في تكوين بعض جوانبه ، وهذا يؤكد أثر القرآن الكريم في اثاره البحث في الموضوعات الرئيسية لعلم الكلام .
كما أثارت آيات كثيرة مشكلة الثواب والعقاب أو الوعد والوعيد ، فلقد أشارت الآيات الى ان الله تعالى وعد المؤمنين الجنة ، وتوعدهم العذبة بالنار ، فان الثواب والعقاب استكمال لعادلة الله تعالى وهي مغزى تكليفه لخلقه ودارت تساؤلات كثيرة عن مدى وجوب الثواب والعقاب على الله تعالى وهل يجوز على الله خلف الوعد والوعيد ، واذا خلف الوعد والوعيد هل يسمى ذلك ظلما من الله تعالى !! وما معنى التكليف وهل يجوز التكليف بما لا يطاق وهل يجب على الله أن يقدر عباده على التكليف ؟ الى آخر هذه التساؤلات التي أدت الاجابة عليها الى اختلاف المتكلمين حولها فكان للمعتزلة مذهبهم في العدالة الالهية وكان لأهل السنة والأشاعرة مذهبهم المقابل للمعتزلة تقابل التضاد في أمور كثيرة ، كان هذا وذاك أثر من آثار تدبرهم للقرآن الكريم بما احتواه من آيات وجد كل فريق منهما أنها ساند له فيما يقول به .

ولقد ارتبط بهذا الجانب جانب البعث فهو مرتبط بجانب الثواب والعقاب ، ولقد ركزت الآيات القرآنية على وضع قضية البعث موضع اليقين بما تناولت الآيات من أدلة عرضتها عرضا دقيقا يبيح على اليقين (٥٧) وقد أثارت أمثال هذه الآيات تساؤلات كثيرة وبخاصة وأنها تخالف المعتاد من العلم بتحال الأجسام كما أنها تختلف مع عقيدة الماديين بوجه عام ولقد كونت الأدلة التي حملتها الآيات القرآنية مادة المتكلمين في الاستدلال على البعث ويمكن القول — بدون مبالغة أن معظم أدلة المتكلمين على جواز البعث كانت قرآنية المصدر .

(٥٧) انظر الآيات (على سبيل المثال) ٦ ، ٧ من سورة الحج ، والآيات ٧٨ — ٧٩ من سورة يس والآيات ٤٩ — ٥٠ من سورة الواقعة .

كما أشارت الآيات القرآنية أخيرا الى جانب النبوة والوحي وتعتبر النبوة أصلا هاما من أصول العقيدة وانكارها أو الطعن فيها يعد انكار للدين من أساسه وقد أشارت الآيات القرآنية الى قصص الأنبياء ودلائل النبوة ، ومعجزات الأنبياء ، ومعترلة محمد (ﷺ) خاتم النبيين جميعا وامامهم وأشار الى الدلائل اليقينة على صدق النبوة ، وكانت هذه الآيات مصدرا أصيلا للدفاع عن النبوة ضد من طعن في النبوة بوجه عام ، أو نبوة محمد (ﷺ) بوجه خاص ، فكان القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للمتكلمين فيما خاضوا فيه من موضوعات تتعلق بجانب الألوهية وكان سندهم فيما انتهوا اليه من آراء ومذاهب دافعوا بها عن الاسلام ضد مخالفته في هذا الجانب .

• كما أشار القرآن ثانيا الى موضوع العالم (٥٨) .

وكانت أول الحقائق التي ذكرها أن العالم حادث مخلوق من لا شيء واذا كان العالم محدثا فلا بد له من خالق ، وهو الله تعالى ، خالق كل شيء فهو المصور والمبدع (٥٩) وأشار القرآن الكريم الى قدرته تعالى المطلقة على الخلق (٦٠) ، لم يشترك أحدا معه في خلقه (٦١) غير أن القرآن أشار في أكثر من موضع الى قصة الخلق وما فيها من اعجاز مبينا تلك السنن والقوانين التي يبسرها الخلق ، من حيث ان الله تعالى

(٥٨) انظر تفصيلا : الفصل الخاص بالمصادر الاسلامية لمشكلة خلق العالم عند المعتزلة ، ضمن رسالة الدكتوراه للمؤلف تحت اشراف الأستاذ الدكتور ، أبو الوفا التفتازاني ص ١٠ ، ص ٢١ .

(٥٩) انظر على سبيل المثال : سورة مريم آية ٩ ، وسورة غافر آية ٦٢ ، وسورة فاطر آية ٣ ، وسورة آل عمران آية ٦ ، وسورة الحجر آية ٢٤ ، وسورة الأعراف آية ١١ ، سورة الأنعام آية ١٠١ .

(٦٠) انظر على سبيل المثال ، سورة البقرة آية ١١٧ .

(٦١) انظر سورة الكهف آية ٥١ .

يعطى كل مخلوق طبيعته المقدرة له أو ماهيته الخاصة به (٦٢) ، ومن هنا كان خلقه للعالم لحكمه ، ولم يخافه عبثا (٦٣) ، وأشار الى زمن الخلق ومدته (٦٤) وأشار الى مادة الخلق (٦٥) وأنه هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده الى آخر هذه المسائل المتعلقة بالعالم .

وكل هذا يفيد بما لا يدع مجالا للشك ان العالم مخلوق ، بقدره الله تعالى وحكمته ، وليس هنا مجال للقول بالاتفاق أو الصدفة ، لأن ذلك يناهى الحكمة فى الخلق ، فضلا عن أنه يناهى القوانين الثابتة والسنن المطردة التى يسير عليها العالم .

وهكذا كان القرآن الكريم ذا أثر حاسم فى توجيه نظر المتكلمين الى دراسة العالم والبحث فيه بما أمدهم من حقائق تتعلق به ، فضلا عن أنهم وجدوا فيه دعوة صريحة الى اعمال العقل فى المسعى نحو اكتشاف قوانين الخلق ، والوقوف على آيات الاعجاز فيه ، مشيرا الى النهج الملائم لهذا البحث .

وإذا كان المتكلمون قد اتجهوا الى دراسة العالم لاثبات حدوثه وخلقه ، وذلك تمهيدا لاثبات محدثه وهو الله تعالى ، فكان هدفهم من دراسة العالم هدفا دينيا بحتا ، وقد اعترض بعض المفكرين القدماء

(٦٢) انظر على سبيل المثال : سورة القمر آية ١١ ، وسورة طه آية ٥٠ .

(٦٣) انظر سورة الانبياء آية ١٦ ، ١٧ والانعام آية ٧٣ ، والنمل آية ١١ ، وسورة طه آية ٥٠ .

(٦٤) انظر سورة السجدة آية ٤ ، ٥ .

(٦٥) انظر على سبيل المثال : سورة فصلت آية ١١ ، وسورة الانبياء آية ٣ ، وسورة النور آية ٤٥ ، وسورة الاعراف آية ٨٩ ، وسورة النساء آية ١ ، وسورة الزمر آية ٦ ، وسورة الانعام آية ١ .

والمحدثين على ان بحث المتكلمين فى العالم لبيان حدوثه وخلقة
بحث لا يرجع الى القرآن الكريم ، معتمدين ان لفظ « القدم »
أو « الحدوث » هو نفسه مردود الى مصدر فلسفى أجنبى وهذا
غير صحيح ، فاذا كان لفظ القدم أو الحدوث لم يردا فى القرآن ،
فقد ورد فيه ما يشير اليهما نحو قدم الخالق ، وحدوث المخلوق ،
فقد دلنا القرآن على أن العالم حادث من حيث له بداية ونهاية ،
وانه مخلوق من لا شىء ، وان الله تعالى خالقه ، وهو القديم وحده
ولا قديم سواه ، وهذا كله كان معروفا لدى السلف لأن لغة القرآن
تفيدة ، ومن ثم لم تظهر لديهم حاجة الى مناقشة مشكلة القدم
أو الحدوث ، وانما ظهرت هذه المناقشات فيما بعد عندما أثارها
المخالفون فى عقيدة الخلق ، فاضطر المتكلمون الى مناقشة هذه المشكلة
دفاعا عن الاسلام ، لأن غايتهم كانت غاية دينية ، ولم تكن غاية فلسفية
يقصد منها التفلسف أو النظر العقلى المجرد لذاته ، بغية الوصول الى
تفسير طبيعى للكون على غرار ما يفعله الفلاسفة ، وانما كما قات كان
يحثهم لغرض دينى وهو اثبات ان كل ما فى العالم من الجواهر والأجسام
والأعراض مخلوق ، ومن ثم فلا بد له من خالق ، هو الله تعالى ،
فيكون هذا دليلا معتمدا على العقل بجانب الأدلة المعتمدة على النقل
فى اثبات الخلق والخالق •

وهكذا كان القرآن الكريم مصدرا من المصادر الأساسية التى
دعتهم الى دراسة العالم الطبيعى •

كما أشار القرآن ثالثا الى الانسان :

كما عرض القرآن الكريم للمشكلات المتعلقة بالانسان فى مختلف
حالاته وأوضاعه ، باعتباره فردا ، أو عضوا فى أسرة ، أو فى مجتمع
صغير أو كبير ، أو عضوا فى أمة ، أو عضوا فى جماعة الانسانية كلها

فكون القرآن الكريم الخطوط العريضة للفلسفة الانسانية والاجتماعية
على تعدد فروعها وتنوعها (٦٦) .

فقد كرم الله الانسان ، ومنع الوسيط بينه وبين الله ، فحرره
من سلطان الغير ، والاحبار والرهبان ، ولم يجعل عليه سلطانا الا عقله
السليم وتفكيره الصحيح ، فجعله مسئولا عن عمله ، بعد أن منحه العقل
والحرية (٦٧) . فقد أشار القرآن الى الأسس التي يجب أن يسلك
الانسان وفقها ، فقد وضع أسس علم الأخلاق الاسلامية .

وهكذا نجد القرآن الكريم بما احتواه من شرح العقيدة والانتصار
لها وتقديمه لحلول المشكلات المتعلقة بها ، كالجبر والاختيار ، والله
والكون وخلقهم ، واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والمسائل الأخلاقية
كان ذلك كله المادة التي كونت علم الكلام الاسلامي ، بل يمكن القول
بان المشكلات التي أثارها علم الكلام ، انما هي تلك المشكلات التي
يمكن أن يلتمس لها حلول في القرآن الكريم .

وعلى هذا يمكن أن تنتهي الى القول بان علم الكلام انما نشأ
حول القرآن الكريم للدفاع عنه من جهة ، وللبهنة على ما جاء به
من جهة أخرى .

ثانياً - السنة :

لقد تعرضت السنة أيضا للإشارة الى موضوعات علم الكلام
الرئيسية ، فلقد أشارت السنة في حديث مشهور الى افتراق الأمة

(٦٦) الدكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٢٤ .
(٦٧) سورة النجم آيات : ٣٩ - ٤١ ، وسورة الزلزلة آية ٧ - ٨ ،
وسورة فاطر آية ١٨ .

الاسلامية بحسب عقائدها في الأصول الايمانية ، فقد أورد بعض مؤرخي علم الكلام كالبغدادي هذا الحديث ، فيروي عن أبي هريرة انه قال « قال رسول الله (ﷺ) افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصراني على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » كما يورده برواية ثانية فيذكر انه روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان الرسول (ﷺ) قال : « ليأتين علي أمتي ما أتى علي بنو اسرائيل ، تفرق بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، لا تزيد عليهم ملة ، كلهم في النار الا ملة واحدة » ، قالوا يا رسول الله وما الملة التي تتغلب ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي كما أورده برواية ثالثة عن أنس بن مالك ، فقال قال : رسول الله (ﷺ) « ان بنو اسرائيل افتقرت على احدى وسبعين فرقة ، وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ، وهي الجماعة » .

ويعلق البغدادي على هذا الحديث الذي رواه بروايات ثلاث باختلاف في اللفظ ان هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ابن حزام المسلمي وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي امامة .

واذا كان البغدادي قد اتخذ من هذا الحديث سنداً في القول بأن الفرقة الناجية واحدة ، وهي فرقة أهل السنة والجماعة (٦٨) فان كل فرقة حاولت أن تفسر هذا الحديث لصالحها .

واذا حاولنا البحث مع مؤرخي علم الكلام ، كالبغدادي والشهرستاني والمطفي ، ... وغيرهم ممن يأخذوا بصحة هذا الحديث عن الفرق المذمومة نجدهم يدرجون فيها كل من خالف فرقة أهل

(٦٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٥ - ٦ .

السنة الناجية في أبواب العدل والتوحيد وفي الوعد والوعيد أو في باب القدرة والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر ، أو في أبواب الهداية والضلالة ، وفي باب الإرادة والمشيئة ، أو في باب الرؤية والادراك ، أو في باب صفات الله عز وجل وأسمائه ، أو في باب من أبواب التعديل والتجويز ، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها (٦٩) .

على أن هذا الحديث في اعتقادنا حديث ضعيف ، لاختلاف روايته من جهة (٧٠) وأنه لا يوافق تشعب الفرق الكلامية من جهة أخرى فاننا إذا نظرنا - نظرة موضوعية - فاننا نجد ان عدد الفرق لا يصل بحال الى العدد المذكور في الحديث ويفرض صحة هذا الحديث فان يذكر اختلاف الأمة الاسلامية وهي أمة مستمرة في الوجود الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ولذا فان قصره على الفترة السابقة أمر غير صحيح يضاف الى هذا ان بعض مؤرخي العقائد يعتبرون هذا الحديث ضعيفا من جهة الاسناد ، ومن ثم فهم يضعفونه ولا يأخذون به كابن حزم كما ان هناك مؤرخين آخرين لا يتعرضون لهذا الحديث وهم بصدد احصائهم للفرق الكلامية كالأشعري ، وفخر الدين الرازي وغيرهما .

على ان السنة قد أشارت الى كثير من مباحث علم الكلام فقد أشارت الى مباحث الصفات : فوردت أحاديث كثيرة تثبت الصفات لله تعالى يمكن أن نذكر منها :

(أ) أحاديث أثبتت النفس لله تعالى : عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله (ﷺ) : « يقول الله (تعالى) أنا مع عبدي حين

(٦٩) نفس المصدر : ص ٦ - ص ٧

(٧٠) انظر ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، تجد روايات أخرى للحديث ص ١٧ - ١٨ . ويقول الترمذي ان هذا الحديث حسن قريب ولا يعرف الا من هذا الوجه .

يذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء
 ذكرته في ملاء خير منهم» (٧١) كما روى عن ابن عباس ان النبي (ﷺ)
 حين خرج الى صلاة الصبح ، وجويرة في المسجد رجع حين تعالى
 النهار قال : « لم ترالى جالسة بعدى » ؟ قالت نعم ، قال : « قد قلت
 بعدك أربع كلمات لو وزنت بهن لو زنتهن سبحان الله العظيم ويحمده
 عدد خلقه ، ومداد كلماته ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه » (٧٢) .

وعن أبي هريرة ان رسول الله (ﷺ) قال : « لما قضى الله
 الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ، ان رحمتي نازت
 غضبي » (٧٣) .

(ب) ذكر الوجه :

كما وردت أحاديث ذكرت فيها وجه الله تعالى نذكر بعضها
 منها : يروى ابن خزيمة أن جابر قال لما نزل على الرسول (ﷺ)

(٧١) رواة البخارى برواية فيها اختلاف في اللفظ يقول روى عن ابي
 هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : « انا عند ظن
 عبدى بي وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي »
 والحديث رواه مسلم والترمذى ، واخرجه الامام أحمد في مسنده بن حديث
 انس .

(٧٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٨ ، ص ٨٣ (طبعة
 الاستانة) واخرجه ابو داود والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه وانظر
 ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل راجعه وعلق
 عليه محمد خليفة هراس ، مكتبة الكليات الازهرية القاوهة ، ١٣٨٧ هـ
 — ١٩٦٨ م ، ص ٧ .

(٧٣) رواه البخارى في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ عن ابي هريرة
 بلفظ « ان رحمتى غلبت غضبى » وفي ج ٨٩ ، ص ٢٢٧ — ص ٢٤١ ،
 بلفظ « ان رحمتى سبقت غضبى » ورواه مسلم في صحيحه من حديث ابي
 هريرة بلفظ « ان رحمتى تغلب غضبى » والحديث ذكره ابن خزيمة في كتاب
 الصفات ، ص ٨ كما يذكر روايات أخرى للحديث بأسانيد أخرى انظر
 ص ٨ — ص ٩ .

قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم »
قال رسول الله (ﷺ) : « أعوذ بوجهك الكريم » (٧٤) .

كما روى عن الرسول (ﷺ) انه كان يدعو بدعاء طويل جاء فيه
« وأسألك لذة النظر الى وجهك ... » (٧٥) ويعلق ابن خزيمة على ذلك
بأن هذا أوضح دلائل على أن لله وجهها يتلذذ من من الله عليه بالنظر اليه .
وقوله (ﷺ) « من صام يوما في سبيل الله ابتغاء وجهه الله باعد
الله وجهه عن النار سبعين خريفا » (٧٦) وقوله (ﷺ) « من استعاذ بالله
فأعذوه ومن سألكم بوجهه الله فأعطوه » (٧٧) وقوله (ﷺ) « مثل
المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجهه الله ، « مثل القائم المصلح ، حتى يرجع
المجاهد » (٧٨) .

(ج) أحاديث ذكرت فيها العين لله تعالى :

ومن الاحاديث التي ذكرت فيها العين لله تعالى ما يروى عن ابي
هريرة عندما قرأ قوله تعالى : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
أهلها » حتى وصل الى قوله تعالى (سميعا بصيرا) فوضع ابهامه على
أذنه والتي تليها على عينه وقال (هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها
ويضع اصبعيه) (٧٩) .

(٧٤) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ١١

(٧٥) نفس المصدر : ص ١٢ وقد أخرجه النسائي في سننه في ادعية
الصلاة من طريقين .

(٧٦) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ١٣ .

(٧٧) رواه احمد بن حنبل في مسنده ، وابو داود في سننه عن
ابن عباس .

(٧٨) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما في كتاب (الجهاد) .

(٧٩) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ٤٣ .

وقوله ﷺ : « ان الله ليس بأعور ، الا أن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأنها عتبة طافية » (٨٠) .

(د) أحاديث تثبت السمع والبصر لله تعالى :

من هذه الأحاديث الحديث المشهور الذى روى عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ فقال : « لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة لذا عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال ، فلم يجيبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى قال : يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى أمرك وبما شئت ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لعلتم فقال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا » (٨١) .

وروى ابن خزيمة عن ابي موسى الأشعري قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزاه ، فلما أقبلنا واشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة رفعوا بها أصواتهم فقال رسول الله ﷺ : « ان ربكم ليس بأصم ولا غائب » (٨٢) .

(٨٠) نفس المصدر ص ٤٣ وانظر روايات أخرى أوردها لذلك الحديث ص ٤٣ - ص ٤٤ .

(٨١) هذا الحديث ذكره ابن خزيمة فى كتاب الصفات ، ص ٤٨

(٨٢) ابن خزيمة : كتاب الصفات ص ٤٩ ، وورد فى الصحيحين بالناظ مختلفة .

(ه) أحاديث تثبت اليد لله تعالى :

لقد اشارت أحاديث كثيرة الى أن لله تعالى يد . وقد أورد ابن خزيمة كثيرا من هذه الأحاديث للاستدلال بها ، ويمكن ان نذكر منها ما رواه عبد الله بن عمر عن أبيه عن الرسول ﷺ قال : « التقى آدم وموسى ، فقال موسى : أنت الذى خلقك بيده ، وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه ، وأمرك بأمر فعصيته فأخرجتنا من الجنة فقال آدم : قد آتاك الله التوراه ، فهل وجدت فيها كتب على الذنوب قبل أن أعمله ؟ قال : نعم ، قال (اى الرسول ﷺ) : فصح آدم موسى عليهما السلام (٨٣) .

كما أورد ابن خزيمة عن أبي هريرة ان الرسول ﷺ قال : « نسا خلق الله الخلق » كتب بيده على نفسه : « ان رحمتى تغلب غضبى » (٨٤) وقوله ﷺ : « ان الله يفتح أبواب السماء فى ثلث الليل الباقي فيبسط بيديه فيقول : ألا عبد يسألنى فأعطيه » (٨٥) وروى عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ « قال : ان احدكم ليتصدق بالثمرة من لبيب ولا يقبل الله الا طيبا ، فيجعلها الله فى يده اليمنى ، ثم يرببها كما يربى احدكم فلوة (بفتح أوله وضم ثانيه وتشديد الواو ، وهو المهر الصغير) (وقيل هو العظيم من أولاد ذوات الحوافر ، وفصيلة ما فصل عن اللبن ، وأكثر ما يطلق فى الابل ، وقد يقال فى البقر) حتى

(٨٣) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ٤٣ — ص ٥٤ وقد أورد ابن خزيمة روايات أخرى عن أبي هريرة فيها اختلاف فى اللفظ انظر ص ٥٤ — ص ٥٦ .

(٨٤) وقد أورد روايات كثيرة لهذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ مختلف المصدر السابق ص ٥٨ .

(٨٥) نفس المصدر : ص ٥٨ .

تصبر مثل أحد (اى جبل أحد) (٨٦) كما روى مسلم فى صحيحه « أن الرسول ﷺ قال : ان الله عز وجل يبسط يده — يعنى بالنهار — ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » كما روى عن البخارى فى صحيحه أن حبرا جاء الى الرسول ﷺ فقال : يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول بيده ، أنسا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ وقال « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » (٨٧) .

كما أورد بن خزيمة ما يفيد نسبة الاصابع الى الله تعالى فيروى باسناد قول الرسول ﷺ « ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى ان شاء أقامه وان شاء أزاعه » وكان الرسول ﷺ يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع » (٨٨)

(و) أحاديث نسبت الرجل والقدم لله تعالى :

وردت أحاديث كثيرة ذكرها ابن خزيمة للاستدلال على نسبة الصفات اليه تعالى نذكر منها ما روى عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار أو ثرت بالمستكبرين والمتجبرين ، فقالت الجنة فماني لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، قال الله للجنة : انما أنت رحمة أرحم بك من أشاء من

(٨٦) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ج ١ ، ص ٤٠٥ ، ج ٢ ، ص ٢٢١ مع اختلاف يسير فى اللفظ كما ورد هذا الحديث عن أبى هريرة بالفاظ مختلفة فى بعض المواضع انظر ابن خزيمة كتاب الصفات ص ٥٩-٦٣

(٨٧) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ص ٧٩ .

(٨٨) نفس المصدر ص ٨٠ قد ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة وباختلاف يسير فى اللفظ انظر ص ٨٠ — ص ٨٢ .

عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادى
ولكل واحدة منكما ملؤها ، وأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله رجله
فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوى بعضها على بعض ولا يظلم الله
(تعالى) من خلقه احدا ، واما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها
« خلقا » (٨٩) •

كما رويت أحاديث تنسب الى الله الجهة وأنه فى السماء (٩٠) ،
وانه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وتذكر حديث النزول المشهور المروى
عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال : ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة
الى سماء الدنيا ، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول « من يدعونى
فاستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفر فأغفر له ؟ » (٩١) •

وهكذا وردت أحاديث كثيرة فى مسألة الصفات ، هذه الأحاديث
كان لابد من تدبرها فكان تدبرها واحد من العوامل التى أدت الى
ظهور هذه المسألة كمسألة هامة فى المباحث الكلامية •

كما أشارت المسئلة الى مسألة الرؤية ، وهى كانت من أهم ما
شغل به المتكلمون فقد وردت أحاديث كثيرة فيها كانت موضع تدبير
واستدلال بين مثبت للرؤية آخذا بهذه الأحاديث على ظاهرها وبين ناف
لها مؤول للحديث الوارد فيها •

(٨٩) نفس المصدر : ص ٩٤ وقد ورد الحديث فى صحيح البخارى
مع اختلاف يسير فى اللفظ ، كما أورد ابن خزيمة روايات وأسانيد للحديث ،
فيها اختلاف فى الاسناد واختلاف فى اللفظ يسير انظر ص ٩٢ — ص ٩٦

(٩٠) نفس المصدر : ص ١١٠ — ص ١٢٥

(٩١) نفس المصدر ص ١٢٧ — ص ١٢٨ وقد ورد الحديث بروايات
مختلفة واختلاف فى اللفظ •

وفى الحقيقة لقد ورت أحاديث كثيرة فى مسألة الرؤية (٩٢) اكتفى بذكر الحديث المشهور منها وهو ما رواه البخارى عن جرير بن عبد الله قال : « كنا جلوسا عند النبي ﷺ اذ نظر الى القمر ليلة البدر، فقال : انكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) . وتستطيع ان نجد للكلام فى القدر أصلا فى السنة الصحيحة فنقد روى عن الرسول ﷺ قوله (ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا : يارسول الله ، أفلا تتكل على كتابنا ونقعد عن العمل ، قال : لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

ولقد أورد مسلم فى صحيحه (٩٣) كثيرا من الأحاديث التى تتناول هذه المسألة التى تعد من أهم مسائل علم الكلام فهى تمس مشكلة الجبر والاختيار والهداية والاضلال والعمل الانسانى وصلته بالارادة الالهية وكمسألة العدالة الالهية ، والتكاليف ، والثواب والعقاب . وهذه المسائل هى أهم المباحث الكلامية .

وهكذا يمكن أن تنتهى الى النتيجة التالية : أن المتكلمين الأوائل قد وجدوا فى السنة كما وجدوا فى القرآن الكريم — مادة خصبة لعلم الكلام اسهمت فى نشأته بتأثير تلك الأحاديث الصحيحة التى مست مسائل كلامية متعددة وهكذا كانت السنة كما كان القرآن الكريم عاملا من العوامل الهامة فى نشأة علم الكلام ، وذلك لأنها أمدته بمادة غزيرة فما من مسألة من المسائل الكلامية الا ونجد لها أصلا فى السنة .

(٩٢) نفس المصدر : ص ١٦٨ ، وقد روى البخارى هذا الحديث وان كانت اسانيده مختلفة .
(٩٣) انظر كتاب القدر الجزء الثانى من صحيح مسلم .

كما وجدنا لها أصلاً في القرآن الكريم هذا فضلاً عن أن السنة قد زكت

دعوة القرآن الكريم في أعمال العقل •

غير أنه يمكن القول بأنه بجانب القرآن الكريم والسنة ، قد طرأ على المجتمع الإسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ الكثير من المشكلات التي تستدعي النظر والتفكير ، فكان على المسلمين بحثها وحلها حلاً دينياً أى البحث عن شواهد من الكتاب والسنة لحلها ، كمسألة الامامة والموقف من حرب الجهم لومرتكب الكبيرة ، ونحو ذلك في المشكلات التي طرأت على المجتمع الإسلامي في صدر الاسلام ، فكان ضرورياً البحث في هذه المشكلات ووضع حلول لها وانتج البحث فيها نظراً في العتائد فكانت مادة خصبة لعلم الكلام •

ثالثاً - مشكلات صدر الاسلام وأثرها في نشأة علم الكلام :

ارتبط علم الكلام في نشأته الأولى بمشكلات الصدر الأول من الاسلام^(٩٤) حيث برزت في هذا الوقت مشكلات سياسية كالامامة وما ارتبط بها من صراعات سياسية بدأت منذ أواخر عهد الخليفة الثالث وانتهت بمقتله بدون حكم شرعي ووصلت ذروتها في عهد الامام على بن أبي طالب فوقعت حرب الجمل وحروبه مع معاوية وانتهت بمقتله أيضاً ، وانتهى الأمر الى معاوية •

كان من أثر ذلك - كله - أن تساءل جمهور المسلمين : من المخطيء ومن المصيب ؟ هل أخطأ قتلة عثمان أم اصابوا ؟ هل لعلى يد

(٩٤) انظر لكاتب هذا البحث : عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ، دار نهضة الشرق بالتهامة ، ١٩٨٥ ، ص ٦٨ وما بعدها ، وانظر أيضاً لويس جارديه الاب قنواتي فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ترجمه الى العربية الشيخ صبحي الصالح والاب الدكتور فريد جبر ، دار العلم للبلادين ، بيروت الطبعة الاولى ، الجزء الاولى ، الجزء الاول ١٩٦٧ م ، ص ٥٢ وما بعدها .

فى دم عثمان ؟ هل لطلحة والزبير وعائشة حق فى قتال على ؟ هل أصاب على فى قبوله التحكيم ؟ هل يصح الخروج على الحاكم الظالم ؟ كل هذه أسئلة ، كانت تثار بكثرة فى دروس المساجد •

وإذا امعنا النظر فى هذه الأحداث السياسية وجدنا انه من حادثة التحكيم انبثقت دولة بنى أمية ، ومن هذه الأحداث نتجرت فلسفة للسياسة ، بدت بوادرها الأولى عند الخوارج ومن عارضهم ، دارت حول الاجابة عن سؤال رئيسى تفرغت عليه فى الفكر الاسلامى مشكلات كثيرة وهو تدور حول الحاكم ، وشروط اختياره ، ومدى وجوبه ، وتعد هذه المشكلات من أهم مباحث الفلسفة السياسية فى الاسلام •

كما فرضت الأحداث أيضا مشكلة أخرى دارت أول ما دارت حول طرفى القتال فى حرب الجمل ، وهى مشكلة مرتكب الكبيرة ، حيث نشأت من التساؤل عن موقف الفريقين أيهما على الحق وأيهما على الخطأ والمخطيء يعد مرتكب كبيرة ، لأن خطأه تسبب عنه سفك دماء عدد من المسلمين بدون وجه حق ، وهذا الحكم له حساسيته لأنه يتعلق بقطبين (وهما طرفا القتال) لهما مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين •

فارتبطت مشكلة مرتكب الكبيرة — وهى مشكلة فقهية — بالسياسة وأحداثها والحكم على الحكام ومن فى مستواهم •

وقد ولد البحث فى مرتكب الكبيرة آنذاك مشكلة هامة أخرى شغلت المسلمين زمنا وما زالت تشغلهم وهى مدى مسئولية الانسان عن الكبيرة التى يقتربها ، هل له فيها اختيار ام هو مجبر عليها ، فهل ما يفعله بحرية واختيار ام يفعله بقضاء ، وقدر من الله تعالى •

وهكذا ظهرت فى الصدر الأول للاسلام مشكلات متعددة احتجأت الى أساس فكرى لحلها ، وهذا الأساس لابد وان يكون مرتكرا على

فهم القرآن والسنة ومن هنا يمكن القول بأن ظهور هذه المشكلات كان من أهم العوامل التي عجلت بظهور الفرق الكلامية •

وعلى هذا يمكن القول بأن علم الكلام نشأ نشأة إسلامية بفضل عوامل إسلامية ، وتلبية لحاجات المجتمع الإسلامي آنذاك •

غير أن هناك مؤثرات أجنبية اعانت على تطور علم الكلام بتدعيم مناهجه وتعميق مباحثه فاضيفت اليه موضوعات جديدة نتيجة احتكاكه بهذه المؤثرات الأجنبية •

وتتمثل هذه المؤثرات الأجنبية في الأديان السماوية والملل والاهواء والنحل ، المخالفة للإسلام ، التي احتك بها الإسلام ، في البلاد التي فتحتها ، كما تتمثل أيضا في وفود الفلاسفة اليونانية الى العالم الإسلامي واثرها على التفكير العقلي في الإسلام بوجه عام •

الفصل الثالث

المصادر الأجنبية وأثرها فى تطور علم الكلام

تمهيد :

أولا : أثر الديانات السماوية فى تطور علم الكلام

- (١) أثر اليهودية
- (٢) أثر المسيحية

ثانيا : أثر الديانات والملل والأهواء والنحل فى تطور علم الكلام

- (أ) أثر الديانات الفارسية
- (ب) أثر الصائبة
- (ج) أثر الديانات الهندية

ثالثا : أثر الفلسفة اليونانية فى تطور علم الكلام

Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or title.

Second block of faint, illegible text.

Third block of faint, illegible text.

Fourth block of faint, illegible text.

Fifth block of faint, illegible text.

Sixth block of faint, illegible text at the bottom of the page.

تمهيد

يمكن القول بأن علم الكلام نشأ نشأة اسلامية ، بفضل عوامل اسلامية - كما قدمنا - وتلبية لحاجات المجتمع الاسلامى آنذاك .

غير أنه يمكن القول بأن هناك مؤثرات أجنبية أعلنت على تطور علم الكلام ، بتوسيع مباحثه وتعميقها ، فأضيف اليه موضوعات جديدة نتيجة احتكاكه بهذه المؤثرات الأجنبية وصقلت مناهجه وتدعمت .

وتتمثل هذه المؤثرات الأجنبية فى الأديان السماوية والملل والأهواء والنحل ، المخالفة للإسلام ، كما تتمثل أيضا فى وفود الفلاسفة اليونانية الى العالم الاسلامى ، وأثرها على التفكير العقلى بوجه عام .

ولما كان علم الكلام هو العلم الذى يبحث فى الأصول أو الاحكام الاعتقادية ، مقررا اياها بالحجج والبراهين ، لتوكيدها بالعقل بعد الايمان بها بالقلب والوجدان ، ومدافعا عنها ضد شبهات الخصوم الأمر الذى حدا بالمتكلمين الى دراسة هذه الشبهات والاعتراضات ، وذلك حتى يتييسر الرد عليها ودفعها .

ولعل هذا هو الذى ادى بالمتكلمين الى دراسة عقائد الاديان السماوية الأخرى ، وكذا أصحاب الملل والأهواء والنحل المختلفة وما أثاروه من شبهات واعتراضات ضد الاسلام ، وذلك حتى يتييسر عليهم رد اعتراضاتهم وشبهاتهم .

ولقد انتج لنا المتكلمون - كما سوف ننتبين - دراسات فى مقارنة الأديان تشهد بسعة اطلاعهم ودقته ، كما تشهد أيضا بمنهجهم العلمى فى الدفاع عن الاسلام ضد المخالفين .

من هنا اختلط بعلم الكلام مباحث أخرى تتعلق بهذه المصادر الخارجية ، فضلا عن عناصر فلسفية ، استعانوا بها في عملية الرد على شبهات الخصوم ، والدفاع عن الاسلام .

وقد بينا أن ذلك الخوض كان امرا ضروريا ، ذلك لأن افضل وسيلة لدفع الخصوم ، هو ان يكون هذا الدفع بوسائل الخصوم التي اعتادوها ، والا بعدت الشقة بينهم وبين الخصوم ، فلا ضير في استخدام وسائل الخصوم ، طالما كانت وسيلة لا غاية ، فهي أمر مشروع . فيصرح أحد أئمة الأصول في المغرب الاسلامي وهو الامام يوسف ابن محمد المكلاتي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه « لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول » (١) ، بأنه ليس أقوى من سلاح الخصم ، للقضاء على أسلوب الخصم ، طالما كان السلاح مشروعا (٢) .

وعلى هذا لا يقدر في اصالة علم الكلام الاسلامية احتواؤه على بعض أساليب الخصوم ، أو اشتماله على بعض مباحث الفلاسفة وطرائقها ، ذلك لأن هذا كله كان لغاية دينية وهي الدفاع عن الدين وتوكيد اصوله ، كما لا يقدر ايضا في كونه علما دينيا ، من جملة العلوم الشرعية الدينية .

(١) الدكتوراة فوفية حسين محمود : مدخل الى الفكر الاسلامي ص ٦٠

(٢) المكلاتي : لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول ، تحقيق الدكتوراة فوفية حسين محمود ، دار الانتصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ م نقلًا عن مدخل الى الفكر الاسلامي للمحققة ص ٦٠ .

أولا - أثر الديانات السماوية فى تطور علم الكلام :

(١) أثر اليهودية فى تطور علم الكلام :

قابل الاسلام اليهودية ، فى الحجاز ، وأستأصل شأفة اليهود منها ، فانتقلوا شمالا الى الشام ، كما رحل بعضهم الى الكوفة واستقر عدد منهم فى اليمن ، وبعد أن هدأ الفتح واستقرت النفوس أخذ اليهود يفتدون الى الحجاز ، بعد أن أعلن بعضهم الاسلام أما عن اعتقاد ويقين وأما طلبا لدنيا وتعايشا مع المسلمين ، كما ظل بعضهم على يهوديته *

التقى الاسلام باليهود وأخبارهم ، واختلف معهم ، منذ البداية فى نقاط كثيرة ، كانت موضع نقاش وجدال بين الفريقين ، وصارت من أهم موضوعات علم الكلام فيما بعد ، ويمكن أن نشير الى هذه النقاط فيما يلى :

(٢) انكار اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، ونسوة عيسى عليه السلام ، فقد ذهبوا الى أن الدين لبنى اسرائيل فقط وليس شمة أنبياء ، وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدال بين المسلمين واليهود *

(ب) انكار اليهود للنسخ : فقد أنكر اليهود النسخ فقالوا : ان الشريعة لا تكون الا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى عليه السلام ، وتمت به ، فلم يكن قبله شريعة ، الا حدود عقلية ، وأحكام مصلحة ولم يجيزوا النسخ أصلا ، فقالوا : فلا تكون بعده شريعة أخرى ، لأن النسخ فى الأوامر بداء ، ولا يجوز البداء على الله (٣) *

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ج ٢ ، ص ٥٠ .

(ج) التشبيه والتجسيم : نزع اليهود الى التشبيه والتجسيم وذلك لأنهم وجدوا التوراة مليئة بالمتشابهات من : الصورة والشفاهة ، والتكلم جهرا ، والنزول عند طور سيناء انتقالا ، والاستواء على العرش استقرارا ، وجواز الرؤية فوفا ، وغير ذلك (٤) .

(د) القول بجواز الرجعة : قالوا بجواز الرجعة ، ويذهب الشهرستاني الى أن الذي دفعهم الى هذا القول أمران : حديث عزيز اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثانى : حديث هارون عليه السلام ، اذ مات فى التيه ، وقد نسبوا الى موسى قتله ، لأن اليهود كانت اليه أميل ، واختلفوا فى حال موته ، فمنهم من قال مات وسيرجع ، ومنهم من قال غاب وسيرجع .

وهكذا اختلفت الديانتان ، وبدأ الصراع والجسدال الفكرى بين أحبار اليهود وعلماء المسلمين ، فحاول الأولون بما وسعتهم الحيلة الدفاع عن عقائدهم ، والظعن فى الاسلام ، وتقويض عقائده كما حاول الآخرون بيان تهافت دعواهم ، وتناقض أقوالهم مدافعين عن الاسلام ، وتلك كانت الغاية الرئيسية لقيام علم الكلام .

ولا شك أن هذا الصراع بين الاسلام واليهودية ، أضاف الى علم الكلام الاسلامى موضوعات جديدة ، لم تكن له من قبل ، فمما لبثت نقاط الجدال والخلاف تمثل جزءا من الموضوعات الرئيسية فى هذا العلم ، فضلا عن تطور فى تعميق طريقة ومناهجه ، أو اجهة هذا الخلاف ، فأحدث ذلك كله تطور فى علم الكلام ، من ناحية الموضوع والمنهج ، ولكى نتبين هذا علينا أن نستعرض جهود اليهود وكيف واجهها علماء المسلمين .

لقد اتخذت مجادلات اليهود وهجومهم للمسلمين طرقا متعددة ، منها : الطرق السرية ، تلك الطرق التى تتوافق مع طبيعة اليهود المغلقة ،

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٥١ .

والتي تلجأ دوما إلى التخفي والتستر حين تغلب على أمرها ، واستطاعوا من خلال هذه الطرق أن يلقوا بكثير من أفكارهم وآرائهم الغربية ، لاثارة البلبلة والقلق داخل العقيدة والفكر الاسلامي ، مما أدى إلى تنازع المساميين وتضاربهم حول هذه الأفكار والآراء .

ومن شأن هذه الطرق السرية أن تنتهز فترات القلق والاضطراب فتلقى بنفسها ليزداد الأمر اضطرابا وقلقا ، فهي لاتنمو الا في الجو المضطرب فانتهزوا فترة الاضطراب التي كانت في صدر الاسلام — والتي بدأت منذ السنوات الست الأخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه وانتهت بقتله ووصلت ذروتها في خلافة علي رضى الله عنه وانتهت بقتله أيضا — وراحوا يلقون بأفكار غريبة عن الاسلام يزكون بها التيار المؤيد لعلي رضى الله عنه كفكرة ((الامام المعصوم) ، و ((خانم الأوصياء) ونسبوها إلى علي رضى الله عنه وتجمع كتب مؤرخي العقائد على أن عبد الله بن سبأ — وكان يهوديا قبل اسلامه — أول من ألقى بهذه الأفكار الغربية ، والتي دارت حول تأليه علي ، والقول بقداسته ، وبالعلم السرى ، والرجعة ، والبداء . . مما يشهد بأن معظم أفكار الشيعة الغالية ، كانت يهودية المصدر (٥) .

كما كان هناك أيضا شخصية يهودية زكت الطرف المعادى للتيار الشيعي ، فزكت عثمان وشيعته أولا ، ثم الأمويين وشيعتهم ثانيا ، ولعبت دورا خطيرا في فتنة عثمان ، واثارة الأمويين وهي شخصية كعب الأجباز (٦) .

(٥) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٨ — ص ٧٠ .

(٦) نفس المصدر : ص ٦٨ .

وهكذا نصب اليهود حائلهم على الفريقين تركية للفتنة وعملا على اتساع الشقة بين الفريقين ، منتهزين الفرصة لالقاء أفكارهم الغليظة داخل العقيدة الاسلامية ، تمهيدا لتقويضها والقضاء عليها .

كما انتهزوا الفرصة ، للتسلل الى نطاق اسلامى خطير وهو مجال التفسير ، فلتقد استند بعض المفسرين الى أقوال بعض اليهود الذين أسلموا ، مثل كعب الأبحار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، فانشرت الاسرائيليات فى مجال التفسير ، وكانت قصص الأنبياء مجالا خصبا لها ، ذلك لأن هذه القصص قد وردت فى التوراة وفيها كثير من التفاصيل والزيادات — ان حقا وان باطلا — وهى وان كانت قد وردت فى القرآن الكريم ، فهو لم يقصد من سردها مجرد السرد القصصى ، وانما العظة والاعتبار فأراد القصاص أن يشبعوا فضول العامة من ميل الى الأفاصيص فحشوها بكثير من معتقداتهم (٧) .

كما أنتشرت الاسرائيليات أيضا فى مجال الحديث النبوى ، وألقت بأفكار : الوصاية ، والتشبيه والتجسيم ، وأحاديث عن الميعاد ، وأثر الساعه ، والمهدى المنتظر ، والمسيح الدجال وقد لعبت هذه الأحاديث والأفكار دورا خطيرا فى ظهور الحشوية فى الاسلام ، وأعقبها نشأة المشبهه ثم المجسمة ، حقا كان للتشبيه والتجسيم مصادر أخرى ، لكن الأثر اليهودى كان أهم هذه الآثار (٨) .

أدى هذا كله الى قيام علم الكلام الاسلامى ، لينقض علماء المسلمين عن طريقه ما أدخله اليهود من عقائد مختلفة فى صور أحاديث

(٧) الدكتور أحمد صبحى : علم الكلام ، المعتزلة ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية فى أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ، ٨٢ ، ج ١ .

(٨) نفس المصدر : ص ٣٣ .

موضوعه ، كما أدى الى انشاء علم اسلامى هو علم مصطلح الحديث
ليبحث فى الحديث بحثا منهجيا رواية ودراية كما تتبته علماء التفسير
الى ما دخل من خرافات اسرائيلية فى مجال التفسير ، فقاوموا ذلك مقاومة
لا هوادة فيها (٩) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى الجدل العلنى حيث
اندفع علماء المسلمين فى مجادلة أبحار اليهود ، زودا عم الاسلام ،
فصارت موضوعات الجدل من أهم مباحث علم الكلام .

لد اندفع المفسرون من المسلمين واليهود فى البحث فى نص
التوراة ، أما المسلمون فكانت غايتهم استخراج الدلالات أو الآيات
التي تدل على كون شريعة المصطفى عليه السلام حقا ، وكون صاحب
الشريعة صادقا ، وبيان ما حرفه اليهود وغيره وبدلوه فى نصها ، أما
تحريفا من ناحية الكتابة أو الصورة ، وأما تحريفا من حيث التأويل
والتفسير (١٠) . فكانت أول مشكلة نشب حولها الخلاف هى مشكلة
اثبات نبوة محمد ﷺ .

كما راح علماء المسلمين يحتجون على جواز النسخ بحجج عقلية
ونقلية ، موضحين أن النسخ ليس ابطالا ، بل تكميلا واتسع نطاق البحث
ليشمل المناحية الأصولية الكلامية ، والمناحية الأصولية الفقهية ، وقد انتج
المسلمون فى هذا الجانب انتاجا خصبا مبتكرا ، فاندفع الأصوليون -
سواء فى علم الكلام أو الفقه الى بيان أن النسخ ضرورة انسانية لابد
منها لكى يتوافق الدين مع تطور الحياة الانسانية .

وأدت هذه المجادلات الى تسرب التشبيه والتجسيم ، والقول

(٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ،

ج ١ ، ص ٧٠ .

(١٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥١ .

بجواز الرجعة ، الى معتقد الفرق الغالية ، وقد قاوم ذلك كله علماء الكلام من معتزلة وأشعرية *

وقد أنتج المتكلمون نتاجا خصبا في هذا المجال ، وتركوا لنا مصنفات عديدة قاموا بالرد فيها على اليهودية وسائر الديانات المخالفة ، أدت الى انشاء علم مقارنة الأديان في وقت مبكر (١١) .

ومما يدل على انتاج المتكلمين في هذا المجال ، تلك الردود التي أودعها الشهرستاني (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (الملل والنحل) (١٢) ، وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (١٣) وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) (١٤) ، وغيرهم *

(٢) أثر المسيحية في تطور علم الكلام :

قابل الاسلام المسيحية ، وكان أول ما قابل نصارى نجران في شبه الجزيرة العربية ، وكانت مسيحيتم مسيحية تدركها العقول بفطرتها ، دون تعقيد أو التواء ، وكانوا نصيين لا يجتهدون في الأناجيل ، وقد أورد القرآن الكريم مقابلة الاسلام لهذه المسيحية في قصة المباهلة (١٥) .

(١١) الدكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ، النهضة المصرية القاهرة ،

الجزء الأول اليهودية الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ ص ٢٨ - ٤٩ .

(١٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٠ - ٥٩ .

(١٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وعلى هامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، ج ١ ، ص ١٥٨ - ص ٢٢٤ .

(١٤) ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، المكتبة

القيمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

(١٥) في قوله تعالى : (فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا

ونسائكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين)

(سورة آل عمران آية ٦١) .

غير أن الاسلام بعد أن فتح بلاد ما بين النهرين والشام ومصر ،
قابل مسيحية أخرى تختلف عن هذه المسيحية الأولى مسيحية عقلية ،
متسلحة بالمنطق الصورى حتى آخر الأشكال الوجودية ومتصلة بالفلسفة
الهندية والايرائية ، فيقول أوليرى : « فى نهاية القرن الثانى لم تكن
المسيحية قوية بعدد اتباعها ، بل كانت محصنة بنتائجها العقلية
واستخدامها للفلسفة » (١٦) .

وكانت هذه المسيحية منقسمة على نفسها ، فانقسمت الكنيسة الى
ثلاث فرق كبرى هى : الملكانية ، واليعاقبة ، والنساطرة وكانت الاختلافات
بينهم دقيقة وشديدة التعقيد .

وكان على علماء الاسلام أن يواجهوا هذه الفرق مجتمعة ومنفردة ،
فكيف كان ذلك ؟ وكيف أعان ذلك على صياغة مينا فيزيقا اسلامية
استندت على القرآن الكريم ؟ ، وكيف أعان ذلك على تطور علم الكلام ؟ .

ولكى نقف على اجابة لهذه التساؤلات علينا أن نقف أولا : على
مذهب كل فرقة من هذه الفرق المسيحية والتي قابلها الاسلام منفردة
ومجتمعة ، ويمكن القول - بادىء ذى بدء - بأن مؤرخى علم الكلام
كالشهرستاني صوروا النزاع بين هذه الفرق المسيحية على أنه يعود الى
أمرين : أحدهما : كيفية نزوله (أى نزول المسيح) واتصاله بأمه ،
وتجسد الكلمة ، والثانى : كيفية صعوده واتصاله بالملائكة ، وتوحد
الكلمة (١٧) . فنتقول الملكانية (١٨) : ان الله ثالث ثلاثة ، فالقديم جوهر

(١٦) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة
الدكتور وهيب كامل . ومراجعة زكى على ، النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٦٤ .

(١٧) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦١ .

(١٨) الملكانية : وهى من أقدم المذاهب المسيحية ، وهى العقيدة
الرسمية للدولة الرومانية ، ويطلق أيضا على المذهب الكاثوليكي ، وهو

واحد ، فى ثلاثة أقنانيم ، أى أن ، الصورة الالهية هى : أب ، وابن ،
وروح قدس ، وكلها لم تنزل فهى قديمة •

وتذهب الى أن الجوهر غير الأقانيم ، أى أنها فصلت بين الله
وصفاته فيقول القاضى عبد الجبار : ان الأقانيم هى الجوهر والجوهر
غير الأقانيم (١٩) وأن الأقانيم (الصفات) جوهر بسيط غير مركب ،
ثم حدث الامتزاج بين الأصول الثلاثة ، أى بين الله (الجوهر)
والناسوت الكلى (جسد المسيح) وهو قديم أزلى ، فهو من قديم أزلى
من الله ، والكلمة وهى الأصل الثالث فى الامتزاج فمريم اذن وندت لها
أزليا (٢٠) وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح
حينما وجدوا فى الأنجيل : انك أنت الابن الوحيد ، وحين قال شمعون
الصفا : انك ابن الله حقا ، ولعل ذلك من مجاز اللغة (٢١) •

وقد أعلنت المكانية عقيدتها الرسمية ، فى مقابل آريوس (٢٢)
الذى أعلن رفضه لمساواة أقتنوم الابن وأقتنوم الآب فى الأزلية .
فأعلنوا عقيدتهم الرسمية والتي أوردها الشهرستانى على النحو التالى :
« نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شىء وصانع ما يرى وما لا يرى ،

مشتق من كلمة يونانية معناها العام أو العالمى ، أى الديانة العالمية أو
العامية ، وهو مذهب جميع ملوك النصارى ما عدا الحبشة والنوبة فيما
يقول ابن حزم (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) ، ج ١ ص ٢٤٨ وكان
منتشرا فى البلاد التى فتحها المسلمون .

(١٩) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعسدر
ج ٥ ، ص ٨٤ .

(٢٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢١) نفس المصدر : ص ٦٣ .

(٢٢) آريوس : هو تلميذ ماريطرس ، الدكتور النشار : نشأة
التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٩٥ .

والابن الواحد يسوع المسيح ابن الله ، الواحد بكر الخلائق كلها ،
وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت
العوالم ، وكما شئ ، الذى من أجلنا ومن أجل خلاصنا ، نزل من
السماء ، وتجسد من روح القدس ، وولد من مريم البتول ، وصلب
أيام فلاطوس ، ودفن ثم قام فى اليوم الثالث وصعد الى السماء ،
وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين
الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق ، الذى
يخرج عن أبيه ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة
قدسية مسيحية جاثليقية ، وبقيام ابداننا والحياة الدائمة ابد
الآبدين » (٢٣) *

أما النساطرة (٢٤) فتقول فى طبيعة المسيح قولاً أثار ثورة تبرى
فى العالم المسيحي فهم يذهبون فى بيان طبيعة المسيح الى القول ،
بأنه انسان وليس اله أو ابن لأنه ، وولد انسانا ، وأن مريم انسان جزئى ،
ولا يلد الانسان الجزئى الا انسانا جزئيا ، ثم حدثت النعمة الالهية ،
التي نزلت على الرسل من قبل ، فاتصل اللاهوت بهذا الانسان الجزئى ،
كما اتصل بسائر الأنبياء ، ولكن صلته بالمسيح كانت صلة أكثر دواما
واستقرارا فيه ، ولذا سمي بالابن الوحيد *

وقالوا فى الاتحاد : انه اتحاد ، كاشراق الشمس فى كوة او على
بلور ، فهو اتصال معنوى فحسب ، فليس ثمة اتحاد فى الهوية أو

(٢٣) نفس المصدر : ص ٦٢ .

(٢٤) وهم أصحاب نسطور ، بطريرك الكنيسة الشرقية ، كان بطريرك
القسطنطينية سنة ٤٨٢ م ، ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين ،
فهو لم يظهر أيام المأمون كما ذكر الشهرستانى (الملل والنحل ، ج٢ ص ٦٤)
وانما كان قبل الاسلام انظر (الدكتور على عبد الواحد وافى : الاسفار
المقدسة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١١٤) والشيخ أبو زهرة :
محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ١٦٢ ، ص ١٨٨
وأيضا الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج١ ص ١٩٦ .

الطبيعية ، وانما ثمة وحدة فى المشيئة ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم
ولا حدوث المحدث ولكنهما صارا مسيحا واحدا ، ومشيئة واحدة (٢٥) .

ويرى نسطور — صاحب هذا المذهب — أن القتل — فى واقعة
الصلب — وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ،
لأن الاله لا تحله الآلام (٢٦) .

• أما اليعاقبة (٢٧) .

فقالوا بالأقنمين الثلاثة — كما قالت الفرق الأخرى — الا أنهم
قالوا : انقلبت الكلمة لحما ودما ، فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر
بجسده ، هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم (لقد كفر الذين تناولوا :
ان الله هو المسيح ابن مريم) (٢٨) .

فهم يقولون بأن المسيح وحدة واحدة ، أى طبيعة واحدة واذلك
عرفوا بأنهم أصحاب مذهب وحدة الطبيعة ، ويحكى القاضى عبد الجبار
مذهبهم قائلا : (وزعم أكثر اليعاقبة ، أن المسيح جوهر واحد ، الا
أنه من جوهرين ، أحدهما جوهر الاله القديم والآخر جوهر الانسان ،
اتحدا فصارا جوهرًا واحدًا ، اقنوما واحدا وربما قال بعضهم طبيعة

(٢٥) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٦٤ .

(٢٦) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ج ٥ ،
ص ٨٢ — ص ٨٣ ، والشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٦٤ — ص ٦٦ ،
والدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ،
ص ٩٦ — ص ٩٧ .

(٢٧) هم اتباع يعقوب البرذعانى فيما يقول الشهرستانى (الملل
ج ٢ ، ص ٦٦) ، ويطلق عليهم الارثوذكس ، وقد انتشر انتشارا تاما
فى البلاد الشرقية .

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٦٦ .

واحدة (٢٩) ، فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان ، تركيبا ، كما
تركبت النفس والبدن ، فصارا جوهرًا واحدًا ، أثنوماً واحدًا ، وهو
انسان كله ، والله كله ، فيقال الانسان صار لها ، ولا ينعكس ، فلا
يقال الاله صار انسانًا كالنحلة تطرح في النار ، فيقال ، صارت النحلة
نارًا ، ولا يقال صارت النار نحلة ، وهي في الحقيقة لا نار مطلقًا ،
ولا نحلة مطلقًا ، بل هي جمر (٣٠) .

وهكذا تنتهي اليعقوبية الى القول بأن المسيح اتحدت فيه
الطبيعتان اللاهوتية والناسوتية ، اتحادًا كاملًا ، في الهوية ، فهي جوهر
واحد ، فيه الانسان والاله .

وعلى هذا فقد وقع الصلب على المسيح كجوهر واحد ، أى من حيث
هو اله وانسان ، وحين مات الاله وصلب ، بقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر ،
ثم قام الاله المسيحى من جديد ليدير العالم (٣١) .

ومن الجدير بالذكر أن عقائد المسيحية على هذا النحو يمكن أن
نرى فيها أكثر من مؤثر أجنبي ، بصورة أو أخرى ، ففيها اقتباسات
من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية والرومانية فضلًا عن الفلسفة
الاغريقية .

فمن الأفكار الفلسفية فكرة الكلمة ، وهي التي ترادف الاله عند
الاغريق ومن الأفكار التي تكلمت عنها اليهودية فكرة الأبوة بين الله
والناس أى فكرة أبوة الله للخلق ، وفكرة الأخوة بين الناس ، وفكرة

(٢٩) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ، ج ٥ ،

ص ٨٣ .

(٣٠) الشهورستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦٦ — ص ٦٧ .

(٣١) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١

ص ٩٧ .

المثالية في العدالة والحب والرحمة ، برغم أن اليهود لم يتبعوا ذلك ،
ومن الحياة الشرقية اقتبست الفنون والرسوم التي ازدانت بها
الكنائس ، ومن الحياة الرومانية اقتبست النظم التي اتبعتها في توزيع
السلطان (٣٢) .

وهكذا اختلفت هذه المذاهب المسيحية فيما بينها ، كما اختلفت
بجملتها مع الاسلام ، ويمكن القول بأن نقاط الخلاف كانت تتركز في
المسائل التالية :

- ١ - التثليث .
- ٢ - الاتحاد .
- ٣ - الصلب .
- ٤ - عبادة المسيح .

ولقد وقف القرآن الكريم موقفا مضادا من هذه المسائل لذلك يهمننا
أن ننتبين موقف القرآن الكريم من هذه المذاهب المسيحية .

(ب) موقف القرآن الكريم من المذاهب المسيحية :

لقد أنكر القرآن الكريم انكارا صريحا قولهم بالتثليث في قوله
تعالى : ((لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) (٣٣) .

(٣٢) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ، الجزء الثاني ، المسيحية ،
النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ ، ص ٨١ - ٨٢ .
(٣٣) سورة المسائدة آية ٧٣ ، وأيضا آيات ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٧ ،
ويتفق انجيل مرقس مع هذا التصور القرآني انظر : ١٢ : ٢٨ - ٢٦ ،
من نفس السورة

كما عارض القرآن الكريم الاتحاد بجميع صورته ، فرد على أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة في قوله تعالى : (ولقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ، ومن في الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير) (٣٤) .

ومن هنا قرر القرآن الكريم أن المسيح انسان مخلوق خلقه الله كما خلق آدم ، خلقه من تراب ، وهو رسول لبني اسرائيل معلنا ذلك في قوله : (اذ قالت الملائكة يا مريم ، ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين يكتم الناس في المهد ، وكهلا ، ومن الصالحين ، قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ، قال كذلك يخلق الله ما يشاء ، اذا قضى أمرا ، فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بأية من ربكم ، انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه ، فيكون طيرا ، باذن الله ، وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بأية من ربكم ، فانتقوا الله وأطيعون ؛ ان الله ربه وربكم فأعبدهوا هذا صراط مستقيم) (٣٥) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم بشرية المسيح ، ويوضح حقيقة انه

• (٣٤) سورة المائدة ، آية ١٧ .

• (٣٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ - ٥١ .

رسول لبني اسرائيل (٣٦) ، انسان بشر ، تظهر عليه العوارض البشرية (٣٧) .

ويعارض القرآن مسألة الصلب ، منكرًا اياها ، ومعلنًا أنهم ما صلبوه وما قتلوه ، ولكن شبه لهم ، فما استطاع اليهود قتل المسيح ، نبيهم الأخير ، وأن يغفر الله به خطاياهم ، وبهذا حدد القرآن الكريم نهاية المسيح ، بانكاره واقعة الصلب . واذا كان القرآن الكريم ينكر واقعة الصلب ، فان هذا الانكار ليس مجرد انكار لواقعة تاريخية ، وانما لأن الصلب يتصل بأصول العقيدة المسيحية ، فضلا عن أنه نظرية فى تفسير الشر ، ذلك الشر الذى حل بالعالم بمعصية آدم عليه السلام ، ورثة بنوة ، فورثوا تلك الخطيئة الأولى ، فصارت متصلة فيهم ، لا يخلصهم فيها الا فداء عام ، ولا يفدى البشرية جمعاء انسان ، لأن الشر أصل فيهم ، وانما الذى يفديهم لابد أن يكون خالصا من الشر ، من هذا الميراث العام ، ومن ثم فالمسيح هو الفداء العام ، وهو ليس

(٣٦) وقد أيدت الأناجيل كون المسيح نبيا الى بني اسرائيل انظر : انجيل متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ ، ١٠ : ٥ - ٦ ، وانظر أعمال الرسل ١١ ، الفقرة الأولى ، ١٥ : ٣٨ وانظر أيضا آراء بعض الكتاب المسيحيين : Emcycloedia Britannica Vol. 5, p. 632.

كما يذكر : Bury ان اضطهاد الرومان لاتباع المسيح كان سببه ان الاباطرة لم يعرفوا عن دعوة عيسى الا انها امتداد لليهودية ، التى كانت شديدة التعصب ، والحقد مما أثار غضب اليونان عليهم ، برغم ما عرف عنهم من التسامح الدينى انظر :

A History of Freedom of thought.

Dean Longe : The Source of christianity , p. 15.

وانظر أيضا :

الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، ج ٢ ، المسيحية ص ٦١ . وانظر أيضا : الامام محمد عبده : الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٥٠ . (٣٧) انظر سورة آل عمران آية ٥١ ، والنساء آية ١٧٣ ، والمائدة ٧٥

بشر !! فهو اله ، أو ابن اله ، ومن ثم فان خلاص البشرية من ميراث الخطيئة لا يكون الا على يديه بصلبه ، ومن هنا كانت الخطيئة الأولى ، وألوهية المسيح ، وصلبه ، عقائد ثلاث متلازمة فى المسيحية ، وحين ينكر الاسلام صلّب المسيح ، فانه يرتب على ذلك : انكار الألوهية ، وانكاره لعقيدة الفداء العام الذى يجعل البشر مسئولين عن خطيئة أبيهم على مدى السنين والقرون (٣٨) .

ومن هنا يقرر الاسلام مبدأ المسئولية الفردية ، فليس هناك ما يسمى خلاص بالفداء العام والتضحية الكلية ، ففكرة الصلب والفداء تؤدى الى انفكك المسئولية الفردية ، وهى التى حرص عليها الاسلام كل الحرص (٣٩) .

وهكذا تناول القرآن الكريم ، الجوانب المختلفة من حياة المسيح ، ولم يترك منها جانبا الا ناقشه ، ووضع الحق فيه (٤٠) .

(ج) نقاش الاسلام مع المسيحية وتطوره :

قدم القرآن الكريم صورة متكاملة عن المسيح والمسيحية دعت الكثير من المسيحيين من أهل البلاد التى فتحها الاسلام أن يقبلوا على الاسلام ، لأن هذه الصورة القرآنية أغنتهم عن خلافات الفرق المسيحية ،

(٣٨) الدكتور أحمد صبحى : علم الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٣٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام

ج ١ ، ص ٩٠ .

(٤٠) ومن الجدير بالذكر اننا بيننا اتفاق الاناجيل فى بعض ما انتهى

اليه القرآن الكريم فى بيانه لحقيقة المسيح .

تلك الفرق التي وقعت في نزاع شديد حول طبيعة المسيح ، وحقيقته ،
وحول المسيحية الحقيقية وأصولها (٤١) .

من أجل هذا تقدم آباء الكنيسة للدفاع عن نظرياتهم برغم اختلافهم
فيما بينهم حول طبيعة المسيح ، وحقيقته ، وأصول المسيحية ، فتصدى
لهم مفكرو الاسلام .

وبدأ الجدل في رقة ولين ، ثم ما لبث أن أخذ صورا أخرى من
الشدّة والعنف ، فقد بدأ هذا الجدل منذ العهد الاسلامي الأول .
فقد عثر على نصوص سريانية من مخططات العهد الاسلامي الأول ، في
العراق ، فيها ترجمات لبعض سور القرآن الكريم التي تناولت المسيحية ،
نقلها السريان الى لغتهم ، في مطلع غزو المسلمين لبلاد ما بين النهرين ،
لكي يناقشوا مضمونها ، كما أن كثيرا من النصوص ما زالت بين أيدينا
عن مناقشات المسلمين وجدالهم مع كهان الحبشة ، ونرى من الصحابة
من وضع المناقشة في صورة جدلية عقلية (٤٢) .

وقد شجع على هذا الجدل ، أن بعض من أسلم ، أسلم ظاهريا ،
وظل متمسكا بمعتقداته القديمة ، كما أن الاسلام سمح لأهل الكتاب —
بوجه عام — أن يبقوا على اعتقاداتهم اذا ما دفعوا الجزية .

وما أن توقف الفتح ، وهدأت النفس واطمأنت في ظل الدين
الجديد ، حتى أخذ أصحابها يفكرون في تعاليم أديانهم محاولين أن
يلتئموا بينها وبين الدين الجديد .

(٤١) ان كثيرا من نقاط الخلاف بين الاسلام والمسيحية ، هي ليست
نقاط خلاف بين الاسلام والمسيحية الحقيقية ، المكتوبة في الانجيل المقدود

(٤٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام ، ج١ ، ص ٩٢

كما أن المسلمين عاشوا مع هؤلاء المخالفين ، واحتكوا بهم داخل الحياة العامة ، فحدث تأثير متبادل بين أصحاب الدين الفاتح والبيئة المفتوحة ، نشأ عنه اتساع نطاق علم الكلام ، ويشمل المشكلات التي أثارها المسيحية وكان عليه التصدي لها لمناقشتها كما أدى الى استخدام المتكلمين في جدلهم أسلحة الطرف الآخر فأدى ذلك الى تدعيم مناهج علم الكلام في مقابلة الخصوم ، وحتى يتسنى لنا بيان هذا التطور في علم الكلام من ناحية الموضوع والمنهج علينا أن نتبع هذه المناقشات الأولى وكيف تطورت وما هي المشكلات التي أثارها تلك المناقشات والتي أصبحت من مشكلات علم الكلام الجوهرية ، كذلك أيضا علينا أن نقف على طريقة معالجة المسيحيين لها ، وكيف استفاد منها متكلمو الاسلام .

لقد كان لانتقال الخلافة الى دمشق — منذ عهد بني أمية — أثره في ظهور علم الكلام في مقابل الأفكار المسيحية ، ذلك لأن المسيحية التي قابلها الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، كانت مسيحية بسيطة ، أما في دمشق فقد كان هناك تيار مسيحي قوى ذلك لأن المسلمين عندما فتحوا دمشق تمهدوا لمواطنيها النصارى بابقاء خمس عشرة كنيسة ، مع الحرية التامة في ممارسة العبادة ، وكانت إحدى هذه الكنائس ، وهي كنيسة اليعاقبة مجاورة لقصر الخليفة حتى خلافة هشام ابن عبد الملك (٤٣) .

وساعد تسامح الخلفاء مع أهل الكتاب — وبالأذات المسيحيين (٤٢)

(٤٣) لويس جارديه ، الأب فنواي : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، الترجمة العربية ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤٤) كان الخليفة معاوية — مثلا — يستعين بسرجيوس بن منصور الرومي المسيحي ، فكان كاتبه وصاحب أمره (انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ج ٦ ، ص ١٨٣ ، وابن الاثير : الكامل في التاريخ ، لندن ، ١٢٨٣ هـ — ١٨٨٦ — ١٨٧٦ م . ج ٤ ، ص ١٧) وبعد وفاة معاوية بقيت لسرجيوس مكانته فكان يزيد

على أن ينمو التيار المسيحي ويصلح نفسه بكافة الأدلة الجدلية وقد كانت هناك شخصيات مسيحية لها قدرها في الدفاع عن المسيحية ، وعرضها في مقابل العقيدة الاسلامية ، كشخصية يوحنا الدمشقي الذي يعد من أكبر علماء اللاهوت في الكنيسة الشرقية وأعظم علماء الكلام المسيحي (٤٥) .

فيقول عنه آير : انه آخر أبناء الكنيسة الشرقية ، وممثل اللاهوت المسيحي فيها ، وان كتاباته هي زبدة تعاليم الكنيسة الشرقية (٤٦) . كما يقول عنه مكيفرت : ان اللاهوت المسيحي وصل ذروته في زمن يحيى الدمشقي ، الذي وضع في كتبه خلاصة ما بلغه الفكر المسيحي في الشرق (٤٧) .

وقد ألف يوحنا الدمشقي عدة كتب في اللاهوت والفلسفة منها : « ينبوع الحكمة » ، و « المقدمة في العقائد » ، و « الايمان الحق » ، و « الثالثوث الأقدس » ، و « ايضاح الايمان » (٤٨) .

= يستشير في الملهمات ويسأله الرأي (انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك) ، ج ٦ ، ص ١٩٤ ، وابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٧) ثم ورث تلك المكانة يوحنا الدمشقي (أو يحيى الدمشقي) كما انه من المعروف أن الاخطل الشاعر المسيحي ، كان من المقربين من بنى

أمية ، وكان لسان حالهم ووسيلتهم في الرد والدفاع . (انظر : أبو الفرج الاصفهاني : الاغانى ، القاهرة ، ١٣٢ هـ ، ١٩٠٥ م ج ١٤ ، ص ١٠٠٢) .
A.C.M.C Giffert A Hrstory of christion thought Ea- (٤٥)
rly and Eastern London, 1932, p. 303.

وانظر : زهدى جاد الله : المعتزلة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م - ١٣٦٦ هـ ص ٢٤
Ayer : A source Book for Ancient church History, (٤٦)
New York, 1926, p. 691.

نقلا عن : زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .
Mc Giffert : A History of christion thought, p. (٤٧)
661 :

نقلا عن : زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .
Encyciopedia Britannica ; Art . Johnal Damescus. (٤٨)

وكان يعتمد في الدفاع عن عقائده الدينية على الأدلة العقلية ، وقد وضع كتابا في اللاهوت المسيحي طبقه على فلسفة أرسطو المنطقية، وقد قام بتعديل بعض نظريات أرسطو فيما يتعلق باللاهوت الطبيعي وعلم الأخلاق ، وخلود النفس ، وأخذ عن أرسطو الكثير ، وأضاف أيضا الكثير (٤٩) . وقد أثر أثرا بالغا في الغرب المسيحي ، فقد ترجم كتابه في الايمان الأرثوذكسي « الايمان الحق » الى اللاتينية ، واطلع عليه توما الاكوينى ، أعظم متكلميهم ، واستفاد منه (٥٠) .

ولقد اعتبر يوحنا الدمشقى الاسلام عقيدة فلسفية ، ومن ثم واجهه مواجهة قائمة على أصول جدلية ، فقرر ماكدونالد أن يوحنا وضع للمسيحي دليلا لمناقشة المسلم على شكل حوار اذا قال لك المسلم كذا فقل له كذا . (٥١) وهو كتابه في الدفاع عن النصرانية (٥٢) .

وقد بلغ النقاش بين الاسلام والمسيحية ذروته على يد (حنا النقيوسى) المصرى الذى رحل الى الحبشة ، وبدأ يرسل رسائله الى اقباط مصر (٥٣) ، يحاول فيها مناقشة العقائد الاسلامية والصيلولة دون اعتناقهم الاسلام ، ثم تتابع النقاش فى عهد العباسيين الذين شجعوا مثل هذه المناقشات تحت شعار حرية الفكر وطلب العلم ، فلم يتعرضوا للمسيحيين وشجعوهم ليفوزوا بحصصهم العلمى فى دراساتهم وترجماتهم فى الفلسفة اليونانية خاصة والعلم اليونانى بوجه عام (٥٤)

(٤٩) زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .

(٥٠) لويس جارديه الاب قنواتى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، الترجمة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

(٥١) Macdonald : Muslim theology, p. 132.

(٥٢) Mc Giffert : History of christian thought, p. 310.

(٥٣) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٥٤) Mdedonald : Muslim theology. p.

بل انهم سمحوا أن يعقدوا مناقشاتهم ومجادلاتهم للمسلمين في بلاطهم ،
وتحت رعايتهم ، ويضرب وات Watt لذلك مثلاً بالمناقشات التي كانت
تعقد في بلاط الخليفة المهدي مع البطيريك تومثي Timothy فيقول :
ان الكتاب المسجل لهذه المناقشات مازال بين أيدينا (٥٥) .

(د) أثر هذه المناقشات في تطور علم الكلام :

لقد اقتضت هذه المناقشات بين المسلمين والمسيحيين أن يقف متكلمو
الاسلام على فهم واف لكل مذهب من مذاهب المسيحية وأن يفهموا
الفروق الواقعة بينهم ، حتى يواجهوا كل مذهب بما يوافق معتقده ،
وقد قام متكلموا الاسلام بهذا العمل خير قيام ، ونشير الى أمثلة من
جهود المتكلمين في هذا الصدد تلك الجهود التي أدت الى تطور علم
الكلام .

فنجد أوائل المعتزلة ومنتدبيهم ، قد قاوموا المسيحية مقاومة
عنيفة ، معتمدين على العقل ، فلقد كان الدفاع عن الدين ضد المخالفين ،
أهم عمل انبرى له المعتزلة ، بل هو واحد من أهم أسباب اتخاذهم
العقل منهجا .

وقد كان منهجهم في الرد على المذاهب المسيحية ، ان يعرضوا
هذه المذاهب ، عرضا موضوعيا ، أمينا ، ثم يناقشوا هذه المذاهب
مذهبا مذهبا ، وقد أبان لنا كتاب (المعنى في أبواب التوحيد والعدل) (٥٦) ،
صورا من هذه المناقشات التي تمت بين ابي الهذيل العلاف والمسيحية ،
وكذا أيضا الجبائي .

Watt : Free will and predestination In Early Islam, (٥٥)
London, 1948, p. 58.

(٥٦) القاضي عبد الجبار : المعنى في أبواب التوحيد والعدل ، ج ٥
الفرق غير الاسلامية ، انظر ص ٨٦ - ص ١٤٦ .

ولقد عرض القاضى عبد الجبار مذهبهم فى أمانة نادرة ، مبينا مصادر عرضه ، فقد رجع الى الأناجيل الأربعة ، والى ما كتبه آباؤهم ، تمهيدا للرد عليهم ، وفى رده عليهم أبطل قولهم فى التثليث ، وما يلزم عليه من القول بألوهية المسيح ، وقدم الكلمة وبنوته لله تعالى (٥٧) .
كما أبطل قولهم فى الاتحاد ، وما يتصل به من القول بأن مشيئة اللاهوت متحدة بمشيئة الناسوت (٥٨) ، كما أبطل كل صور الاتحاد من القول بالمازجة ، مازجة اللاهوت بالناسوت أو القول بالمجاورة ، أو القول بأن اللاهوت اتخذ الناسوت هيكلًا ومحلًا (٥٩) ، أو القول باللطول ، بمعنى أنه حل فيه (٦٠) أو القول باتحاد الطبيعتين الالهية والانسانية فى المسيح عليه السلام (٦١) ، أو القول بأن الجوهرين صارا جوهرًا أو واحداً (٦٢) ، كما أبطل القول بعبادة المسيح (٦٣) .

كما سبق الملاحظ من المعتزلة أن قام بالرد على النصارى فى رسالة له أوقفها لهذا الهدف بعنوان « الرد على النصارى » وقد رد على التثليث ، وألوهية المسيح ، وطبيعته وبيان صعوبة الوصول الى أساس متفق عليه بين المذاهب المسيحية ، ويعبر عن ذلك بقوله « ولو جهدت بكل جهدك ، وجمعت كل عقلك ، أن تفهم قولهم فى المسيح ، لما قدرت عليه ، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الالهية وكيف تدر

(٥٧) القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ،

ص ٨٠ - ١١٣ .

(٥٨) نفس المصدر : ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٥٩) نفس المصدر : ص ١٢١ .

(٦٠) نفس المصدر : ص ١٢١ .

(٦١) نفس المصدر : ص ١٢٦ .

(٦٢) نفس المصدر : ص ١٣٧ - ١٤٥ .

(٦٣) نفس المصدر : ص ١٤٦ - ١٥١ .

على ذلك ؟ وانت لو خلوت مع نصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا ، ثم ان خلوت بأخية من أبيه وأمه ، وهو نسطوري مثله ، فسألته عن قولهم في المسيح ، لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف جميع الأديان » (٦٤) كما يستبشع قولهم بالتثليث فيقول : (ولولا ان الله قد حكى عن اليهود انهم قالوا : ان عزيز ابن الله ويد الله مغلولة ، وان الله فقير ، ونحن اغنياء ، وحكى عن النصراني انهم قالوا : المسيح ابن الله ، وقال تعالى : « قالت النصراني المسيح ابن الله » ، وقال تعالى « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » ، لكنك لأن آخر من السماء أحب الي من أن اللفظ بحرف مما يقولون » (٦٥) .

وقد شارك الأشاعرة في الرد على المسيحية ، فلأشعري كتاب مفقود ، اسمه كتاب (الفصول) يصفه ابن عساکر بأنه اشتمل على اثنتي عشر كتابا ، رد فيه الأشعري على البراهمة واليهود ، والنصارى وكتبا . نقد فيه هذه العقيدة (٦٦) .

وعرض الباقلائي للمسيحية ومذاهبها وناقشها مناقشة مستفيضة في كتابه (التمهيد) ناقدا قولهم بأن الله جوهر ومفندا قولهم في التثليث والاتحاد والتجسد (٦٧) .

(٦٤) الجاحظ : رسالة الرد على النصارى ، ضمن ثلاث رسائل للجاحظ ، نشرها يوشع فينكل ، المطبعة السلطانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ ، ص ٢٢ .

(٦٥) نفس المصدر : ص ٣٧ .

(٦٦) ابن عساکر : يتبين كذب المفتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الخامسة ، ١٣٩٩ هـ ، وانظر أيضا : دكتور محمود علي حياية : ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م ص ١٤٦ .

(٦٧) الباقلائي : التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة ، تحقيق الخضيري ، والدكتور أبو ريدة ، القاهرة ، ١٢٦٧ هـ .

ورد الامام الجويني على النصارى ، فيما يتعلق بتسميتهم الله
جوهرًا ، وتدرع اللاهوت بالناسوت ، عارضا الآراء اليعقوبية والنسطورية؛
وذلك فى كتابه (الشامل فى أصول الدين) (٦٨) .

كما عرض الشهرستاني فى كتابه (الملل والنحل) لمذاهب
المسيحية عرضا موضوعيا ، وقام بالرد عليهم فى نفس المسائل (٦٩) .
وقد شارك الامام الغزالي فى هذا الميدان مخصصا لذلك مؤلفه
(الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل) (٧٠) .

كما شارك ابن حزم الظاهري فى الرد على النصارى ، بما قدمه
لنا من دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس ، مؤسسا عليها أكبر نقد
وجه الى المسيحية ومذاهبها المختلفة (٧١) ولقد سبق بدراسته النقدية ،
تلك الدراسات التى ظهرت بوادرها فى القرن السابع عشر ، وازدهرت
فى القرن التاسع عشر (٧٢) ، كما أنه يمكن القول بأن كثيرا من التناقضات

(٦٨) الدكتور فؤاد حسين محمود : الجويني (امام الحرمين) سلسلة
اعلام العرب ، من مطبوعات وزارة الثقافة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ،
ص ٨٤ .

(٦٩) الشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش كتاب (الفصل فى
الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ج ٢ ، ص ٥٩ - ٧٠ .

(٧٠) الغزالي : الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل اكتشفه
المستشرق الفرنسى ما سينيون ، وقام بتصحيحه الأب روبر شديقان
اليسوعى ، ونشر فى باريس عام ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه
وترجمة مقدماته والتعليق عليها وعلى بعض النصوص ، عبد العزيز عبد الحق
مجمع البحوث الاسلامية ، الأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .

(٧١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ، ص ٢-٨٠ .

(٧٢) عبد العزيز عبد الحق : مقدمة تحقيقه لكتاب (الرد الجميل لالهية
المسيح بصريح الانجيل) للغزالي ، ص ٨١ .

التي اثبت العلم الحديث وجودها في كتب اليهود والنصارى والتي
أوردها موريس بوكاي قد سبق لابن حزم بيانها في كتابه الفصل في
الملل والأهواء والنحل (٧٣) .

ولابن تيمية كتاب في الرد على النصارى بعنوان (تخجيل أهل
الانجيل) (٧٤) . ولتلميذه ابن القيم كتاب (هداية الحيارى في أجوبة
اليهود والنصارى) (٧٥) .

ولعل من أشهر المناقشات في العصور الحديثة مناقشة الشيخ
رحمه الله ابن خليل الهندي، للقسيس بفندر في مدينة اغرة الهندية والتي
اعترف فيها بفندر بالتحريف في الانجيل (٧٦) وقد قام رحمه الله في
كتابه اظهر الحق بدراسة الانجيل على أساس علمي ، مبينا التحريف
فيها ، ناقدا لفكرة الصلب والأقنيم ومدافعا عن الوحدة الالهية . دافعا
ممتازا يشهد له بسعة الثقافة وقوة العقل .

وشهدت عصورنا الحديثة ، هجمات أيضا على الاسلام من قبل
كثير من المستشرقين المسيحيين ، والمبشرين ، من أمثال زويمر ،
ولا فجرى ، ولا منسى ، وقاومهم كثيرون من علماء الاسلام المعاصرين .
ليس من شك في أن هذه المناقشات بين الاسلام والمسيحية في

(٧٣) دكتور محمود على حميدة : ابن حزم ومنهجه في دراسة الاديان
ص ١٤٩ .

(٧٤) دكتور محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، سلسلة الاعلام الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ١٣١ .

(٧٥) ابن القيم ، : هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى تقديم
وتعليق وتحقيق ، دكتور احمد حجازي السقا ، المكتبة القيمة ، القاهرة ،
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، وهذا الكتاب عبارة عن اجوبة لاسئلة وجهت الى
المؤلف ، من قبيل أهل الكتاب ، رد فيها على : التثليث ، والصلب ، والوهية
المسيح .

(٧٦) قد طبعت هذه المناظرة على هامش كتاب اظهر الحق لرحمة الله
الهندي ، طبعة مصر ، ١٣١٧ هـ .

كل صورها ، ساعدت على تطور علم الكلام ، ذلك لأنه العلم المتكامل بالدفاع عن العقيدة الاسلامية ، فكان على أصحاب هذا العلم أن يتسلحوا بحجج كافية لمواجهة كل مذهب من مذاهب المسيحية ، كما كان عليهم أيضا أن يخوضوا في نفس الموضوعات التي فرضها عليهم المسيحيون ، من هنا فقد انبثقت من هذه المناقشات مشكلات كلامية كثيرة ، حار واجبا على المتكلمين مواجهتها ، وأدى هذا الى أن يفطر المتكلمون في نصوص القرآن الكريم والسنة ، لاستخراج وجهة النظر الاسلامية ، ويمكن أن نشير الى بعض هذه المشكلات الكلامية ، والتي احتلت حيزا كبيرا في الدراسات الكلامية فيما يلي :

(أ) مشكلة كلام الله ، أو خالق القرآن :

أجمع المسيحيون على أن المسيح (كلمة الله) وهذه « الكلمة » قديمة ، وهذا يعنى أنها تشاركه في الألوهية ، أما المسلمون فلتأكيد بشرية المسيح أنكروا قدم الكلمة في دلالاتها على السيد المسيح ، فيذهب كل من جاردييه وقنواتي الى القول : « بأن مسألة القرآن غير المخلوق ، والتي تعود بأصلها فيما يبدو وكما أثبتته بيكر ، الى مسألة الكلمة ، فنحن نعلم أن القرآن يقول في عيسى انه « كلمة الله » أو « روحه » وما كان ليثيق على مسيحي تأويل هذه التسميات ، ومن هنا نشأ الاعتراض الذي وجهه أهل الجدل من المسيحيين الى المسلمين : من هو المسيح ؟ — انه « كلمة الله » — فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة ؟ ان كانت غير مخلوقة ، كان المسيح هو الله ، وان كانت مخلوقة لم يكن الله قبل تولدها ذا « كلمة » و « روح » وبكلام آخر : كان المسيحيون يستخدمون البرهان بالكلمة المخلوقة أو غير المخلوقة ، ليرغموا المسلمين على الاعتراف بالألوهية المسيح ، فاضطر المسلمون الى الاجابة ، وربما كان ذلك هو الأصل في القرآن المخلوق أو غير المخلوق (٧٧) .

(٧٧) جاردييه والآب قنوانى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام

والمسيحية ، ج ١ ، ص ٦١ .

غير أن البحث ، ما لبث أن انتقل الى « كلام الله » بوجه عام ، هل هو قديم أم مخلوق ، واذا كان قديما ، فهذا يؤدي الى تعدد القدمات !! واذا كان محدثا ، فكيف ذلك والكلام يدل على العلم بل هو مظهر له ؟، تبني المعتزلة القول بخلق القرآن الكريم في مواجهة المسيحية ، وأنكر الحنابلة وصف القرآن الكريم بأنه مخلوق ، وكانت فتنة بين المسلمين ومحنة للحنابلة (٧٨) .

وهكذا أفرزت مناقشات المتكلمين المسلمين مع المسيحيين مشكلة من أهم المشكلات وأخطرها في تاريخ علم الكلام ، لم يخض فيها المتكلمون الا لدوافع دفاعية ، ضد اعتقادات المسيحية ، فهي مشكلة فرضها الخصم ، ولم يكن من سبيل الا أن يخوض فيها المتكلمون المسلمون ، ويكننوا بناها !! .

(ب) البحث في مشكلة الذات والصفات :

لزم عن مناقشة المسيحية في مسألة الجوهر والأنايم (الصفات) والاتحاد ، والتجسد ، البحث في ذات الله وصفاته ، وهل صفات الله عين ذاته غير مستقلة عن ذاته ، ولا تتجسد في موجود دخاير له ؟ ، أم هي غير ذاته ، كما يرى المسيحيون ، وهكذا خاض المتكلمون في هذه المشكلة ، لأنها تتعلق بمناقشة المسيحيين .

(ج) البحث في مشكلة الحرية والمسئولية :

أنكر المتكلمون القول بالفداء والخلاص من الخطيئة الأولى التي حملها البشر عن أبيهم الأول ، بتأكيدهم على الحرية والمسئولية الفردية ، لتفقد فكرة الفداء أو الخلاص مبرر قيامها ومن عجب أن يوحنا الدمشقي يذهب الى القول بأن مذهب الجبر هو عقيدة الاسلام ، بينما مذهب

(٧٨) الدكتور أحمد صبحي ، في علم الكلام ، دراسة فلسفية آراء الفرق الاسلامية في اصول الدين ، الجزء الأول ، المعتزلة ، ص ٤٥ .

الحرية هو مذهب المسيحية (٧٩) ، فكيف ينسجم هذا مع القول بالمسئولية الجماعية وتحمل الخطيئة الأولى ؟ !!

(د) مشكلة نهاية المسيح عليه السلام :

كانت مشكلة الصلب من أهم المشكلات التي تناقش فيها المتكلمون المسلمون مع المسيحيين ، وأنكر المتكلمون صلب المسيح ، وفقا لما جاء في القرآن الكريم ، وهذا بدوره ألقى بتساؤلات فرعية كثيرة ، ماذا بعد الصلب ؟ هل رفع الى السماء اذا لم يصلب ، وهل رفع الى السماء حيا بجسمه وروحه ؟ ، هل استوفى أجله على الأرض ، بمعنى هل اختلفى حتى مات حيث شاء الله له ؟ ودفن جسده ورفعت روحه ؟ ، كل هذه التساؤلات تفرعت من مشكلة صلب المسيح أو عدم صلبه (٨٠) .

(٧٩) جاريدية والآب قنواني : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ج ١ ، ص ٦١ .

(٨٠) لقد اقامت مجلة لواء الاسلام فى ابريل عام ١٩٦٣ ندوة حول هذا الموضوع ، واتجه الراى اتجاهاين : اتجاه يؤيد ان عيسى عليه السلام رفع الى السماء بجسده وروحه ، والآخر : يرى ان عيسى عليه السلام قد نجا من الصلب ، واستوفى أجله على الارض ، حتى مات حين شاء الله له ، ورفعت روحه الى بارئها (انظر : الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الاديان ، ج ١ ، المسيحية ، ص ٤٥ - ٥٠) .

ويبدو من هذا أن كلا الرأيين يعتمد على ما جاء بالقرآن الكريم ، وان كان الراى الثانى أقرب الى الاتساق مع الآيات القرآنية فى نحو قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى » .

وقوله تعالى على لسان عيسى : « السلام على يوم ولدت ويوم اُوتيت » الى آخر هذه الآيات التى تقيد أنه توفى بعد أن قضى أجله على الأرض ، واذا كان التاريخ لم يذكر لنا شيئا عن حياته أو ظروفه بعد نجاته من الصلب ، فذلك لأن التاريخ لم يتبعه بعد أن ترك بنى اسرائيل . ويمكن القول بأن الاعتقاد القائل بأن عيسى رفع بجسمه وروحه . اعتقاد يقترب من الاتجاه المادى فى الانسان ، كما يقترب من الاعتقاد المسيحى بأن عيسى ابن الله الذى نزل الى السماء ، ثم رفع الى الجلوس بجوار أبيه أما المسلم الذى يعتقد ان الله واحد ، وأنه فى كل مكان فكيف يوفق بين هذا وبين رفع عيسى ليكون مع الله .

وهكذا أنتج لنا لقاء المتكلمين مع المسيحيين مشكلات هامة حول ذات الله وصفاته ، وكلام الله ، وتفسير الخير والشر والمسئولية ، خاص فيها المتكلمون ووضعوا فيها آراء شكلت تاريخ علم الكلام ، فساعدت على توسيع موضوعه ، وتطوره .

حقيقة أن لهذه المشكلات أصولا فى الكتاب والسنة — كما بيننا — ولكن هذه المواجهة لأهل الكتاب ، هى التى أبرزت النقاش والجدال حولها، من هنا نظر المتكلمون فى أصولهم النقلية ليكونوا آراءهم فى متابل آراء أهل الكتاب .

على أن تلاقى التيارات الفكرية يحدث عنه — أحيانا — نوع من التأثير والتأثر ، ولقد غلب بعض مؤرخى الفرق الكلامية فى استغلال تلك المسألة ، للنيل من خصومهم من أصحاب الفرق الأخرى ، فلقد حاول الشهرستاني — كما فكر أشعري — على سبيل المثال ، أن يحارب المعتزلة، فربط بينهم وبين المذهب النسطورى ، فيقول : انه (أى نسطور) تصرف فى الأناجيل بحكم رأيه ، واطاف اليه — ومن تابعة — كإضافة المعتزلة الى هذه الشريعة بل يقارن قول نسطور بأن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة ، وأن هذه الأقانيم ليست هى زائدة على الذات ، ولا هى هو ، بأن ذلك هو أساس المذهب المعتزلى فى الصفات ، وأن أشبه مذاهب شيوخ الاعتزال فى الصفات ، لقبول نسطور هو مذهب أبى هاشم الجبائى فى قوله بالأحوال وهى قوله بأن الصفات وراء الذات لا موجودة ولا معدومة (٨١) .

ومن الجدير بالذكر أن قول المعتزلة بوجه عام فى الصفات يقوم على التوحيد المطلق فى أعلى صورة ولا يتصل اطلاقا بفكرة الأقاليم ، واننا نرى المعتزلة شأنها شأن أى فرق اسلامية دارت بينها وبين المسيحية

(٨١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

مجادلات ومناظرات حول مسألة الوحدة والتعدد ، والتجسد ، وبهذا انتجوا فكريا دينيا حول مشكلة الصفات يقوم على اثبات الوحدة المطلقة لله ، القائمة على التنزيه المطبق الذي هو أهم مقولة يقوم عليها الفكر الاعتزالي عامة .

فضلا عن أبي هاشم الجبائي في قوله بالأحوال يدافع عن تنزيه الله تعالى تنزيها مطلقا ، وقد كان هذا من أهم نقاط الخلاف بينه وبين المسيحية !! ، ولقد عرض لنا القاضي عبد الجبار مناقشة الجبائي للمسيحية والتي تميزت بالدقة الشديدة فكيف يكون متابعا لهم (٢٨) .
لقد صدر الاثنان عن وجه نظر مخالفة تماما للأخرى ، بدأ المسيحيون من الواحد الذي يتعدد ويتشكل ثم قد يعود واحدا ، وقد لا يعود ، وبدأ أبو هاشم والمعتزلة عامة من الواحد الذي يبقى واحدا على الاطلاق (٨٣) .

على أن مناقشة المتكلمين للمسيحية أفادت في نقطة هامة وهي نقطة المنهج ، فلقد استخدم آباء الكنيسة المنطق الأرسطي بشكل خاص ، في جدلهم ، حتى آخر الأشكال الحمطية - أي عند الفصل السابع من التحليلات الأولى - فكان المنطق هو سلاحهم الذي أقاموا عليه جدالهم مع المسلمين ومن هنا كان على المسلمين أن يطعنوا على المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية ليستخدموا نفس السلاح الذي استخدمه أعداؤهم وما لبثوا أن قاوموا هذا المنطق بعد أن تبينوا عيوبه ، وأقاموا منطقنا اسلاميا في مقابل هذا المنطق الأرسطي (٨٤) .

(٨٢) القاضي عبد الجبار : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ، ص ٨٠ وما بعدها .

(٨٣) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام ج ١ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٨٤) نفس المصدر : ص ١٠٠ .

على أن ذلك لم يمنع من تسرب بعض أفكار المسيحيين إلى فكر المسلمين ، وإن كان هذا التسرب لم يبلغ ما بلغه تسرب الاسرائيليات ، ذلك لأن موقفهم من الانجيل كان واضحا من البداية ، وهو عدم الاعتراف به ، لوقوع تحريف فيه - فكانوا منه أكثر حذرا من التوراة ، هذا فضلا عن أنه لم يكن بين المسيحيين من لعب دور وهب ابن منبه أو كعب الأحبار أو عبد الله بن سلام ، في تزويج كثير من الاسرائيليات .

فقد تسربت إلى الفكر الاسلامي ، فكره رفع عيسى إلى السماء بجسمه وروحه ، وأنه لم يموت ، وأنه سيعود ، كما تسربت إليهم فكرة الحلول ، حلول اللاهوت في الناسوت ، كما أن فكرة حوارى المسيح الاثنى عشر ، شبيهة بفكرة النقباء ، والمهدى المنتظر عند الشيعة الامامية ، فكل هذه الافكار غدت بلا شك بعض فرق الشيعة الزائفة .

* * *

ثانيا - أثر الديانات والملل والأهواء والنحل في تطور علم الكلام :

(أ) أثر الديانات الفارسية في تطور علم الكلام :

دخل الاسلام بلاد فارس ، وأزال دولة الساسانيين ولم يصبح للديانات الفارسية دولة تسندها وتحميها ، غير أن نهاية الدول لا تعنى بالضرورة نهاية العقائد التي تعنتقها ولا الديانات التي تدين بها ، فظل بعض الفرس على الدين البارسي ، كما ظلت الزرادشتية - والتي كانت على مدى أكثر من ألف سنة مقوما من أهم مقومات الحضارة الفارسية قبل الاسلام - قائمة ، فلم يكن استئصالها أمرا ميسورا (٨٥) .

(٨٥) الدكتور احمد صبحي : في علم الكلام دراسة فلسفية الآراء الفرق الاسلامية في اصول الدين ، ج ١ ، المعتزلة ص ٥٨ .

غير أن تاريخ الأديان والعقائد يدلنا على أن الديانات والعقائد المملوكة على أمرها لا تختفى ، وإنما تبقى فى عقول الناس ووجدانهم ، غير أنها فى بقائها تتشكل بصور وأشكال جديدة وهذا الأمر ينسحب على الديانات الفارسية فلقد بقيت فى أشكال غنوصية (٨٦) . فصارت تمثل تيارا باطنيا عنيفا .

لقد جمع المسلمون من مؤرخى الملل والنحل تلك الأديان الفارسية المتأخرة القائمة على فكرة الثنائية ، وهى تلك الأديان التى نشأت نشأة غير غنوصية ، ثم انتهت الى غنوصية عنيفة جمعها المسلمون تحت اسم الجوس (٨٧) ، إلا أنهم أحسوا بما فيها من فروق ، فكانوا يميزون بين أصحاب الاثنى ويقصدون بهم أصحاب تلك الديانات الثنوية (٨٨) التى

(٨٦) الغنوصية Gnosticism وهى كلمة يونانية الاصل تعنى المعرفة الباطنية ، أى التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا ، أو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن تلقى فى النفس الشفاء ، فلا تستند الى الاستدلال أو البرهنة العقلية . (انظر : الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى اسلام ، ج ١ ، ص ١٨٦) .

(٨٧) اسم الجوس لم يكن تسمية من المسلمين ، فهو تسمية واردة فى القرآن (انظر سورة الحج آية ١٧) ، وهذا يدل على أن التسمية سبقت نزول القرآن أى انه من تسمية العرب قبل الاسلام .

(٨٨) صدرت الديانات الثنوية فى الاصل من فكرة اخلاقية وهى تفسير الشر فى العالم ، فردوه الى مبدأ فاعل ، كما ردوا الخير الى فاعل ثان ، واختلف أصحاب هذه الديانات فيما بينهم فى هل المبدآن قديمان ؟ الخير ويمثله النور والشر وتمثله الظلمة ، أم النور قديم ، والظلمة محدثة ؟ وكيف حدث الامتزاج بينهما ؟ ، وكيف يتم الخلاص بينهما ؟ فيقول الشهرستاني عن الثنوية : « اختلفت بالمجوس ، حتى اثبتوا أصليين اثنين مدبرين قديمين يقسمان الخير والشر والنعمة والضرر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما النور والثانى الظلمة ، وبالفارسية : يزدان واهر من ، ولهم فى ذلك تفصيل مذهب ، وبمسائل الجوس كلها تدور على قاعدتين : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا » (انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٣) .

نشأت من فكرة أخلاقية — أصلا — وهى تفسير الخير والشر ، ولم تأخذ شكلا غنوصيا كاليكومرثية (٨٩) والزروانية (٩٠) والزرادشتية (٩١) وبين تلك الأديان التى أخذت شكلا غنوصيا عنيفا .

(٨٩) الكيومرثية : (بالكاف الفارسية وتنطق g فى الانجليزية) . ترى أن أصلى العالم هما النور والظلمة ، غير أن النور قديم أزلى ، والظلمة محدثة من فكرة رديئة انتابت النور ، فامتزجا ، وخلصهما فى قضاء يزدان (أى النور) على اهر من (أى الظلمة) انظر : الملل والنحل ، على هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ج ٢ ص ٧٣ — ٧٤ ، والدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٠ . (٩٠) الزروانية : ترى أن أصلى العالم هما النور والظلمة وهما أصلان قديمان ، وحدث الامتزاج بينهما ، والذى سوف ينتهى بانتصار النور على الظلمة (انظر : الشهرستانى الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٤ — ٧٦ ، والدكتور النشار نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٢٢١) .

ولقد اعتهدت كل من الكيومرثية والزروانية فى تفسير عقائدها — الى حد كبير — على الاسطورة . ولقد انعكس هذا التفكير الاسطورى على تفسيرها للوجود ، انطلاقا من تفسير الشهر فى العالم ، وقد مهد التفكير الاسطورى الى ظهور الدين الفارسى الكبير « الزرادشتية » .

(٩١) الزرادشتية : هو ذلك الدين الفارسى الذى استمر فى وجوده حتى دخول الاسلام بلاد فارس ويسمى الدين البارسى نسبة الى «باريس» وهى كلمة فارسية معناها التقوى أو الورع أو العدل (انظر : حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، نبى قدامى الايرانيين ، حياته وفلسفته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٥) . وينسب الى زرادشت الذى ذاع أمره وانتشر فى النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد ولد حوالى سنة ٦٦٠ ق.م وتوفى ٥٧٣ ق.م وعمره ٧٧ سنة وولد فى آذربيجان ، وقد رويت بشارات بشرت بمولده شاعت عند قدامى الايرانيين ، وهناك اساطير تدل على اعتقادهم بأنه روح الله ، تنهصت جسد هذا المخلوق البشرى وحلت برحم امه ، ثم ولدته بشرا سويا (الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧٧) وقد شاعت عقيدة الحلول ، وليس يخاف أنها عقيدة المسيحية فى المسيح ، وبخاصة النساطرة منهم ، وقد أخذ بها غلاة الشيعة فيما بعد !! ، أحيطت بنشأة زرادشت الاولى وحياته بوجه عام بكثير من الاساطير والمعجزات (انظر : الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٧)

وفى الحقيقة ان مذاهب المجوس القدامى ، نشأة من فكرة اخلاقية
بحثة وهى تفسير الشر ، ومنها انطلقوا الى تفسير الوجود كله فرأوا
مظاهر التشبيه فى كل شىء . . من هنا أثار قولهم فى تفسير الشر ،
ورده الى مبدأ أول ، المتكلمين الى البحث عن حل اسلامى ، لتفسير
الشر ، هل يرد الى الله تعالى ؟ أم الى ابليس ؟ ولماذا ترك الله ابليس
ليضل الناس ، وينشر الشر ، كل هذه التساؤلات أثارها البحث فى

ويقال استغرقت حوالى عشر سنين (انظر تفصيلا حامد عبد القادر : زرادشت
الحكيم ، ص ٤٠ — ٤٨) وعرض زرادشت دعوته على كتاسب ملك أيران
بأمر من اهورا مزدا وآمن به ، ومن ثم صارت الزرادشتية هى الديانة الرسمية
لايران (انظر المصدر السابق ، ص ٥٤ ، وما بعدها وانظر أيضا البيرونى :
تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، عالم الكتب ، بيروت ،
بدون تاريخ ص ١٩ ، ص ٦٤ ، ص ٦٨ . وواضح أن حياة زرادشت ونشأته
الاولى صورة لما ورد فى المسيحية بعد ذلك عن حياة السيد المسيح ،
مما دعا بعض المؤرخين الاوروبيين الى القول بأن المسيح تعلم من الزرادشتة
كل خوارقته خلال رحلته المشهورة الى الهند ، عبر فارس .
ولزرادشت كتاب مقدس فيه أسس عقيدته وأحكامها وشريعتها ،
ويسمى بالعربية « ابستاق » أو « وستاق » وبالسرانية « ابستاقا »
وبالفارسية الحديثة « ابستا » ، وقد أثار اليه مؤرخو الاديان (المصدر
السابق ، ص ٦٣ وما بعدها) واتسمت عقيدته بعبادة النار ، والقول
بالاثنية .

ويرى الدكتور النشار انه قد تساب معرفة مذهب زرادشت بعض
الاضطراب والغموض عند المسلمين ، الامر الذى جعل بعضهم يصوره على
انه مذهب توحيد (انظر : نشأة التفكير الفلسفى ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣) .
انظر عرض الشهرستانى لمذهب زرادشت فى الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٨ —
٧٩) ومن باحثينا المحدثين من فسره بهذا التفسير (انظر : حامد عبد القادر :
زرادشت الحكيم ص ٨٠ د ٨٢) .

على انه مازال للدين البارسى أو للزرادشتية اتباع قلائل فى العنالم
الاسلامى ، واثره واضح فى طوائف الباطنية من : قرامطة وحشاشيين . .
وغيرهما ، وقد اعترفت بهم البهائية أخيرا ، حيث وجدت فى « الزاندافستا »
بشارات ، « بالبهاء » و « الباب » .

مشكلة الشر عند المتكلمين ولعل هذا كان من أكبر الدوافع التي دفعت بالمعتزلة الى بحث مشكلة الشر في أصل من أهم أصولها وهو أصل المعدل

غير أن هذه الديانات الفارسية الثوية ما لبثت أن أخذت بعد ذلك صورة غنوصية فكانت خطرا شديدا على الاسلام ، من هذه الصور الغنوصية المانوية (٩٢) المزدكية (٩٣) .

(٩٢) المانوية نسبة الى مانى بن فاتك ولد حوالى سنة ٢١٥ م ، احيطت ولادته ونشأته بشيء من المعجزات !! ، درس الأديان الفارسية القديمة وبخاصة الزرادشتية ، كما درس المسيحية وأخذ بالغنوص ، ورفض الأناجيل المعروفة على عصره ورأى تعارضا كبيرا بينها ، فاختر فقط بعض اجزاء منها ، واستند على أنجيل أعلن أنها أقدم الاناجيل وقبّر أن المسيح لم يصلب مستندا على ما بين يديه من الأناجيل ، وعلى الأخبار المتواترة التي وصلته ، وقد كان قريب العهد من ظهور المسيح ، ورفض العهد القديم لسا أصابه من التحريف ، وهاجم اليهودية هجوما عنيفا .

وكان مانى يتول بوجود كائن ثنائى الطبيعة وبوجود مبدئين أو كائنين يسيطران على العالم هما : مبدأ النور ومبدأ الظلام ، فالنور مصدر الخير ، والظلام منشأ الشر ، ولكل منهما قدرة على ادراك اللون ، والطعم ، والرائحة والصوت ، والملامسة . ويستطيع كل منهما أن يرى ويدرك الاشياء .

وكل ما هو جميل وخير ونافع من الاشياء فهو صادر عن النور وكل ما هو ضار وقبيح ومفسد فهو ناشئ عن الظلام وكان هذان المبدآن فى أول الأمر منفصلين ، مستقلين متلاصقين ملاصقة الضوء للظل ، وعن امتزاجهما نشأ الكون بما فيه من الظواهر وحوادث واجسام كثيفة وكائنات حية وكان الظلام هو البادئ بالاجتياح لأن النور خير بطبيعته فلا يبسدا الاعتداء وهما ضدان لا يصدران عن شيء واحد وهما مبدآن نشيطان فعالان الى الأبد بدليل دوام صدور الخير عن أحدهما والشر عن الآخر .

وأوجب مانى على أتباعه أربع صلوات أو سبع كل يوم وصوم سبعة أيام فى كل شهر ، كما أوجب عليهم عشر غرائض أخرى ويعترف مانى بأن بوذا وزرداشت كانا نبيين مرسلين ولا يعترف بأنبياء بنى اسرائيل ، ويعترف بنوة عيسى عليه السلام ، ويقول انه جزء انفصل من عالم النور وتجسد تجسدا ظاهريا ، أما الذى صلبه اليهود ، فهو شبح مزيف ، وليس عيسى الحقيقى .

وفى الحقيقة أن الديانات الثنوية الغنوصية ، كونت تيارا باطنيا

ولماني ستة كتب رئيسية شرح فيها مذهبه الثنائي ويبين فيها تعاليمه
وهي : كتاب « شايريتان » ، كتاب « كنز الاحياء » ، كتاب « الهدي
والتدبير » ، كتاب « الفرائض » ، « وسفر الأسفار » ، « وسفر الجبارة » .
ويسكن الرجوع الى مزيد من التفصيل فى المصادر التالية ابن النديم ،
الفهرست ، مكتبة خياط بيروت ، (طبعة فلوجل) ، ص ٣٢٧ — ٣٣٧ ،
وفيه تفصيل شديد عن مانى وعقيدته وشريعته وكتبه وأتباعه ويعد من أهم
المصادر القديمة فى هذا الصدد ، والقاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب
التوحيد والعدل ، ج ٥ ، « الفرق غير الاسلامية ص ١ — ص ١٥ وفيه
تدقيق شديد فى ذكر عقائد المانوية فقد اعتمد على ما كتبه رؤساء المانوية
واتباعها وانظر أيضا عرض الشهرستانى للمانوية فى الملل والنحل ، ج ٢ ،
ص ٨١ — ٨٩ وانظر أيضا البيرونى : تحقيق مالهند من مقولة مقبولة العقل
او مرذولة ، ص ٣١ ، ص ٣٧ ، ص ٤١ ، ومن المصادر الحديثة حساند
عبد التادر : زرادشت الحكيم ، ص ١٢٥ — ١٢٨ ، الدكتور النشار : نشأة
التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٩٣) المزدكية : نسبة الى مزدك الفارسى ، من نيسابور ، ولد فى
اواخر القرن الخامس عام ٤٨٧ م وقبل عام ٥٢٣ م كان مانويا ، ثم خرج
عن المانوية فقال ان الامتزاج بين المبدئين (النور والظلمة) قد تم انفاسا ،
وخلصهما اتفاقا ايضا ، وأرجع الاصلين القديمين (النور — والظلمة) الى
ثلاثة أصول مادية هي : الماء ، والنار ، والهواء والتي اختلطت ، فحدث
من اختلاطها على نسب متساوية مدبر النور وعلى نسب غير متقاوتة مدبر
الشر ، والمادة الأولى مادة الخير ، مادة صافية ، والمادة الثانية ، مادة
الشر ، مادة كدرة .

ويدخل المذهب فى غنوصية شديدة فيذهب الى القول بأن الانسان
لكى يعود ربانيا لابد أن تكون بين يديه أربع قوى : قوة التمييز ، والقهم ،
والحفظ ، والسرور ، فمن ملكها واجتمعت فيه ، انفتح له السر الأكبر ،
وارتفعت عنه التكاليف فأحلت له الدنيا بما فيها من متاع بل انه أمر أتباعه
بأن يمتنعوا عن الحرب والبغضاء والمشاحنة ، وذلك بأن أحل لهم شيوعية
المسال والنساء ، فهما سبب كل حرب وبلاء فيجعل الناس فيها شركة
كاشتراكهم فى الماء ، والنار ، والكلأ (انظر : القاضى عبد الجبار : المغنى
فى أبواب التوحيد والعدل ، ج ٥ الفرق غير الاسلامية ص ١٦ والشهرستانى

انتشرت المذاهب الشنوية الغنوصية وبالذات المانوية فى أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى ، بفضل الكتب التى كتبت فى نصرتها ، وفى ظل حركة منتظمة كانت تهدف الى القضاء على الاسلام ، بدأت هذه الحركة بعبد الله بن المقفع والذى قضى أكثر سنى حياته فى الدولة الأموية ، ويقال لانه كان زرادشتيا كما يقال انه كان مانويا أو مزدكيا ، فلقد ترجم كتاب مزدك ، المعروف بـ « ديستاو » ، والذى من خلاله انتشرت العقائد المزدكية وكتب كتابا فى الطعن على القرآن الكريم بعنوان « الدررة اليتيمة فى معارضة القرآن » (١٠٠) وترجم كتاب « كليلة ودمنة » مضيفا اليه بابا سماه باب برزويه (١٠١) يعد من أخطر ما قيل فى نقد الأديان عامة ، متناولا تعارض الأديان ، واستحالة الوصول فيها الى اليقين وينتهى الى اعتبار العقل وحده أعظم وسيلة وأفضلها للمعرفة !! (١٠٢) *

(١٠٠) اشتهر عن ابن المقفع انه اشتغل بمعارضة القرآن الكريم مدة ثم مزق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره وقالوا ان المعارضة كانت « بالدررة اليتيمة » الذى يرى الرافعى انها كتاب يعد طبقة من طبقات البلاغة وليس فيه شيئا من المعارضة وانها اشيع ذلك لأن ابن المقفع متهمًا عند الناس فى دينه (انظر : مصطفى صادق الرافعى : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، بدون تاريخ ص ١٧٨ — ١٧٩) .
ويذكر الامام الباقلانى أن هذا الكتاب منسوخ من كتاب « بزرجهر » وينتهى الى القول بأنه لا يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض نية القرآن بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مزق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره ، تارة كان كذلك ، فقد أصاب وأبصر القصد ولا يمنع أن يشتبه عليه الحال فى الابتداء ، ثم يلوح له رشده ، ويتبين له أمره ، ويتكشف له عجزه ، ولو كان بقى على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع عقله ولم يشتبه لدينا وجه شبهته . (انظر : الباقلانى : اعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ص ٢٢) .

(١٠١) برزويه هو الاسم الفارسى القديم لعبد الله بن المقفع .

(١٠٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج١ ،

ص ٢٠٤ .

فابن المقفع كان يرمى الى نشر الالحاد والزندقة والتحلل من الاسلام ولقد تنبه البيروني الى ذلك فقال : (وبودى أن أتمكن من ترجمة كتاب « بنج تنتر » وهو المعروف عندنا بكتاب « كليلة ودمنة » فانه تردد بين الفارسية والهندية ، ثم العربية والفارسية على السنة فقوم لا يؤمن بتغييرهم اياه كعبد الله بن المقفع في زيادة باب « برزويه » فيه قاصدا تشكيك ضعيفى العقائد فى الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب المانوية واذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل) (١٠٣) .
ويقول أيضا : (ثم جاءت طامة أخرى من جهة الزنادقة أصحاب «مانى» كابن المقفع وكعبد الكريم ابن أبى العوجاء وأمثالهم فشككوا ضعاف المغرائز فى الواحد الأول من جهة التعديل والتجوير وأمالوهم الى المتثنية) (١٠٤) .

وكما تنبه البيرونى الى كون ابن المقفع مانويا ، يهدف الى هدم الاسلام ، تنبه أيضا الخليفة المهدي - الذى تتبع الزنادقة بالقتل والتشريد - الى زندقة ابن المقفع ، فيروى ابن خلكان قول المهدي : « ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع » (١٠٥) .

وهكذا كانت المانوية خطرا يهدد الاسلام ، وينشر التحلل الدينى ، والزندقة (١٠٦) ، فهذا عبد الكريم بن أبى العوجاء عندما أتى به الى

(١٠٣) البيرونى : تحقيق ماللهند من مقوله مقبولة فى العقل او مردولة

ص ١١١ .

(١٠٤) نفس المصدر : ص ١٩٦ .

(١٠٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، وانباء ابناء أهل الزمان بتحقيق

احسان عباس ، القاهرة ، ١٣١٠ ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(١٠٦) يذهب المسعودى الى أن كلمة زنديق كلمة معربة عن الفارسية ويوضح لنا تاريخ هذه اللفظة فيقول : « وفى أيام مانى ظهر اسم الزندقة الذى أضيف اليه الزنادقة وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت (اسبتمان)

القتل يقول : أما والله لئن قتلتهموني ، لقد وضعت عليكم أربعة آلاف

= على حسب ما قدمنا من نسبة فيما سلف من هذا الكتاب — بكتابه المعروف بالفستنا (فستا) باللغة الأولى (القديمة) من الفارسية وعمل له التفسير وهو « الزند » وعمل لهذا التفسير شرحا سماه « البازند » على حسب ما قدمناه — وكان بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئا خلال المنزل الذي هو الفستنا وعدل (الى) « التأويل الذي هو « الزند » قالوا : هذا « زندي » فأضافوه الى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر ، من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل . . . فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : « زنديق » وعربوه والثبوية هم الزنادقة (مروج الذهب ، ج ١ ص ٣١٢) وهذا ما يذهب اليه ابن نباتة (سرح العيون ، القاهرة ١٨٦١ هـ ، ص ٢٠٥) . وابن تيمية : (بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقراطة ، ويدعى أيضا السبعينية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ وآراءهم .

١٩١١ م ص ٦٢ — ٦٣) وهكذا أطلقت في البداية على المانوية — على وجه الخصوص — لسلكهم مسلك التأويل في شرح الكتب الزرادشتية بما يتفق وآراءهم .

وهناك رأى آخر في اشتقاق كلمة زنديق عرضه حامد عبد التسادر (في كتابه : زرادشت الحكيم ص ١٢٨ — ١٣٠) نقلا عن المستشرق براون (صاحب كتاب تاريخ الأدبي الفارسي) الذي يذهب فيه الى أن أصل الكلمة آراييا وليس فارسيًا وذلك أنه كان بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة السماعين وهم طبقة الأحرار ، الذين لم يلزوا أنفسهم بالتمسك بتعاليم دينهم التماسية التي تقضى بالزهد والتشرف والرهبنة ، وطبقة أخرى تسمى طبقة الصديقيين ، وهي طبقة المؤمنين المخلصين الذين يأخذون أنفسهم بتعاليم الدين الفارسية .

وكلمة صديق كلمة عربية الأهل ، وتستعمل في العبرية بلفظها ومعناها ، وهي بالأرامية والسريانية زديق ، ويرجح أن الفرس أخذوا الكلمة في صورتها الآرامية وحرفوها بعض التحريف فجعلوها زنديق ثم أخذ العرب الكلمة عن الفرس بعد أن كسروا زايها لتتسجم مع الدال المكسورة وجعلوها زنديق مثل عرييد وتنديل .

وكانت تطلق في عرف المانويين بمعناها الأصلي على المؤمن المخلص من أتباع ماني ، ولما كان الزرادشتيون يعدون هؤلاء ملاحدة خارجيين عن الزرادشتية الحقنة ، فقد أطلقت الكلمة عندهم على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق ، وهذا هو المعنى الذي ظل يفهم منها في العصور الإسلامية .

حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأهل فيها الحرام ، والله أقدر فطرتكم يوم صومكم ، وصومتكم يوم فطركم (١٠٧) .

وكذلك كانت المزدكية خطرا على الكيان الاجتماعي للجموع الاسلامي ، وقد استطاعت أن تتصل بمهارة بالحركات الشيعية ، وخاصة حركات الغلاة منها ، فانتشرت في الاسماعيلية الايرانية ، والفرامطة ، الذين أخذوا بشيوعية المال والنساء كما ظهر أثرها لدى غلاة الشيعة في الكوفة ، ولدى الباطنية أو غلاة الاسماعيلية (١٠٨) .

ويتضح من هذا أن أمر الديانات الثنوية قد انتشرت وصارت خطرا داهما على الاسلام ، الأمر الذي أدى الى ضرورة مقاومتهم وكانت مقاومتهم ومناهضتهم أهم دافع من الدوافع الحقيقية لتطور علم الكلام في الاسلام ، ولقد كانت المعتزلة أول الفرق الكلامية التي قامت بهذا العمل خير قيام ، بل ان ذلك كان سببا من أهم أسباب قيامها وهي مدافعة الديانات الثنوية الغنوصية مانوية ومزدكية ومندائية ... في ضوء هذا الدفاع أسسوا عقائدهم (١٠٩) .

وكان على المتكلمين - معتزلة وأهل سنة - أن يستخدموا كل وسيلة ممكنة في سبيل صد هذا الخطر ، من هنا كان اتجاه المعتزلة الى استخدام الفلسفة في بعض المواضع ، بغية ايجاد نسق عقلي اسلامي يقف في مواجهة هذا الغنوص الثنوي ومنهجه الذوقي .

(١٠٧) البيروني : الآثار الباقية ص ٦٧ - ٦٨ .

(١٠٨) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام ج١ ص ٢٠٥ .

(١٠٩) بكر : تراث الاوائل في الشرق والغرب ، ضمن مجموعة مقالات ترجمها وعلق عليها الدكتور عبد الرحمن بدوي وجمعها تحت عنوان التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٨٩ .

وفى ايجاز قام المعتزلة — أوائلهم ومتأخريهم — بهذا العمل خير قيام فقد بذل — واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والعلاف والنظام ، ومعمربن عباد ، والجبائيان — جهدا كبيرا فى مناهضة الفرق الثنوية عامة (١١٠) وأوقف الخياط كتابه (الانتصار والرد على ابن الراوندى لهذا الغرض (١١١) ، كما درس القاضى عبد الجبار المذاهب الثنوية ، ووقف أجزاء من مؤلفاته للرد عليها (١١٢) ، وبعامه كان ذلك

(١١٠) انظر : لمزيد من التفصيل : زهدى جار الله : المعتزلة القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٣٦ — ٤٦ . ولكتاب هذا البحث عمرو بن عبيد وأرؤه الكلامية ، نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٠ — ٧٢ .

(١١١) الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد وما قصد به من الطعن على المسلمين ، بتحقيق وتعليق وتقديم الدكتور نبيرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م . فلقدر على الثنوية والمانوية (الزنادقة) ، ورد على ابن الراوندى الملحد ، انظر الصفحات التالية ، ص ٦ ، ٧ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ١٧٨ .

(١١٢) القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل الجزء الخامس ، الفرق غير الاسلامية ص ٢٢ — ٧٩ وتثبيت دلائل النبوة ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، بيروت ١٩٦٦ م وشرح الاصول الخمسة ، بتعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م ص ٣٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمحيط بالتكليف ، جمع الحسن ابن أحمد بن مؤويه بتحقيق عمر السيد عزى ، ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الاموانى الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٢ ، ٧٠ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ .

أسلوبا عاما لسائر المعتزلة المتأخرين كالنيسابورى (١١٣) ، والحاكم
الجشمى (١١٤) وابن متويه (١١٥) .

وقد قام الأشاعرة - أيضا بدراسة عقائد الثنوية والغنوصية
وعرضها عرضا دقيقا تمهيدا للرد عليها ، وتصدى للرد عليها كبار
رجال الأشاعرة وعلى رأسهم مؤسس المدرسة الأشعرية الأشعري (١١٦)
أبو بكر الباقلانى (١١٧) ، والشهرستانى (١١٨) والبغدادى (١١٩) وإمام أهل

(١١٣) النيسابورى : فى التوحيد : ديوان الأصول بتحقيق الدكتور
محمد عبد الهادى أبو ريذة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ ، الكتاب
كله موضوع للدفاع عن التوحيد وما يتصل به من مسائل ، فهو يعد -
بأكمله كتاب موضوع فى الرد على الثنوية .

(١١٤) الحاكم الجشمى : شرح عيون المسائل ، مخطوط بدار الكتب
المصرية ، مصور عن مكتبة صنعاء ميكرو فيلم ٣٠٦ ، انظر اللوحات الأولى
من هذا المصنف ، وموضوع أخرى .

(١١٥) ابن متويه : التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض بتحقيق
وتقديم د. سامى نصر ، وفيصل عون ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة
١٩٧٥ م ص ٩١ ، ١٠٩ ، ومراجع أخرى .

(١١٦) الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج ١ ،
ص ١٠٣ ، ١٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ج ٢ ص ٢٦ ،
٦٨ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ١٦٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(١١٧) الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة
والخوارج والمعتزلة .

(١١٨) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧٠ - ٩١ ، وأيضا
نهاية الإقدام فى علم الكلام ، حرره وصححه الفردجيوم بدون تاريخ ،
ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٩٠ - ٩١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١١٩) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ،
٢٧٩ ، ٢٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ .

السنة والجماعة الامام الغزالي (١٢٠) .

كما كان لأبى منصور الماتريدى جهوده فى مقاومة الثنوية الغنوصية (١٢١) . وشارك الشيعة الامامية فى هذا المجال فتقاوموا الثنوية ومذاهبها الغنوصية مقاومة لا هوادة فيها ، ومازالت بين أيدينا مناقشات امام الشيعة الامامية الامام جعفر الصادق والمانوية ، ولهشام بن الحكم كتاب أوقفه لهذا الغرض هو كتابه « الرد على أصحاب الاثنين » ، كما قام كتاب الشيعة الاسماعيلية كأبى حاتم الرازى ، وحميد الدين الكرمانى ، بالمشاركة فى مناهضة هذه المذاهب الهدامة (١٢٢) .

(ب) أثر الصابئة فى تطور علم الكلام :

قابل الاسلام الصابئة فى : سوريا ، وبلاد ما بين النهرين والعراق ، وايران .

والصابئة (١٢٣) قوم خرجوا عن دين التوحيد ، وزاغوا فأشركوا بالله ، وعبدوا الكواكب ، ولهذا يقابل الشهرستانى بينهم وبين الحنفاء فى زمن ابراهيم عليه السلام .

(١٢٠) الغزالي : فضائح الباطنية ، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٦٤ ، والكتاب كله موقوف للرد ، انظر المقدمة بقلم المحقق .

(١٢١) الماتريدى : كتاب التوحيد ، بتحقيق الدكتور فتح الله خليف ، بيروت ، ١٩٧٠ ص ١٨٦ - ٢٠١ .

(١٢٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج١ ص ٢١٠

(١٢٣) يقال فى اللغة : صبا الرجال : اذا مال وزاغ ، وعشق وهوى وصبا ، يطلق على من خرج ومال من دين الى دين ، انظر لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف مادة صبا ، ص ٢٣٨٥ ، الشهرستانى

ولقد مرت الصابئة بأطوار عدة ، فبدأت بعبادة النجوم فيقول ابن القيم : ان الصابئة هم قوم ابراهيم الذين ناظرهم في بطلان الشرك ، وأنهم طوائف ثنئى فمنهم عباد الشمس حيث زعموا أنها ملك من الملائكة ، لها نفس وعقل ، وهى أصل نور القمر والكواكب ، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها ، وهى عندهم ملك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والدعاء (١٢٤) .

ثم انتقلوا الى عبادة النجوم برموز وأصنام ، ذلك لأنهم رأوا أن النجوم والكواكب ليست دائمة الاشراق ، من حيث هى تظهر حيناً وتختفى أحياناً ، فانقلوا من عبادتها مباشرة الى عبادتها بهيئة الرموز والأصنام ، وقد فصل المسعودى عقائد الصابئة فى هذا التطور (١٢٥) ، ثم اختلطت الصابئة بالماذاهب الفلسفية اليونانية ، والتي انتقلت اليهم ، واقتبسوا منها وبخاصة صابئة حران ، حيث عرفت مدرسة فلسفية كبيرة فى حران عرفت فى تاريخ الفكر الفلسفى الاسلامى باسم الحرائين أو الكلدانيين (١٢٦) .

الملل والنحل ، ج ٢ ص ٩٥ ، وابن الجوزى : تبيين ابليس ، دار عبر ابن الخطاب ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٧٢ ، وابن القيم : اغائة اللفهان من مكاييد الشيطان ، مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة (١٢٨١ هـ ، ج ٢ ص ٢٤٧ ، والقرطبى تفسير القرطبى ، دار الكتاب العربى القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ج ١ ، ص ٤٣٤ ، ومحمد اسماعيل ابراهيم : معجم الألفاظ والاعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٦ والصابئى من صبا وجمعها صابئة وقد وردت فى القرآن فى ثلاثة مواضع (سورة البقرة ٦٢ ، وسورة المائدة آية ٦٩ ، سورة الحج آية ١٧) .

(١٢٤) ابن القيم : اغائة اللفهان من مكاييد الشيطان ج ٢ ص ٢٤٨

(١٢٥) المسعودى : مروج الذهب ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(١٢٦) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٢٠ .

وللصابئة أربع فرق كبرى مشهورة هي : القائلون بالوسائط الروحانية والذين ذهبوا فيما يقول الشهرستاني الى أن للعالم صنعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثن والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون ، وذلك لذكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب (١٢٧) والاتصال بالوسائط الروحانية يحتاج نوعا من التطهر ، وتهذيب النفس عن الشهوة ، والاتصال بالوسائط تفيد في شفاعتهم للخلق (١٢٨) .

الفرقة الثانية : أصحاب الهياكل ، وهم زعموا أنه لا بد من متوسطات يشاهدها الانسان يتقرب بها لأن المتوسطات الروحانية ليست كذلك ، ومن ثم اتجهوا الى عبادة هياكل هذه المتوسطات الروحانية فاتجهوا الى عبادة الكواكب السبعة السيارة وجعلوا لكل كوكب دعوات وشعائر تناسبه ، واعتبروا الكواكب أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها ومنهم من جعل هيكلا الشمس رب الهياكل والأرباب وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في الكون (١٢٩) ويعبر القاضي عبد الجبار عن ذلك فيقول « وزعم الباقون منهم (أي من الصابئة) أن العالم محدث وأن له صنعا لم يزل ، غير مثبته نشيء من العالم ، حكيما لا يجهل قويا لا يعجز ، جوادا لا يبخل ، خلق الفلك حيا ناطقا سمعيا بصيرا وأنه دبر ما في هذا العالم ، وسموا الكواكب التي فيه الملائكة وكثير منهم سماها آلهة وعظموا قدرها وعبدها وبنوا لها بيوت عبادات على عدد السبعة الكواكب ، ويدعون أن بيت الله

(١٢٧) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(١٢٨) انظر : في تفصيل ذلك : المصدر السابق ، ص ٩٦ وما بعدها .

(١٢٩) المصدر السابق : ص ٩٧ .

الحرام أحدها ، وهو بيت زحل ، وإنما بقى لأن زحل يدل على البقاء والثبات وطول المدّة» (١٣٠) .

والفرقة الثالثة ، أصحاب الأشخاص ، أى الذين اتخذوا وسائل مرئية ، فاتخذوا أصناما مصورة على صور الهياكل السبعة (١٣١) .

والفرقة الرابعة الحرنانية (١٣٢) وهم الذين خلطوا عقائد الصابئة بالمذاهب الفلسفية ، ويقول ابن النديم عنهم أن قولهم فى الهيلولى ، والعنصر ، والصورة ، والعدم ، والزمان ، والمكان والحركة كما قال أرسطو طاليس فى سمع الكيان (١٣٣) .

(١٣٠) القاضى عبد الجبار ، المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ص ١٥٢ .

(١٣١) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ .

(١٣٢) يرى البيرونى أن هؤلاء الحرنانية ليسوا من الصابئة على وجه الحقيقة ويذهب الى أن الصابئة الحقيقية هم الذين وضعوا مذهبا ممتزجا بين اليهودية المجوسية (انظر البيرونى الآثار الباقية ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧) ويذكر ابن النديم أن ، الحرنانيين هم المعروفين فى عصره بالصابئة . وقد سموا بهذا الاسم لينجوا من القتل الذى توعدهم به الخليفة المأمون بعد أن شك فى أنهم زنادقة وخيرهم بين الدخول فى الاسلام أو فى دين من الأديان التى ذكرت فى القرآن أو القتل فتسموا بالصابئة ، بناء على فتوى فقيه من أهل حران اقترح عليهم ذلك ، على اعتبار أن الصابئة من الملل التى ذكرت فى القرآن الكريم (انظر الفهرست : ص ٣٢٠) .

(١٣٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣١٩ ، وهو ينقل هذا عن الكندى الذى كان معجبا بهم والذى ينقل عنه ابن النديم قوله انه نظر فى كتاب يقدهه هؤلاء القوم وهو مقالات لهرمس فى التوحيد كتبها لابنه على غاية من النقاية فى التوحيد لايجد الفيلسوف اذا اتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها (المصدر السابق : ص ٣٢٠) . من المعروف أن الكتابات الهرمسية هى من أعمال امونيبوس ساكاس ، فنكون هنا امام مدرسة أفلاطونية محدثة فى حران (انظر : الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١

ويعرض لنا القاضي عبد الجبار عقائد الصابئة ، والتي وقف منها المتكلمون موقف الرد والتفنيد ، وساعدت على تطوير علم الكلام سواء بإضافة موضوعات جديدة ، أو اصطناع طرق جديدة للرد عليهم وبخاصة أن الصابئة الحرنائية اتصلت بالفلسفة اليونانية .

فقد اختلفوا مع الاسلام في نظرتهم الى العالم ، فزعم بعضهم أن مادة العالم قديمة هي الهيولى .

وقال بعضهم أن الكواكب عاقلة وهي الملائكة ، وكثيرا منهم سموها آلهة وعظموا قدرها ، وعبدوها ، ونسبوا اليها الفعل والتدبير ويقولون بحياتها وبنوا لها بيوت العبادة .

واختلفوا في الصفات الالهية ، فقالوا ان الله لا يوصف الا بالنفي دون الاثبات لئلا يقع به تشبيهه .

وأنكروا البعث ، كما أنكروا الثواب والعقاب (١٣٤) وهكذا اختلفوا مع الاسلام في مسائل كثيرة : القول بقدم العالم ونفي النبوة ، والقول بروحانية الكواكب فضلا عن ألوهيتها والاختلاف في الصفات الالهية ، وانكار البعث والثواب والعقاب بناء على نظريتهم المادية .

ص ٢٣٩) ونرى فيها ذكره القاضي عبد الجبار ما يفيد ان الحرتيين ليسوا من الصابئة القديمة كما ذكر البيروني وانهم سموا بذلك اعتصاما من القتل وأوهبوا انهم صنف من النصارى ويرى ان ، ما قصده الفقهاء من الصابئة والذين اعتبروهم في حكم اهل الكتاب قد انقرضوا وأن هؤلاء أوهبوا موافقتهم لهم اعتصاما من القتل (انظر : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ص ١٥٠) .

(١٣٤) القاضي عبد الجبار : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ص ١٥٢ .

ولهذا هب المتكلمون لمواجهة هذه المسائل ، والرد عليها (١٣٥) .

(ج) أثر الديانات الهندية فى تطور علم الكلام :

اتصل المسلمون بالهند بحرا عن طريق البصرة ، وبراً عن طريق فارس ، ووقفوا على دياناتهم الكبرى (١٣٦) ونخص منها بالذكر هنا البراهمة ، لما لهما من أثر واضح فى تنشيط المذاهب الكلامية .

١ - علم الكلام والبراهمة :

للبراهمة عقيدتان كان لهما أثر واضح فى اثراء الدراسات الكلامية :

الأولى : القول بتناسخ الأرواح . وهو قول له أهميته عندهم وسمة تميزهم عن غيرهم من أصحاب الملل ، ويرتّبوا عليها بقاء النفس بقاءً أبدياً وانتقالها الدائم من بدن الى بدن ، وهى فى انتقالها فى الأبدان المختلفة تترقى أى تنتقل من البدن الأول الى الأفضل دون أن يكون العكس . وارتبط الثواب والعقاب أى تفسير الجنة والنار بالتناسخ (١٣٧) .

(١٣٥) انظر بعض نماذج من هذه الردود عند ابن حزم فى الفصل ج ١ ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ ، والقاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ الشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٩٥-١٤٢ وغيرهم .

(١٣٦) يعد من أحسن ما نقل الينا عن ديانات الهند الكبرى نقلاً موضوعياً دقيقاً ما كتبه البيرونى فى كتابه « تحقيق مالهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مزدولة » وانظر أيضاً : الدكتور أحمد شلبى مقارنة الأديان أديان الهند الكبرى ، الجزء الرابع الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ م .

(١٣٧) البيرونى : تحقيق مالهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مزدولة ص ٣٩ - ٤٠ .

وقد وقف المتكلمون من القول بالتناسخ موقفا عدائيا لأنه يرتبط
بتفسيرات خاطئة للثواب والعقاب وقاوموا كل من تسرب اليه القول
بالتناسخ • مقاومة عنيفة لا هوادة فيها فقام البغدادي (١٣٨) •
وابن حزم (١٣٩) •• وابن الجوزي (١٤٠) وغيرهم بمقاومتهم والرد عليهم
ردودا مطولة •

الثانية — القول بانكار النبوة :

لقد اشتهر عن البراهمة القول بانكار النبوة ، وقد عرض لمذهبهم
في هذا الصدد فريق من المتكلمين كالباقلائي (١٤١) وابن حزم (١٤٢)
وابن الجوزي (١٤٣) •

ويرى هؤلاء المتكلمون أن البراهمة أنكرت النبوة بحجة أن بعثة
المرسل تتنافى وحكمة الله تعالى ، لأن الحكيم لا يبعث رسولا الي
قوم يعلم أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته ، فضلا عن أن بعثة المرسل
إذا كانت قد جاءت لخراج الناس من الضلال الي الايمان ، فان الحكمة
تقضى بأن يفطر الناس على الايمان غير أن أهم حجة لهم هي استغناؤهم
بالعقول عن الأنبياء ، ذلك لأن الذي يأتي به المرسل والأنبياء إما ان
يكون معقولا ، واما أن لا يكون معقولا ، فان كان معقولا ، فقد كفانا

(١٣٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٣ •

(١٣٩) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج ١ ص ٩٠-٩٣

(١٤٠) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص ٧٧ — ٧٨ •

(١٤١) الباقلائي : التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة
الخوارج والمعزلة ، ص ١٠٧ •

(١٤٢) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والتحلل ، ج ١ ص ٦٩، ٧٩

(١٤٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص ٦٣ — ٧٥ •

العقل التام بادراكه والوصول اليه فلا حاجة لنا الى الرسول ١٩ وان لم يكن معقولا ، فلا يكون مقبولا ، اذ قبول ما ليس بمعقول ، خروج عن حد الانسانية ، ودخول في حد البهيمية (١٤٤) .

ولقد أورد المتكلمون ردودا مطولة على هذه الأدلة ينصرون من خلال ردودهم النبوة وضرورة ارسال الرسل والأنبياء ، مبينين أن العقل بمفرده لا يكفي في هداية البشر ، وأن الاضطرار الى الايمان يفوت حكمة التشريع ، كما يلغى حكمة التفاوت بين الناس .

ويبدو أن البراهمة لم يقولوا بانكار النبوة ، وانما قالوا بأن باب النبوة مفتوح ، فالعقل يمكن أن يحل محل النبوة .

وقد أورد النويختي في كتابه « الآراء والديانات » ما يشير الى أن رسولهم ملك آتاهم في صورة البشر من غير كتاب وأمرهم أن يعبدوا البقر (١٤٥) وكذلك أورد البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند في مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » فصلا عن السنن والنواميس والرسائل ونسخ الشرائع ، يشير فيه الى أن لهم رسلا (١٤٦) .

ويبدو أن قولهم بأن باب النبوة مفتوح ، ذلك لأنهم يؤمنون بنبوة آدم ، وهو نبوة حقيقية ، ويرون أنه أوصى بها الى ابنه شيث ، والذي أوصى بها الى واحد من ولده ، ثم يقودون وصيته بالأوصياء اليهم ، وهذا شبيه بمذاهب الرافضة في قولهم بالأوصياء (١٤٧) .

(١٤٤) ابن جزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج ١ ص ٦٩ ، ٧٠

(١٤٥) الدكتور عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام

ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(١٤٦) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٤ - ٧٧ .

(١٤٧) بيتس : مذهب الذرة عند المسلمين ص ١١٩ - ١٢٠ هامش (٢)

وهكذا أصبح مبحث النبوة من أهم مباحث علم الكلام ، فقام المتكلمون بتنفيذ قول منكرى النبوة وجاحتها ، مبينين حاجة البشر الرسل ومؤكدين استحالة استغناء العقل عن السمع بل دعاهم هذا الى أن يخوضوا فى موضوعات تتعلق بشكل ظاهر بنظرية المعرفة ليؤكدوا استحالة خطأ المعرفة الشرعية ، فى حين أن العقل أو الحس قد يصيبه الخطأ والغفلة والنسيان .

واجه علم الكلام دينا من ديانات الهند وهو دين البراهمة يثير مشكلات تتعلق بالثواب والعقاب ، والعدل الالهى وانكار النبوة ، فكان طبيعيا أن يخوض فى تلك الموضوعات ، وأقام بناء على أسس عقلية ونقدية نظرياته : فى العدل الالهى وما يتفرع عليه من ثواب وعقاب ، واستدلال على النبوة ، وصدقها وحاجة البشر اليها ، واستحالة استغناء العقل عن الشرع . * * * وتلك كانت موضوعات جديدة توقتت بشكل دقيق ، لم تكن على عهد السلف الأول فى صدر الاسلام .

٢ - علم الكلام والسمنية :

ينسب السمنية الى « سومنات » وهو صنم قدسه أهل الهند وقد أحرقه السلطان محمود بن سبكتين بعد غزوه للهند ، وقد عرفها المسلمون تحت اسم البددة ، نسبة الى البدد وهو الصنم (١٤٨) .

(١٤٨) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، مادة بددة وهى جمع بد ، وهنا يتساءل الدكتور النشار : هل الهند يتجهون فى عبادتهم الى الصنم ، أم المقصود به صورة البارى أو صورة رسوله ؟ ، أو صورة « بوداسف الحكيم » أى صورة بوذا صاحب المذهب البوذى ؟ ويعتبر ابن سبعين الصوفى المعروف قد تأثر بفكرة اليد ويعتقد أنه قد تأثر بهم وأقتفى أثرهم اسما ومعنى فى كتابه « بد المعارف » (نشأة التفكير الفلسفى ج ١ ، ص ٢٢٠) ، وقد اورد استاذنا الدكتور التفنرانى فى كتابه « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » الآراء المختلفة فى شأن ما تعنيه تسمية هذا الكتاب وينتهى الى القول =

وقد حدد لنا البيروني أماكن انتشارها في العالم الإسلامي فكانت في : خراسان ، وفارس ، والعراق ، والموصل حتى حدود الشام القديم .

ويحدد لنا عقائدهم فيذهب الى انهم يقولون في الخلق انهم يرون قدم المادة فليسوا يعنون بالخلق ابداعا من لا شيء وانما يعنون به الصنعة فيح الطينة واحداث تأليفات فيها ، وصورة وتدابير مؤدية الى مقاصد وأغراض ، ولذلك يضيفون الخلق الى الملائكة والجن ، بل الأنسب ، اما قضاء الحق منهم ، واما تشقيا بسبب الحسد ، والتنافس . . . فلم يحصل خلق الموجودات ، وجود طينة لم تكن ولا عند الفناء فناء طينة قد كانت .

ويتضح من هذا انهم ينزعون في تفسير الخلق تفسيراً مادياً فضلاً عن انهم يخالطونه بتصور أسطوري خرافي الى حد بعيد (١١٦) .

وتتضح هذه النزعة المادية اذا ما أضفنا اليها رأيهم في المعرفة ، وهي عندهم لا تتجاوز الإحساس ، ومن ثم ينكرون ما وراء ، الحس ، أي ما وراء عالم الشهادة من عالم الغيب ، ومن هنا ينكرون وجود الله .

وهكذا ينتهي مذهب السمنية الى مذهب قائم على نزعة مادية شكية ، لا ترق الى ادراك الأمور المجردة .

= بيان الشواهد من كلام ابن سبئين على استخدام «البدن» بمعنى المعبود وهو الله ، كثيرة ، ويذكر ان ابن سبئين قد وجد في الزبور مصدراً لاستخدام هذا اللفظ . وبناء على ما ذكره الدكتور التفتازاني يمكن ان تطمئن الى ان ابن سبئين ما كان مقتنيا آثار البوذية لا في اسم الكتاب ولا في معناه انظر تفصيلاً : الدكتور التفتازاني : ابن سبئين وفلسفته الصوفية ، دار الكتاب البناني ، بيروت ، المطبعة الأولى ١٩٧٣ م ، ص ٩٨ - ١٠٥ .

(١٤٩) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو

مرذولة ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٧ .

ولا شك ان فى هذا مخالفة للاسلام وعقائده ، ومن هنا تعاوم
 المتكلمون السمنية ، منذ البواكير الأولى لظهور علم الكلام ، فلقد
 حملت اليينا المصادر مناقشة الجهم بن صفوان لهم ، فيحكى لنا
 ابن المرتضى ان بعض السمنية قالوا لجهم بن صفوان • هل يخرج
 المعروف عن المشاعر الخمسية ؟ قال لا ، فقالوا : فحدثنا عن معبودك ،
 هل يعرف بأبيها ، قال : لا ، فقالوا فهو اذن مجهول فسكت وكتب بذلك
 الى واصل بن عطاء ، فأجابه واصل على ذلك بان هناك وجهها سادسا
 للمعرفة ، هو الدليل الذى يميز به الانسان بين الحي والميت ، وبين
 العاقل والمجنون ، فلما قال ذلك جهم للسمنية ، قالوا : ليس هذا
 من كلامك فأخبرهم ، فخرجوا الى واصل وكلموه ، وأجابوه الى
 الاسلام (١٥٠) •

ولقد ناظر عمرو بن عبيد جريز بن حازم الازدى السمنى (١٥١)
 وهكذا أثار قول السمنية ، الدفاع عن وجود الله ، وخلق العالم والبحث
 فى نظرية المعرفة للقضاء على هذه النزعة الشكية المادية كل هذا
 أضاف جديدا الى موضوعات علم الكلام •

(١٥٠) ابن المرتضى : المنية والامل فى شرح الملل والنحل ، ص ١٧ ص
 ٢٠ ، ص ٢٥ ، وأبو القاسم البلخى : مقالات الاسلاميين باب ذكر المعتزلة
 اكتشافه وحقيقه ، فؤاد السيد ، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة
 بتحقيق فؤاد السيد ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ ، ص ٦٧ ،
 والقاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٢٢٧ ، ويبدو
 انه هو الكتاب الذى نزل عنه ابن المرتضى ، مع اضافات يسيره ، كما ذكر
 ذلك أيضا ابن حنبل : الرد على الزنادقة والجهية ، بتحقيق الدكتور على
 سامى النشار ، وعبار الطالبى ضمن كتاب : عقائد السلف ، منشأة المعارف ،
 الاسكندرية ، ١٩٧٠م ، ص ٦٥ — ص ٦٦ •

(١٥١) محمد صالح : عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ، ص ٧٥ — ٧٦ •

ومن هنا يمكننا القول بان مواجهة المسلمين لأصحاب الملل والاهواء والنحل دعوتهم الى مناقشة مشكلات تتعلق بوجود الله وخلق العالم ، والنبوة ، والتكاليف ، والثواب والعقاب ، والبعث فهي موضوعات تتعلق بالمعرفة ... كل هذا بلا شك أدى الى تطور علم الكلام ، باضافة مباحث اليه ، فتوسعت موضوعاته ، كما أدى الى ضبط مناهجه واحكامها حتى تفي بحاجات الرد والدفاع .

وأخيرا تعقب المتكلمون أيضا ديانات العرب فى الجاهلية حيث تسرب من خلالها تصورات خاطئة عن وجود الله وتفسير العالم (١٥٢) والتي اتسمت بأنها تصورات سطحية ساذجة لا تخلو من طابع أسطورى ، ذو منازع مادية ، فقابل المتكلمون مذاهب كالدهرية والتي قامت على نزعة شكية سادت بين معتقيه وحالت بينهم وبين الايمان بالخلق والخلق ، فأفكروا الصانع المدير للعالم زاعمين ان العالم لم يزل موجودا ، كذلك بنفسه لا يصانع ، فلم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون ابدا ، فلا شئ خارج النطفة ، فهي مكثفية بنفسها عن خالق يوجدها (١٥٣) .

والغالب ان الايمان بالدهر من ديانات الفرس القديمة والتي

(١٥٢) يعد من أهم المصادر فى بيان ديانات العرب فى الجاهلية بجانب القرآن الكريم الذى أخبر بوجود هذه الديانات (سورة الحج آية ١٧) انظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٢١ واليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، النجف ، ١٣٥٨ هـ ج ١ ، ص ٢١٤ والشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، وما بعدها ومن المصادر الحديثة ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ج ٥ ، ج ٦ .

(١٥٣) الشريف المرتضى : امالى المرتضى ، طبعة الخانجى ، القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م ، الطبعة الاولى ، ج ١ ، ص ٨٥ .

الغيت فيها النظرة الاثينية فى نشأة العالم فجعلوا الدهر هو المبدأ
الأسمى ، فهو عندهم عين القدر ، والفلك الأعظم ، أو حركة الأفلاك (١٥٤) .

ولقد ساد هذا الاعتقاد بين العرب قبل الاسلام ، حيث صوره
القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر » (١٥٥) ، ولقد استمرت هذه النزعة الشكية بعد
الاسلام وتصدى لها المتكلمون ومازالت لها بقايا فى عالمنا المعاصر
متمثلة فى المذاهب المادية فى تفسير الوجود .

وعلى هذا يمكن الانتهاء الى النتيجة التالية : ان علم الكلام

علم اسلامى بحت ، نشأ من النقاش الذاتى حول القرآن الكريم
وتلبية لحاجة عصره ، بالمشاركة فى حل مشكلاته ، ومتصديا للدفاع
عن الاسلام ، وهو فى سبيل آداء مهمة الدفاع ، قابل الديانات المخالفة
والاهواء والنحل المتباينة والتي شملها الاسلام وبسط عليها نفوذه
واستبك معهم ، هذا الاشباك أدى الى توسيع موضوعه .

كما ان المتكلمين أيضا استفادوا بكل مصدر ممكن فى سبيل الرد
والدفاع فراحوا يدعمون مناهجهم الدفاعية ، بكثير من الوسائل الفلسفية
والمنطقية ، لأبراز ماكمن فى الدين من أدلة قاطعة ، على تهافت مزاعم
أصحاب هذه الديانات فأظهروا الاسلام بمظهر التحدى لهذه المذاهب
المخالفة - خاصة وان هذه المذاهب كانت متسلحة بالوسائل المنطقية
والمذاهب الفلسفية والتي استعانوا بها على صياغة مذاهبهم فأتجهوا
الى الاطلاع على الفلسفة اليونانية والمنطق . ولقد كان لذلك الاطلاع
أثره فى تطور علم الكلام .

(١٥٤) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ص ١٢ .

(١٥٥) سورة الحاشية : آية ٢٤ .

وهكذا كان من أهم عوامل نشأة علم الكلام وتطوره ، هو التصدى لهذه التيارات العاتية ، وليس أدل على ذلك من اجماع المدارس الكلامية الكبرى - برغم اختلافها فيما بينها - على ذلك الهدف ، وهو الدفاع عن الاسلام فى مواجهة التيارات الثنوية الغنوصية واضطربهم هذا الهدف على اتخاذ كل وسيلة ممكنة لتحقيقه فكان لابد لهم من دراسة هذه المذاهب وفهمها ، وذلك لأن النقد بلا دراسة كضرب فى عمية ، على حد قول الامام الغزالي ولقد قاموا بهذا العمل خير قيام ، ففرقوا بين مذاهب الثنوية المختلفة واستعانوا بالفلسفة اليونانية فى صد هجماتها .

* * *

ثالثا - أثر الفلسفة اليونانية فى تطور علم الكلام :

كان لانتقال الفلسفة اليونانية والمنطق (١٥٦) أثرهما فى تطور علم الكلام ، بعد مواجهته للمسيحية التى كانت متسلحة بالفلسفة

(١٥٦) للوقوف على دخول الفلسفة اليونانية الى العالم الاسلامى يمكن الرجوع الى المصادر الحديثة التالية ، وفيها اشارات الى المصادر القديمة ، ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، نشرها ضمن مجموعة لبحاث بعض المستشرقين ، تحت عنوان التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٣٧ - ص ١٠٠ ، وبكر : تراث الاوائل ضمن هذه المجموعة ، ص ٣ - ص ٣٢ ، وهما باحثان لهما قيمتها فى بيان عمق الاثر اليونانى أو سطحيته بالنسبة لروح الحضارة الاسلامية ، وبهما معلومات قيمة عن راکز الثقافة اليونانية فى العالم الاسلامى ، واوليرى : علوم اليونان ، وسبيل انتقالها الى العرب ، وهو يوضح دور المراكز الثقافية اليونانية ، ودور السريان ، واثر الشراح والافلاطونية المحدثة ، وحركة الترجمة . ودى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، ص ١٩ - ص ٤٨ ، والدكتور ماجد فخرى : تاريخ الفلسفة الاسلامية ،

والمنطق ، وكذلك المذاهب التي جاءت من الهند وفارس وسواهما من أقاصي أقاليم الدولة الإسلامية ، وكذلك أيضا في مقاومته لتيار الزندقة ، الذي قام أصحابه على اختلاف مشاربهم متفاوتين قوة وضعفا ، زاعمين انهم يدافعون عن الحرية الفكرية ، معتمدين على أعنف المذاهب مخالفة للإسلام من : الزدكية ، والمانوية والذهرية . . . فاطلع المتكلمون على هذه الفلسفة الوافدة للاستعانة بها في الرد على المخالفين الذين كانوا — في معظمهم — على علم بهذه الفلسفة — كما بينا — فاتخذوها وسيلة لا غاية — وسيلة أعانتهم — في حالات كثيرة — على صياغة دفاعهم ضد مخالفينهم ، كما استعانوا ببعض أفكارها ومصطلحاتها ، بعد أن خلصوها من مفاهيمها اليونانية ، حتى لا تتعارض مع العقيدة .

اكتسب علم الكلام بذلك تحديدا لمسئلة ، وتعميقا لمباحثه وقد أدى هذا الاطلاع ، الى حدوث نوع من المزج بين موضوعات علم الكلام ، وبعض موضوعات الفلسفة ، مع اصطلاحات مصطلحات

الدار المخذة للنشر ، الترجمة العربية للدكتور كمال اليازجي ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ — ص ٤١ والدكتور ابراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، ج ٢ ص ٧٨

على أنه تجب الإشارة الى أن نقل الفلسفة اليونانية الى العالم الإسلامي ، لم يكن نقلا دقيقا ، في بعض اجزائه فقد حدث خلال النقل ، بعض الاخطاء العلمية ، وحرقت بعض المذاهب ، واختلطت بمذاهب أخرى ونسبت مذاهب لغير أصحابها ، ولم يكن المسلمون هم المسئولين عن كل هذا فقد نقلت اليهم المذاهب في هذه الصورة ، عن طريق السريان ، ولم ينتبه فلاسفة الإسلام فيما بعد — الى هذا الخط ، ولعل هذا ما دفع الفارابي الى أن يوفق بين أفلاطون أرسطو ، بعد أن نقل اليهم أرسطو مثلثوبا بالأفلاطونية المحدثة ، انظر : الدكتور على سامي النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ج ١ ، ص ١١٠ — ص ١١١ .

الفلاسفة ، كالجوهر والعرض واحكامها وطبائع الموجودات * * وغير ذلك من المسائل ، التي قد يكون لبعضها فائدة من حيث تقرير العقائد على وجه عقلى * .

وقد أدى هذا المزج الى خلط موضوعات علم الكلام بالفلسفة عند المتأخرين فيقول ابن خلدون : « ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ، والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفئتين من الآخر ، ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم ، كما فعله البيضاوى فى الطوالع » (١٥٧) ومن جاء بعده من علماء العجم فى جميع تأليفهم * .

(١٥٧) يقول ابن خلدون ايضا : « واول من كتب فى طريقة الكلام على هذا المنحى (المنحى الفلسفى واستخدام المنطق الارسطى بدلا من المنطق الاصولى ، الذى يعتمد عليه الفقه) الغزالى رحمه الله ، وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا اثرهم ، واعتمدوا تقليديهم ، ثم توغل المتأخرون من بعدهم فى مخالطة كتب الفلسفة ، والتبس عليهم شأن الموضوع فى العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما » .
(المقدمة ص ٦٦) .

وفى الحقيقة انه منذ عصر الغزالى بدأ علم الكلام ينحى هذا المنحى فى استخدام التقسيمات الذهنية فى معالجة المشكلات الكلامية والتوسع فى استخدام مصطلحات الفلسفة ، الى ان صار عند المتأخرين ابتداء من الرازى (ت ٦٠٦ هـ) — فلسفيا بشكل ظاهر ، فالنظر فى كتاب « محصل افكار المتكلمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » (القاهرة ، المطبعة الحسينية بدون تاريخ) يجد ثلاثة ارباع الكتاب (الاولى) هوقوفة للدلالة على صلة الاستدلال بالعلم ولبيان حقيقة الجوهر والعرض الى ما سوى ذلك من موضوعات فلسفية ومنطقية فهو يقسم كتابه الى اربعة اقسام (اركان) .

الاول : التمهيدات : وفيها يتناول المعلومات الاولى وتشمل الكلام : فى التصور والتصديق ، وآراء فى الحكم التصديقى سواء اكان جليا فى ذاته =

وفى الحقيقة ان التعبيرات الفلسفية ، بدأت تنتشر فى تراثنا الكلامى منذ أبى الهذيل العلاف (المتكلم المعتزلى) ومن تلاه من متكلمي المعتزلة ثم متكلمي الأشعرية ، المتقدمين الى ان ، انتهى الأمر الى هذا الخلط بين مباحث الفلسفة والكلام عند المتأخرين .

وقد أثار هذا الامتزاج والخلط ، بين الكلام والفلسفة ، الشك فى أصالة علم الكلام ويهمننا أن توضيح هذا الأمر بشيء من التفصيل :
يمكن القول بأن هناك أموراً تفسر هذا المزج بين علم الكلام والفلسفة يمكن أن نشير الى بعض منها فيما يلي :

أولاً : كانت الفلسفة اليونانية والمنطق ، من أهم الأسلحة التى استعان بها خصوم الاسلام وبخاصة المسيحيين وأصحاب الديانات الفارسية فكان على علماء الكلام أن يستخدموا نفس السلاح . فراحوا يدعمون أنفسهم بكثير من الوسائل انفسية والمنطقية ، لابرار ماكن

أم مكتسبا ، ثم تناول أحكام الفطر ، ثم تعريف الدليل ، والركن الثانى : يتناول فيه أحكام الموجودات : تصور الوجود والعدم بديهى ، الوجود صفة تطلق على الموجودات بالاشتراك فى الاسم . وثانياً : الكلام فى المعدوم . وثالثاً : نفي الاحوال ، والقسم الثالث : وهو بحث فى الالهيات ، وهو يعتمد فيه على العلم الالهى العقلى ، مستدلاً عليه بالادلة النقلية ، والقسم الرابع السمعيات فبهذا يكون معظم الكتاب مشتملاً على موضوعات فلسفية .

ويعد الرازى بقرن نجد كتاب البيضاوى — الذى ذكره بن خلدون وهو كتاب « طوابع الانوار » (طبعة القاهرة المطبعة الخيرية ١٣٢٣ — ١٦٠٥ م) فنرى الفلسفة قد سيطرت على اجزاء كثيرة وهامة فى المباحث الكلامية فكتاب البيضاوى يشير الى مدى الانتصار الذى حققته الفلسفة فى علم الكلام ، فنجد خلطاً واضحاً بين موضوعات الكلام والفلسفة وهذا أيضاً ما تجده فى المواضع اللايحية (مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون تاريخ) وشرح الجرحانى عليه (بولاق ، مصر ، ١٢٦٦ هـ) وسائر الكتب المتأخرة .

فى الدين من أدلة قاطعة على صحة أصوله ، حتى يظهر الاسلام بمظهر
التحدى لهذه المذاهب المخالفة ، فلم يصدر هذا الأمر عن هوى
فى نفوسهم لهذه الفلسفة ، بقدر ما كان وسيلة معينة لهم على تحقيق
أهدافهم الدينية *

ويوضح لنا الجاحظ كيف ان استخدام الفلسفة فى الرد على
المخالفين كان ضروريا بقوله : « ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام
متمكنا من الصناعة ، ويصلح للرياسة ، حتى يكون الذى يحسن من
كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا
هو الذى يجمع بينهما » (١٥٨) وليس من شك فى ان الهدف الدفاعى
انما هو هدف دينى بحت *

ثانيا : ان هذا المزج يبدو انه راجع الى سماحة العقلية الاسلامية
فى قبول ما لا يتعارض مع العقيدة فضلا عن ان ذلك تلبية « لحاجة
عقول الجموع آنذاك الى ما هو جديد وقد تمثل هذا الجديد فى
الثقافة اليونانية الدخيلة ، والتي كانت دون غيرها على مستوى يناسب
الى حد كبير — ما وصلت اليه العقلية الاسلامية من درجة حقل
عميق بحكم تكوينها أصلا مع المفاهيم الاسلامية المنزلة » (١٥٩) ، فلقد
كان للمفكر المسلم — وقت لقائه بالتراث اليونانى ، من خلال الترجمات
— علومه التى عرفها وترعرعت نفسه فى ظلها ، وهى علوم القرآن ،
والسنة تلك العلوم التى حققت قدرا من الصقل ذهنى الرفيع
المتكامل (١٦٠) *

(١٥٨) الجاحظ : الحيوان ، بتحقيق عبد السلام هارون ، عيسى
البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٨ الجزء الثانى ص ١٣٤ .

(١٥٩) الدكتورة فوشية حسين محمود : مقالات فى اصالة الفكر المسلم
دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م — ١٣٩٦هـ ص ٢٣ .

(١٦٠) نفس المصدر : ص ٢٤ .

وهكذا لم يقبل المتكلمون على الاطلاع على هذه الفلسفة بعقل
شاو ، بل بعقل مصقول بترائه الدينى ، وهذا ما مكنهم من تطويع
هذه الفلسفة بما يفيدهم فى الاستدلال على عقائدهم ويمكن أن
نضرب مثلا للاستدلال على ما أقول بنظرية الجوهر الفرد أو الجزء
الذى لا يجزأ .

ان القول بالجوهر الفرد عند المتكلمين — ابتداء من العلاف —
له سوابق كبرى فى تاريخ الفكر الفلسفى ، لدى اليونانيين القدماء
ومذاهب الهند المختلفة (١٦١) .

فهناك نماذج متعددة لهذه النظرية ولعل أولها وأشهرها نموذج
ديموقريطس ، وأستاذه لپوقيبوس ، ثم نموذج ابيقور .

ومن المرجح أن يكون المتكلمون المتقدمون قد اطلعوا على أقوال
هؤلاء الذريين القدامى (١٦٢) وهم بصدد تدعيم أقوالهم فى الدفاع عن

(١٦١) بينس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان
والهند ومعناه فلسفة محمد بن زكريا الرازى ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادى
أبوريدة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

(١٦٢) لقد كانت هناك مصادر يونانية لمعرفة آراء اليونانيين القدماء
وتضمنت آراء الذريين (وقد ذكرتها فى بحثى عن خلق العالم عند المعتزلة وهو
البحث المقدم لرسالة الدكتوراه) ويعتد من أهم هذه المصادر : المصادر
الارسطية ، حيث عرض ارسطو لآراء السابقين عليه وأهمها كتاب
« ما بعد الطبيعة » الذى عرض فيه لمذهب ديموقريطس عرضا كاملا (ارسطو :
ما بعد الطبيعة مقال (١) فصل (٤) ، ص (٤) (ص ٩٨٥ ب) ، وفى كتابه
« الكون والفساد » (ج ١ ، مقالة (٨) ، ص ٢٣٥) . انظر أيضا (يوسف
كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٤٦ ، ص ٣٨) كما قدم فى كتاب النفس آراء الفلاسفة
السابقين على سقراط وضمينها آراء ابيقور وديموقريطس (ارسطو : كتاب
النفس نقلة الى العربية ، الدكتور أحمد مؤاد الاهوانى ، وراجعه على الأصل

= اليونانى « الآب جورج فنوتانى » عيسى البابى الحلبي ، الطبعة الثانية ،
 ١٧٨١ هـ - ١٩٦٢ م ، المقالة الأولى ، الفصل الثانى ، ص ٩ - ١٠)
 وله ترجمة أخرى قديمة قام بها اسحق بن حنين ، قام بتحقيقها ونشرها
 الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ م ، ص ٨ - ٩ ،
 وأيضا من المصادر اليونانية الهامة فى معرفة آراء هؤلاء الذين الأوائل
 كتاب فلوطرخس فى « الآراء الطبيعية التى ترضى الفلاسفة » (انظر هذا
 المصدر بترجمة قسطنطين لوقا (ت ٢٢٥ هـ) التى قام بتحقيقها ونشرها
 الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مع كتاب النفس لأرسطو انظر : ص ١٠٢ -
 ١٠٣ ، ص ١١٦ - ١١٨ ، ولقد وصلت هذه المصادر اليونانية الى
 العالم الاسلامى فى وقت مبكر ، فلقد ترجم كتاب ارسطو « فيما يقول
 ابن النديم وعرف عندهم بأربعة أسماء : ما بعد الطبيعة ، والالهيات
 والفلسفة الأولى وكتاب الحروف ، ويذهب الى ان الألف الصغرى ، نقلها
 اسحق بن حنين ، وحرف نو نقله أبو زكريا يحيى بن عدى (ت ٣٦٤ هـ) ،
 كما ان هناك نقل سابق لهذه الحروف نقله اسطاث الكندى (ت ٢٥٢ هـ
 تقريبا) ، وهكذا تكون المقالة الأولى التى تحمل آراء الذين القدماء
 قد وصلت الى العالم الاسلامى فى وقت مبكر (انظر ذلك تفصيلا :
 ابن النديم : الفهرست ص ٢٥١) . كما عرف المسلمين أيضا كتاب النفس
 الذى نقله حنين الى السريانية فى صورة تامة ونقله اسحق بن حنين
 الا شيئا يسيرا ثم نقله نقلا ثانيا جود فيه ، كما نقل شرح ثامسطيوس
 عليه كاملا ، كما كان لابن البطريق جوامع لهذا الكتاب (ابن النديم : الفهرست
 ص ٢٥١) . كما عرف المسلمون أيضا كتاب « الكون والفساد » فقد نقله
 حنين بن اسحق الى السريانى ، واسحق بن حنين الى اللغة العربية ،
 كما توجد فيما يقول ابن النديم نقول أخرى لهذا الكتاب بعد هؤلاء النقلة
 والمترجمين (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١) . وشيوع هذه المصادر
 فى العالم الاسلامى على هذا النحو ، وفى وقت مبكر يرجح اطلاع
 المتكلمون عليها ، ومعرفتهم بما جاء بها ولا دليل لدينا بقطع باطلاعهم عليها
 وكل ما ورد يشير الى اطلاع المعتزلة من المتكلمين على التراث الفلسفى
 عامة ، وهذا ما اشارت اليه كتب الفرق بصفة عامة .

الاسلام ضد الديانات والفرق التي كانت متسلحة وبكثير من أجزاء
الفلسفة اليونانية .

غير أننا فى الواقع نجد فروقا جوهرية بين قول المتكلمين
— معتزلة وأشاعرة — بالجواهر الفرد ، وقول الذريين القدماء (١٦٣)
يمكن اجمالها فيما يلى :

يرى ديموقريطس ان الوجود لا يخرج من اللاوجود ، ومن ثم
فان الذرات قديمة ، وهى لا تخضع لفناء ، فهى دائمة من حيث أن
الوجود دائم ولا ينتهى الى اللاوجود ، وهى أجسام صغيرة مختلفة
من حيث الشكل والحجم وانها متحركة بذاتها حركة أزلية ، وهى بسبب
اختلافها وحركتها على هذا النحو تكون علة لكون الأجسام .

بينما نجد الأمر يختلف عند المتكلمين ، فهم يرون ان هذه الجواهر
الفردة حادثة ، يوجدها الله ويخلقها دائما واجتماعها وانفراقها راجع

(١٦٣) يمكن الرجوع فى معرفة مذاهب اليونانيين الى المصادر
الحديثة التالية ، بالاضافة الى ما ذكرنا من مصادر قديمة
Burent : Greek philosophy from Thales to plato, London,
1943, p. 180 - 181.

Weber : History of philosophy, New York, 1928, p. 36 - 39.
والدكتور عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى ، النهضة المصرية القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٥٨ م ص ١٥١ — ص ١٥٦ ، ويوسف كرم : تاريخ
الفلسفة اليونانية ، ص ٣٨ — ص ٤١ . والدكتور على سنامى النشار
ودكتور على عبد المعطى ودكتور محمد العبودى : ديموقريطس فيلسوف
الذرة ، واثره فى الفكر الإسلامى ، حتى عصورنا الحديثة ، الهيئة العامة
للكتاب ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ص ١٠٠ وما بعدها ، والدكتور
محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ، الفلسفة اليونانية ،
دار الجامعات المصرية الاسكندرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٤ ، ج ١ ،
ص ١٠٦ — ص ١٠٨ .

الى ارادته تعالى ، من حيث أن تكون الأجسام وفسادها ، راجع اليه تعالى ، فليس لشكل الجوهر أو ثقله ذلك الدور الذي يلعبه في النظرية الذرية اليونانية ولعل هذا ما دفع ببيزيتزل الى القول : بان فكرة الجوهر الفرد لدى المتكلمين لا يمكن ردها الى مصدر يوناني .

يضاف الى هذا ان المذهب الذري عند ديموقريطس يعد مذهباً طبيعياً يرمى الى تفسير شامل للكون تفسيراً مقصوداً ، لذاته — تتحكم فيه الآلية المطلقة البحتة فتشمل : مصدر الذرات ، وحركتها التي توصف بها منذ القدم ، وعلى هذا النحو تصبح الجواهر الفردة عنده مبادئ طبيعية في حدوث الأشياء وفنائها .

في مقابل ذلك نجد مصدر الذرات عند المتكلمين هو الله تعالى وهو الكائن العاقل ، الذي يخلق هذه الجواهر ويقوم بتحريكها وتسيكيتها ، وبارادته يتم تأليفها وافتراقها ومن هنا كان بحثهم في الجوهر غايته غاية دينية في الاستدلال على حدوث العالم وعلى قدرة الله تعالى المطلقة واثبات علمه تعالى الأزلي الذي يحيط بالموجودات احاطة شاملة ولا تنتم هذه الاحاطة والشمول م الا اذا كانت الموجودات متناهية (١٦٤) .

وهكذا نجد عقلية المتكلمين وقد صقلت الصقل الاسلامي قد تخلصت من سيطرة هذه النظرية الذرية القديمة الوافدة وأنشأت — بفكر اسلامي أصيل — نظرية جديدة — وان شابته النظرية القديمة في الاسم والشكل — ليس فيها مجال لتصورات ، كالأزلية ، والقدم ، والمصادفة الآلية م تلك التصورات التي لعبت دوراً خطيراً في النظرية الذرية اليونانية ، كما أن الخلاء وهو عنصر أساسي في هذه النظرية ، لا نجد له ضرورة في قول المتكلمين بتأليف الأجسام من الجواهر الفردة .

(١٦٤) انظر تفصيلاً مشكلة خلق العالم عند المعتزلة رسالة دكتوراه للباحث تحت اشراف الدكتور ابو الوفا التفنازاني « الفصل الثاني » .

ويمكن القول : بأن المتكلمين اطلعوا على ما ذكره الذريون القدماء ، واستفادوا بأصول النظرية ، غير انهم قاموا بصياغتها صياغة اسلامية ، لا تتلاءم والعقيدة فحسب ، بل لكي تكون أساسا أيضا للبرهنة على بعض أصول العقيدة ، ومن ثم كان لزاما عليهم أن يجروا عليها تعديلات جوهرية حتى أضحت في صورتها الاسلامية ، لا تماثل مصدرها الأول وأصبحت عندهم سبيلا الى تفسير خلق العالم تفسيرا اسلاميا خالصا أسعفهم في هذا تقدمهم الفكري ، بفعل صقل المصادر الاسلامية لفكرهم وهذا مما يشير الى أن مستواهم الفكري كان يفوق مستوى الفلسفة اليونانية ، لأن هذا المستوى لو كان أضعف لحدث العكس ووقعوا تحت تأثير هذه الفلسفة الوافدة بشكل تام لا يملكون اجتهادا أو تعديلا .

ولعل هذه الاضافات والتعديلات على النظرية القديمة هي التي دعت كل من بينس ، وبريتزل الى القول : بان مذهب المسلمين في الجزء غير مأخوذ من اليونانيين (١٦٥) .

(١٦٥) يمكن الرجوع الى المصادر التالية لبيان اقوال المتكلمين في الجوهر الفرد وبيان غايتهم منها : الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين بتحقيق محمد محيي الدين ، النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ج ٢ ص ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٩٠٨ ، ١٢٠٤ ، ١٤٠٤ ، ١٥٠٤ ، ١٦٠٤ ، ٢٧٠٤ ، ٢٨٠٤ ، والخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندي ، بتحقيق نبيرج ، مع مقدمة له بقلم المحقق ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ٣٢ وما بعدها ، ص ٩ - ١٠ ، والبغدادي : الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ، طبعة بالأوفست ، ١٩٧٣ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٨ ، وأصول الدين ، طبعة استانبول ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ ، ص ٣٦ ، ٥٠ ، ٩٤ ، ١٣٥ ، والرازي : المباحث الشرقية حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، ج ٢ ص ٩ ، وابن مثنوية : التذكرة في أحكام الجواهر والاعراض ، تحقيق الدكتور سامي نصر ، =

ثالثاً : إذا كان المتكلمون قد استخدموا بعض مصطلحات الفلسفة وشاعت في تراثهم ، فلا يعنى هذا أنهم استخدموها بمفهومها القديم في التراث اليونانى ، إنما يعنى أنهم خلصوها من هذه الدلالات القديمة لتتلاءم مع التراث الإسلامى وجاء ذلك بناء على فهمهم الواعى والدقيق لرامى هذه المصطلحات فى تراثها ومخالفتها لتراثهم ؛ لكن لم يكن هناك يد من استخدامها ، ذلك لأن خصومهم واجهوهم بها ، فكان عليهم استخدامها .

فاستخدامهم لمصطلح كالجوهر والعرض جاء من أجل بناء نسق عقلى يقوم على مقدمات تنتهى بهم الى اثبات حدوث العالم وهذا يخالف استخدامها فى التراث اليونانى ، والذى استخدمها لتفسير العالم تفسيراً عقلياً ، ينتهى بهم الى القول يقدم العالم وانكار خلقه (١٦٦) .

= ودكتور فيصل عون ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، مواضع كثيرة ، وبينس : مذهب الذرة عند المسلمين ومعه مقالة اوتوبيريتزل : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الاوليين فى الاسلام بحيث فى مسألة العلاقة بين علم الكلام الاول والفلسفة اليونانية ص ١٣٧ والنيسابورى : المسائل فى الخلاف بين اليفغاديين والبصريين نشر بىرام ، القسم الخاص بالجزء الذى لا يتجزأ ليدن ١٩٠٢ م . بينس : مذهب الذرة عند المسلمين انظر ص ٨ ، ٩١ ، وما بعدها ، ص ١٣١ وما بعدها .

(١٦٦) انظر ذلك تفصيلاً فى المقال القيم الذى كتبه الدكتورة فوقية حسين ضمن كتابها : مقالات فى أصالة الفكر المسلم وهو بعنوان « الفكر المسلم والواقع » ص ٢٣ - ٤٨ . على أنه يمكن القول بان أبرز أدلة المتكلمين على حدوث العالم كانت تعتمد على مصطلحى الجوهر والعرض انظر : دليل دعاوى الأربعة عند المتكلمين فى المصادر التالية : القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، حقه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٥ ، ص ٣١ - ٩٦ ، والمجموع من المحيط بالتكليف فى العقائد ، جمع الحسن بن متونة ، تحقيق =

رابعا : لقد جاء هذا الخاط - بين الفلسفة وعلم الكلام - لأن المتكلمين وقفوا من الفلسفة موقف المهجوم ويعبر سعد الدين التفتازانى عن هذا بقوله : لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الاسلاميون ، حاولوا (أى علماء الكلام) الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة

= عبر السيد عزمى ، ودراجمه الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ١٩٦٠ ، ص ٤٦ . وما بعدها والمختصر فى أصول الدين بتحقيق محمد عمارة ، ضمن رسائل العدل والتوحيد دار الهلال القاهرة ، ١٩٧١ م ، الجزء الأول ، ص ١٧٤ وما بعدها والنيسابورى : ديوان الأصول فى التوحيد ، تحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ م ، الأبواب الأولى من هذا الكتاب تكاد تكون موقوفة كلها على هذا الدليل .

وابن متوية : التذكرة فى أحكام الجواهر والاعراض ص ٨٨ وما بعدها ومن متكلمى الأشعرية : الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة ، والمعطلة والرافضة والخوارج ، والمعترلة ، ص ٤١ وما بعدها ، وأيضا : رسالة الحرة نشرها الكوثرى تحت اسم « الانصاف فيها يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به » وانظر استدلال الجوينى فى كتابه « الارشاد الى فواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٩٥٢ م ص ٣٦ - ٣٧ ، وأيضا « الشاهل فى أصول الدين » ، هلموت كلويفر ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م ص ١٠٣ وما بعدها . . وغيرهم .

كما يمكن القول أيضا بأن للقرآن الكريم اثره فى تدعيم مصطلح العرض ، فقد ورد فى القرآن الكريم فى نحو قوله تعالى : « قالوا هذا عارض ممطرنا » (الاحقاف آية ٢٤) وقوله تعالى : « تريدون عرض الدنيا (الانفال آية ٦٧) » فسمى المسال عرضا ، لأنه الى انقضاء وزوال ومن هنا سميت الاعراض أعراضا ، لأنها لا لبث لها . (انظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ٢ ، ص ٥٧) وهذا يدل على أن المتكلمين وهم فى مواجهة الفلسفة اليونانية كانوا متسلحين بسلاح العقيدة .

فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليحققوا مقاصدهم فيتمكنوا من ابطالها
وهلم جرا الى أن أدرجوا فيه (أى فى علم الكلام) معظم الطبيعيات
والالهيات وخاضوا فى الرياضيات حتى لا يتميز (أى علم الكلام عن
الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات (١٦٧) .

كان طبيعيا ان يختلف علماء الكلام مع الفلسفة الوافدة ،
منذ بداية دخولها الى العالم الاسلامى ، ذلك لأنهم أدركوا ان
فيها ما يضاد العقائد ولذلك نراهم يقدمون كثيرا من أوجه النقد لها
على أساس دينى .

فلقد كتب النظام المعتزلى فى نقد أرسطو ، حيث أورد ابن المرتضى
ان جعفر بن يحيى البرمكى ذكر أرسطو فقال النظام : قد نقضت عليه
كتابه ، فقال جعفر : كيف وأنت لا تحسن أن تقرأه فقال : ايما أحب
اليك ، أن أقرأه من أوله الى آخره أم من آخره الى أوله ؟ ثم اندفع
يذكر شيئا فشيئا وينقضى عليه فتعجب منه جعفر (١٦٨) .

والمعتزلة بوجه عام كانوا حذرين أشد الحذر من الفلسفة الوافدة
فيحكى ابن المرتضى عن أبى الحسين البصرى ، كان للبهاشمة (اتباع
أبى هاشم الجبائى) عنه (أى عن أبى الحسين البصرى) نفرة لأمرين
احدهما : أنه دنس نفسه بشيء من الفلسفة وعلوم الأوائل (١٦٩) .
ويرد القاضى عبد الجبار على نظرية الصدور الأفلوطنية بقوله :

(١٦٧) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسقية ص ١٧ ،
انظر الدكتور أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٢٥ .

(١٦٨) ابن المرتضى : المنية والأمل فى شرح الملل والنحل تصحيح توما
ارنولد دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣١٦ هـ ، ص ٢٩ .

(١٦٩) نفس المصدر : ص ٩٦ .

« ان القول بالنفس أو العقل اشارة الى ما لا يعقل ، لأن الفعل في الشاهد يدل على فاعل مختار ، حتى صار كالحقيقة فيه فلا يتغير شاهداً وغائباً ولو أنهم أرادوا الفاعل المختار فلا مشاحة بيتا وبينهم الا في العبارة والمرجع فيها الى أرباب أهل اللسان وأهل اللغة ومعلوم انهم لا يسمون الفاعل نفسا ولا فعلا ولا علة » (١٧٠) .

وهكذا يهاجم القاضي عبد الجبار نظرية الصدور الأفلوطنية ومن تابعها من فلاسفة الاسلام ، فهو ينفى فكرة التوسط في الخلق بين الله والعالم ، فالله يخلق بلا واسطة .

كما كتب الشهرستاني كتابه المعروف « مصارعة الفلاسفة » يهاجم فيه الفلسفة الوافدة ومن اقتفى أثرها من مفكري الاسلام ويخص بالذكر ابن سينا (١٧١) .

(١٧٠) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ١٢١ — ١٢٢

(١٧١) الشهرستاني : مصارعة الفلاسفة بتحقيق دكتورة سهر محمد مختار ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، وقد قام نصير الدين الطوسي ، بالرد على كتاب الشهرستاني مصارعة الفلاسفة بكتاب سماه « مصارعة المصارع » وقد قام الشهرستاني بالرد على ابن سينا في سبع مسائل هي :

- (١) حصر أقسام الوجود .
- (٢) وجود واجب الوجود .
- (٣) توحيد واجب الوجود .
- (٤) علم واجب الوجود .
- (٥) حدوث المسالم .
- (٦) حصر المبادئ .
- (٧) مسائل مشككة وشكوك عويصة .

وعلى أن أشهر رد على الفلاسفة هو رد الامام الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » (١٧٢) ذلك الكتاب الذي مهد له بكتابة « مقاصد الفلاسفة » (١٧٣) ولقد ذاعت وانتشرت شهرة كتاب « التهافت » في أن صاحبة قصد به هدم الفلسفة وتؤكد هذا الزعم بما انتهت اليه حياة الغزالي نفسه من تعويل على الذوق ورفض للعقل في مجال المعرفة ورفض العقل هو رفض الفلسفة (١٧٤) .

(١٧٢) الغزالي : تهافت الفلاسفة بتحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .

(١٧٣) الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .

(١٧٤) لكن هذا الزعم خاطيء من وجوه كثيرة : فالغزالي نفسه يصرح في كتابه التهافت أن مقصوده هدم المذاهب الفلسفية عن طريق اظهار ما فيها من تناقض وتلبيس وبيان ما اشتملت عليه أدلتهم من قصور وفساد ، فهو موقف قائم على التشكيك والنقد ، وهو عمل فلسفى له قيمته ، فبعض الفلاسفة يذهب الى القول بان وظيفة الفلسفة لا تقوم في وضع الحلول للمشاكل بل تقوم في تنفيذ الحلول الموضوعة للمشاكل (الدكتور توفيق الطويل : أسس الفلسفة دار النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة السادسة ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٦) فلا يجب أن ينظر الى الأعمال النقدية على أنها أعمال سلبية وانها هي تساعد على بناء وتشبيد من نوع آخر ، فاذا كان هدف كتاب « التهافت » هو اظهار العقل بمظهر العاجز عن اقتناص الحقائق الالهية فانه يتخذ من العقل مطية للوصول الى هذه القاية ، فعملية كله في « كتاب التهافت » يمكن أن نلخصه بأنه محاولة عقلية لاثبات قصور العقل في ميدان الالهيات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى هو شهادة عقلية بان للعقل حدا يجب الوقوف عنده ونصوص الكتاب خير شاهد على هذا فهو يقوم على استعراض مناهج الفلاسفة وادلتهم في المسائل التي احصاها عليهم ، ثم يستخدم العقل وحده للكشف عن قصورها وعجزها فهو عمل داخل في صميم الفلسفة بمعنى آخر

وعلى نهج الغزالي سار الذين حاربوا الفلسفة ، ودعوا الى اضهاد
أهلها وساعد هذا كله على ركود الفلسفة فى الشرق الاسلامى ،
بل لعل أثره امتد الى الغرب الاسلامى حتى كانت محنة ابن رشد
واحراق كتبه ، واصدار منشور بتحريم الاستغفال بالفلسفة ،
بل لقد بالغ بعض المتأخرين من رجال الدين منذ القرن السابع للهجرة
فى التنفير من الفلسفة وأهلها حتى أصدر ابن الصلاح الشهزورى
(عام ٦٤٣ هـ) فتوى دينية يحرم فيها الاستغفال بالفلسفة والمنطق
تعلما وتعلما ومضى ابن تيمية (ت ٧٢٩ هـ) وتلميذه ابن القيم
(ت ٧٥١ هـ) وغيرهما من الحنابلة المزمتمين فى معاداة الفلاسفة (١٧٥) .

هو عمل فلسفى مجاله البحث عن طاقة العقل ، وعمل كهذا العمل لا يمكن
بحال ان يكون بعيدا عن مجال الفلسفة فبوسعنا ان نقول ان الغزالي قد
تفلسف فى محاولته نقد الفلاسفة وانه استخدم العقل فى اظهار تناقضهم
وتهاقت حججهم فالعقل عند الغزالي اذن ، لا سبيل الى التشكيك فى قيمته
وهن قال بالعقل فهو من زاوية اخرى يقول بالفلسفة (انظر : الدكتور
يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، دار الثقافة
للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ م ص ٢٤١) . الا ان هذه المحاولة فى الهجوم
على الفلاسفة من الغزالي أدت بلا شك الى تحطيم تلك الهالة التى رسمها
الفلاسفة المشاؤون ، حول أنفسهم باعتبارهم حملة العلم اليونانى وقد مهد
الغزالي السبيل للهجوم على الفلسفة المشائية وكان له الفضل فى البحث
عن فكر اسلامى اصيل فى مواجهة المشائية الاسلامية (نفس المصدر :
ص ٢٤٢) .

على ان الغزالي ميز بين العلوم الفلسفية التى تعارض أصلا من أصول
الدين ، كالرياضيات والمنطق ، وتلك التى احتوت على معظم أعاليط الفلاسفة ،
وهى العلوم الالهية .

(تهافتت الفلاسفة ، ص ٧٧ — ص ٧٨) .

(١٧٥) الدكتور توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة
مكتبة الآداب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٠ وما بعدها .

وهكذا وقف المتكلمون ممن ذكرنا - على سبيل المثال لا الحصر - من الفلسفة الوافدة ، موقف العداء ، والهجوم ، وذلك لمخالفتها للعقائد .

وقد أدى هذا الى عرض هذه الفلسفة الوافدة تمهيدا للرد عليها ، وقد تم أثناء ذلك ، هذا الاختلاط والامتزاج ، فبحق ما يقوله نيبيرج « من ان للعدو تأثير في تكوين الأفكار ليس بأقل من تأثير الحليف فيه ، حتى ان بعض الحنابلة قد شكوا أن أصحابه انقطعوا الى الرد على الملحدين انقطاعا أداهم أنفسهم الى الالصاد ١١ ، ففي عمل المدافعين أجمعين أشياء كثيرة لا بقاء لها وينبغي أن تزول بزوال شروطها ، وأن يضرب عليها ويؤتى بأحسن منها وأصوب » (١٧٦) .

وقد أدى خلط الفلسفة بعلم الكلام الى ضرورة التمييز بينهما ، حتى لا يذوب علم الكلام ضمن مباحث الفلسفة فنجد ابن خلدون يشير الى التمييز بين علم الكلام والفلسفة من ناحية : الموضوع والمنهج والغاية فيقول ابن خلدون : « واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن ، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ، ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد ، وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فتزول البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد واذا تأملت حال الفن في حدوثه ، وكيف تدرج

(١٧٦) نيبيرج : مقدمة تحقيقه لكتاب الخياط : الانتصار والرد على

ابن الراوندي ، ص ٥٩ - ص ٦٠ .

كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ،
ويستنهض الحجج والأدلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن
وانه لا يعدوه » (١٧٧) .

لا شك ان هناك خلافا واضحا بين علم الكلام والفلسفة اليونانية
الوافدة يستحيل معه هذا الخلط والامتزاج ، فالبون شاسع بينهما ،
غير ان الهوة تضيق بين علم الكلام ، والفلسفة كما هي عند فلاسفة
الاسلام ، وذلك لأنهم أضيفوا على الفلسفة الوافدة ، سمات دينية ،
وحرصوا كل الحرص على التوفيق بينهما وبين العقائد (١٧٨) .

(١٧٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٦ .

(١٧٨) في الحقيقة اننا لا ننكر تاثير فلاسفة الاسلام بالفلسفة
اليونانية ، وانهم عولوا عليها تعويلا كبيرا ، كما عولوا على عناصر
اجنبية اخرى ، لكن كان اظهرها الفلاسفة اليونانية ، غير انها لم تحاكى
هذه الفلسفة الوافدة محاكاة تامة — كما يزعم البعض — فلها جانبها
الخاص من الابتكار والابداع ، فلقد شاهوا بشرح التراث الوافد ، والتعليق
عليه ، وليس من شك في ان الشرح والتعليق ، يضيف جديدا يجعل النص
الأصلي سهلا ميسورا التداول ، ومن خلال شروحه وفهمه لهذه الفلسفة
الوافدة أدركوا ما فيها من آراء تخالف العقيدة ومشكلات تركت بدون حل
فأخذوا في سد الثغرات التي وجدوها في مذهب أرسطو وغيره من فلاسفة
اليونان كالفلوطين وافلوطين ونظرا لاجابهم بهذه الفلسفة راحوا يوفقون
بينها وبين الدين فبينوا للناس ان العقيدة اذا استقرت بضوء الحكمة
تمكنت من النفس ، وثبتت امام الخصوم ، ان الدين اذا تأخى مع الفلسفة
أصبح فلسفيا ، كما تصيح الفلسفة دينية ، فالفلسفة الاسلامية وليدة
البيئة التي نشأت فيها والظروف التي اجاطت بها ، وهي كما تبدو فلسفة
دينية روحية ، ومن ثم واجهت مشكلات اخرى تتعلق بالدين لا نجد لها نظيرا
عند اليونان .

(انظر : الدكتور ابراهيم مذكور : في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق ،

ج ١ ، ص ١٩ — ص ٢٠) .

ومع ذلك غثمة فروق بين علم الكلام ، والفلسفة كما هي عند فلاسفة الاسلام ، ادرجها ابن خلدون في قوله السابق من هذه الفروق فروق تتعلق بالموضوع والمنهج والغايه .
اما من ناحية الموضوع : فنجد ان موضوعات علم الكلام تتعلق بالأصول الدينية : كالبحث في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله
وفي أحكام الشريعة من : بعثة الرسل ونصب الأئمة والتكليف والثواب والعقاب يتناولها بحسب ما وزدت في الشريعة أمرا مقررًا لا مدخل للشك فيه مما ولا أن يؤيدها بالأدلة العقلية ، حتى يكون الايمان بها أشد وثوقا ، وأكثر توكيدا لاجتماع دليلي النقل والعقل معا ، فضلا عن ان الدليل العقلي هو السبيل الى اثبات هذه الأصول على المخالفين من أصحاب الأديان المخالفة .

اما فلاسفة الاسلام ، فان أبحاثهم تدور حول : الوجود والمعرفة والقيم ، وما تشمله هذه المباحث الرئيسية من البحث في الله ، والعالم ، والانسان ، وتبحث في مبادئ الوجود وعلة ، وفي وسائل المعرفة ، وطبيعتها ، وأدواتها ، ومشكلة اليقين ، وفي القيم : من الحق ، والخير ، والجمال ، ويتوخى فلاسفة الاسلام أن يكون بحثهم الفلسفي من منظور ديني عقائدي بمعنى انهم يحرصون أن يكون بحثهم يؤيد الدين ويؤكد .

ومن هنا يقرر ابن خلدون حذف موضوع الطبيعيات والالهيات من نطاق علم الكلام فيقول : « واما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطالان فليس موضوع علم الكلام ، ولا من جنس أنظار المتكلمين ، فاعلم ذلك لتمييز به بين الفنين (يقصد علم الكلام والفلسفة) ، فانهما يختلفان عند المتأخرين في الوضع والتأليف ، والحق مغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسائل » (١٧٩) .

(١٧٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ ، والدكتور أبو الوفا التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٢٦ .

وهكذا يختلف موضوع علم الكلام عن الفلسفة فيما يرى ابن خلدون ، وان كنا نرى ان الموضوعات فى كليهما ذات دلالات دينية عميقة ، وغايتها غاية دينية .

أما من ناحية المنهج :

ف نجد فلاسفة الاسلام يغالون فى استخدام العقل بدرجة تفوق استخدام المتكلمين ، فحرروا العقل من كل قيد ، وأخذوا بأحكامه ، ورفضوا ما عداها ، ونظروا فى النصوص الدينية فان وجدوها على وفاق معهم قبلوها ، وان وجودها على خلاف ما انتهوا اليه صرفوها عن ظاهرها ، وحملوها على المعنى الذى انتهى اليه بحثهم .

حقيقة ان المتكلمين قد استخدموا العقل ، وقد استخدمه المعتزلة بدرجة تفوق أقرانهم من المتكلمين ، محاولين وضع منهج عقلى متزن فى خطوطه العامة واستخدموا هذا المنهج استخداما هادئا - الا فى حالات قليلة ، وأسرفوا وتطرفوا .

ومهما يكن من أمر استخدام العقل عند المعتزلة ، فهو كان فى مدار فهم العقيدة ، واذا كانوا قد لجأوا الى التأويل فذلك التأويل الذى يؤدى الى هذه الغاية الدينية الصرفة منطلقين أساسا من النصوص الدينية ، التى هى عندهم محل ثقة و يقين ، وهم فى هذا لا يقارنون بفلاسفة الاسلام ، لأنهم فى كل الأحوال ينطلقون من الدين ونصوصه محاولين تعقلها ، حتى يكون الايمان بها راسخا فيردون شبهات

الخصوم ، باقامة الحجة عليهم فغايتهم حفظ قواعد الدين . ويمكن القول ان هذا خلاف واضح بين منهج المتكلمين ومنهج فلاسفة الاسلام وهو فى درجة استخدامهم للعقل فى مجال القضايا الدينية .

ولقد عبر طائش كبرى زاده عن ذلك بقوله : « المتكلم يستند الى ما جاء به الدين ، من اعتقادات ، ثم يلتزم الحجج العقلية التي تدعّمه ، أما الفيلسوف فيبحث بعقله ، ويرى حقا ما توصل اليه من دليل ، المتكلم يعتقد ثم يستدل ، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد » (١٨٠) .

ويقول ابن خلدون : انه اذا هدانا الشارع الى مدرك فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونثق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ، ولو عارضه ، بل نعتمد ما أمرنا به اعتقادا ، ونسكت عما لم نفهم من ذلك ، نفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه (١٨١) .

على ان هناك فرقا ثالثا يتعلق بالمادة : فمادة فلاسفة الاسلام — في معظمها — مادة استمدوها من الفلسفة اليونانية التي عولوا عليها تعويلا كبيرا (١٨٢) .

(١٨٠) طائش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(١٨١) الدكتور ابو الوفا التفتازاني : علم الكلام وتعض مشكلاته ص ٢٥ — ص ٢٦ .

(١٨٢) يمكن القول بأن فلاسفة الاسلام وان كانوا قد استمدوا ، كثيرا من أسس مذاهبهم من الفلسفة اليونانية الا ان هذا لا يعنى نفى صفتي الأصالة والابتكار اما فيها يتعلق بالأصالة فقد لعبت العقائد والنصوص الدينية دورا كبيرا في محتوى مذاهبهم ، واما عن الابتكار فلتد كان لهذه المذاهب مشكلاتها الخاصة بهم ، ولهم آراء مبتكرة لم تكن لدى فلاسفة اليونان ، وحتى ما قاله استاذنا الدكتور مذكور من أن تأثرها بالفلسفة اليونانية لا يقلل من قيمتها ، بل يعد مظهرا من مظاهر عظمتها ، فهكذا تيارات الفكر تتلاقى ، ويأخذ اللاحق عن السابق ، وهكذا تتعاقب الثقافات ويأخذ بعضها عن بعض ، فالفلسفة اليونانية — ذاتها — لم يبق شك اليوم انها أخذت من حضارات ، الشرق القديم ، بما خلفته من تقدم علمي ،

أما مادة المتكلمين ، فمصدرهم الأول ، القرآن الكريم كتاب الاسلام
الأول ، ثم الحديث الشريف ، والنقاش العقلي الذاتي حولهما ،
ولا يعولون على المصادر الأجنبية والدخيلة الا قليلا ، وفي مواضع
لا تتعارض مع العقيدة ، بل تكون وسيلة للدفاع عنها . وهذا يدل دلالة
قاطعة على أصالة علم الكلام والتي لا يينازع فيها .

هذه جملة من الفروق ذكرتها بشكل عام ، وهي لا تمثل
الا تعميمات استقرائية ، وقد لا تكون حاضرة للمذاهب الكلامية
والفلسفية ، فكل استقراء ، ليس حاصرا ، وانما هي فروق عامة
تعتمد على منطق الترجيح ، وهي فروق بين علم الكلام وفلسفة
مؤمنة ، هي الفلسفة الاسلامية ، وبقينا أنها ستكون أعمق لو قارنا
علم الكلام الاسلامي والفلسفة الخالصة ، كما نجدها عند الحديثين
والمعاصرين ، أو عند فلاسفة اليونان .

وعلى الرغم من هذه الفروق بين علم الكلام الاسلامي وبين
الفلسفة كما هي عند فلاسفة الاسلام ، الا ان وجهة نظر المحدثين
قد مالوا الى اعتبار علم الكلام جزءا من مفهوم الفلسفة الاسلامية
بالمعنى العام ، ومما يعطى وجه النظر هذه قوة طبيعة الفلسفة
الاسلامية ذاتها ، فهي فلسفة دينية مؤمنة ، أكثر من كونها فلسفة
بالمعنى الخاص ، أي فلسفة عقلية خالصة ، وذلك لتأثرها بالدين
الاسلامي الى أبعد الحدود ، صاغ فلاسفتها مذاهبهم الفلسفية
صياغة تتلاءم مع الاطار الديني ، لهذا يندر أن نجد بينهم فيلسوفا

وما أنتجته من فكر ديني ، والفلسفة الاسلامية التي تأثرت بالفلسفة
اليونانية والفلسفة الشرقية ، أثرت بدورها في الثقافات الأوروبية ،
حيث امتد أثرها الى النهضة الأوروبية (انظر : في الفلسفة الاسلامية
منهج وتطبيق ج ٢ ، ص ١٥١ وما بعدها) .

ماديا ، أو خارجا بشكل أو آخر عن حدود هذا الاطار الديني (١٨٣) .

وهكذا يمكن القول بان علم الكلام الاسلامى يمكن اعتباره جزءا من الفلسفة الاسلامية ، التى تشمله ، كما تشمل فروعاً أخرى ، بل انه أكثر أجزائها أصالة وابداعا وطرافة .

هذا عن صلة علم الكلام بالفلسفة بالمعنى العام والفلسفة عند فلاسفة الاسلام ، ويتبين لنا من كل ما تقدم ، ان هناك عوامل خارجية أدت الى تطور موضوع علم الكلام ، وهذا لا يقدر فى أصلته الاسلامية .



(١٨٣) حسام الالوسى : نشأة الفكر الاسلامى فى بواكيره (الكلايمية)
مقالة بمجلة عالم الفكر ، المجلد السادس ، العدد الثانى ١٩٧٥ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

المراجع

أولا - المراجع العربية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - العهد القديم .
- ٣ - الأناجيل الأربعة .
- ٤ - صحيح مسلم .
- ٥ - صحيح البخارى .
- ٦ - الدكتور ابراهيم بدكور : فى الفلسفة الاسلاميه منهج وتطبيق دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، الجزء الأول .
- ٧ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ليدن ، ١٢٨٣ هـ - ١٨٨٦ - ١٨٧٦ م .
- ٨ - ابن الجوزى : مناقب أحمد بن حنبل ، طبعة القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- ٩ - ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، دار عمر بن الخطاب ، الاسكندرية بدون تاريخ .
- ١٠ - ابن حجر : لسان الميزان ، طبعة الهند ، ١٣٢٩ هـ .
- ١١ - ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل راجعه وعلق عليه ، محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٢ - ابن رشد : مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .
- ١٣ - ابن القيم : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، المكتبة القيية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٤ - ابن القيم : اغائة اللهفان من مكائد الشيطان ، مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
- ١٥ - ابن المرتضى : المنية والأمل فى شرح الملل والنحل . بتصحيح توما أرئلد ، دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣١٦ هـ - ١٩٠٢ م .

- ١٦ — ابن النديم : الفهرست ، طبعة فلوجل ، بيروت ، ١٩٦٤ م
وطبعة القاهرة ، ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م .
- ١٧ — ابن تيمية : الأكليل فى المنتشابه والتأويل مكتبة أنصار السنة
المحمدية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٢٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .
- ١٨ — ابن تيمية : النبوات القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .
- ١٩ — ابن تيمية : بغية المرئاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة .
ويدمى أيضا بالسبعينية ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ — ١٩١١ م .
- ٢٠ — ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت .
- ٢١ — ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء ، وعلى هامشة كتاب
الملل والنحل للشمسستانى ، دار المعرفة ، وبيروت ، مصوره عن النسخة ،
الأصلية ، بدون تاريخ .
- ٢٢ — ابن حزم : الأحكام فى أصول الأحكام ، تصحيح أحمد محمود
شماكر ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٥ — ١٣٤٨ هـ .
- ٢٣ — ابن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ، بتحقيق الدكتور
على سامى النشار ، وعهار الطالبى ، ضمن كتاب عقائد السلف ، منشأة
المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٠ م .
- ٢٤ — ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة
الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .
- ٢٥ — ابن عساکر : تبیین کذب المفترى ، دار الكتاب العربى بيروت
الطبعة الخامسة ، ١٣٩٩ هـ .
- ٢٦ — ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، مكتبة المنشىء ، القاهرة
عن طبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٦ هـ .
- ٢٧ — ابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة
مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- ٢٨ — ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ،
القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ٢٩ — ابن مقوية : التذكرة فى أحكام الجواهر والاعراض ، تحقيق
وتقديم دكتور سامى نصر ، ودكتور فيصل عون ، دار الثقافة للطباعة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

- ٣٠ - ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٣١ - أبو حنيفة : رسالة الى البتلى ، نشر زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٣٢ - أبو حنيفة : العالم والمتعلم ، نشر زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٣٣ - أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، نشرة أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- ٣٤ - أبو حيان التوحيدى : مثالب الوزيرين ، أخلاق الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، تحقيق دكتور ابراهيم الكيلانى ، دمشق ١٩٦١ م .
- ٣٥ - أبو حيان التوحيدى : ثمرات العلوم ، مع كتاب الادب والانشاء فى الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ٣٦ - أبو حيان التوحيدى : المقايسات ، تحقيق ونشر ، حسنين السندوبى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٢٩ م .
- ٣٧ - أبو حيان التوحيدى : الاشارات الالهية ، تحقيق ونشر الدكتور عهد الرحمن بدوى ، مطبعة جامعة مؤاد الاول ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، الجزء الاول .
- ٣٨ - أبو حيان التوحيدى : الهوامل والشوامل (لمسكوية) تحقيق احمد أمين ، والسيد أحمد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ٣٩ - الدكتور أبو ريذة : الايمان فى عصر العلم ، مجلة عالم الفكر الكويت ، المجلد الاول ، العدد الاول ، ١٩٧٠ م .
- ٤٠ - أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ٤١ - أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام احمد بن حنبل بتحقيق الدكتور مؤاد عبد المنعم ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .
- ٤٢ - أبو القاسم البلخى : باب ذكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، اكتشاف المخطوطة وحققتها مؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ م .
- ٤٣ - أبو المظفر الأسفراينى : التبصير فى الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ م .

- ٤٤ — الشيخ أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى
القاهرة .
- ٤٥ — الشيخ أبو زهرة : الامام أبو حنيفة ، دار الفكر العربى ،
القاهرة .
- ٤٦ — الشيخ أبو زهرة : أحمد بن حنبل ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
- ٤٧ — الدكتور أبو الوفا الفينى التفتازانى : الانسان والكون فى
الاسلام دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٤٨ — الدكتور أبو الوفا الفينى التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٤٩ — الدكتور أبو الوفا الفينى التفتازانى : ابن سبىن وفلسفته
الصوفية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م .
- ٥٠ — أحمد أمين : ضحى الاسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ
- ٥١ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الأول ، اليهودية
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ م .
- ٥٢ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الثانى ، المسيحية
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .
- ٥٣ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الرابع ، أديان
الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الخامسة ،
١٩٧٩ م .
- ٥٤ — الدكتور أحمد صببى : فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق
الاسلامية فى أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية
الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢ م الجزء الأول .
- ٥٥ — أرسطو : كتاب النفس ، نقله الى العربية الدكتور أحمد فؤاد
الإهوانى ، وراجعه على الاصل اليونانى الاب جورج قنوانى ، عيسى البابى
الطبلى ، الطبعة الثانية ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م وله ترجمة أخرى قديمة
قام بها اسحق بن حنين ، وقام بتحقيقتها ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوى ،
مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ م .
- ٥٦ — أمين الخولى : مالك بن أنس ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ .

- ٥٧ — الأشعري : استحيسان الخوض فى علم الكلام ، نشرة يوسف مكارثى على ذيل كتاب « اللمع » ، بيروت ، ١٩٥٣ م عن نشرة حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٤٤ هـ ، وأيضا نشرة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ضمن كتاب « مقالات الاسلاميين » ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م الجزء الأول .
- ٥٨ — الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .
- ٥٩ — الأشعري : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ، نشرة الدكتور غرابية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .
- ٦٠ — الأيجى : المواقف ، اسطنبول ، ١٢٨٦ هـ .
- ٦١ — الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، ضبطة وقدم له وعلق عليه ، محمود الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريذة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٦٢ — الباقلانى : رسالة الحرة ، نشرها الكوثرى تحت اسم الانصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ .
- ٦٣ — الباقلانى : اعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ م .
- ٦٤ — البغدادى : الفرق بين الفرق ، دار الأفاق الحديثة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٦٥ — البغدادى : أصول الدين ، طبع مدرسة الالهيات ، بدار الفنون التركية ، استانبول ، ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م .
- ٦٦ — البزدوى : أصول الفقه ، دار السعادة ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .
- ٦٧ — البيضاوى : طوابع الأنوار ، طبعة القاهرة ، المطبعة الخيرية ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م .
- ٦٨ — البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة صحح عن النسخة التديبية المحفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس دار المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ — ١٩٥٨ م .
- ٦٩ — التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، كلكتا ، ٨٦٢ هـ .

- ٧٠ - الجاحظ : رسالة في الرد على النصارى ، ضمن ثلاث رسائل للجاحظ ، نشرها فتنسكل ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٢ هـ .
- ٧١ - الجاحظ : الحيوان ، بتحقيق عبد السلام هارون ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٤ م ، الجزء الأول ، والثاني ، والرابع .
- ٧٢ - الجرجاني : شرح المواظف ، بولاق ، مصر ، ١٢٦٦ هـ .
- ٧٣ - الجرجاني : التعريفات ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ .
- ٧٤ - الجويني : الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ٧٥ - الجويني : لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٧٦ - الجويني : الشاهل في أصول الدين ، القاهرة ، ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م
- ٧٧ - جولد زيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى ، وآخرون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ .
- ٧٨ - الحاكم الجشسي : شرح عيون المسائل : مخطوط بدار الكتب المصرية ، مصور عن مكتبة صنعاء ، ميكرو فيلم ٣٠٦ .
- ٧٩ - الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، الطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ
- ٨٠ - الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، وما قصد به من الطعن على المسلمين ، بتحقيق وتعليق وتقديم الدكتور نيبج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م .
- ٨١ - الرازي (فخر الدين) : مناقب الشافعي ، طبعة مصر ، بدون تاريخ .
- ٨٢ - الرازي (فخر الدين) : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٨ هـ .

- ٨٣ — الرمخشري : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٣ هـ .
- ٨٤ — الزمخشري : أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ٨٥ — الدكتور سامى نصر : نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين (الفرق الكلامية) مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ٨٦ — سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ، طبعة الأستانة ١٣٢٦ هـ ، على متن ، العقائد لنجم الدين النسفى ، وبهامشة حاشية الكستلى ، ويليهام حاشية الخيالى وطبعة القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .
- ٨٧ — الشريف المرتضى : امالى المرتضى ، طبعة الخانجى القاهرة الطبعة الاولى ، ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م .
- ٨٨ — الشهرستانى : الملل والنحل ، على هامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية بالأوفست ، ١٣٩٥ — ١٩٧٥ م .
- ٨٩ — الشهرستانى : نهاية الأقدام فى علم الكلام ، حرره وصححه الفرد جريم ، تدون تاريخ .
- ٩٠ — الشهرستانى : مصارعة الفلاسفة ، بتحقيق دكتورة سهير محمد مختار ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ٩١ — الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، مطبعة الحسينية ، القاهرة الطبعة الاولى .
- ٩٢ — الدكتور عبد الله شحاتة : منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٩٣ — الغزالى : مقاصد الفلاسفة ، بتحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .
- ٩٤ — الغزالى : تهافت الفلاسفة ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .
- ٩٥ — الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، حقيقته وخرجه احاديثه ، الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٩٧٢ م .

٩٦ — الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، نشرة
الكردي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

٩٧ — الغزالي : المنقذ من الضلال ، بتحقيق الدكتور عبد الطليم محمود
ضمن كتاب قضية التصرف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م وايضا طبعة
مكتبة صبيح ، ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

٩٨ — الغزالي : فضائح الباطنية ، حثقه وقدم له ، الدكتور عبد الرحمن
بدوى ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٦٤ م .

٩٩ — الغزالي : الجواهر الفوالى فى رسائل الغزالي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ

١٠٠ — الغزالي : الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل ، اكتشفه
اليسوعى ، ونشر فى باريس ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه
المستشرق الفرنسى ماسينيون ، وقام بتصحيحه الآب ، روبين شديشان
اليسوعى ، ونشر فى باريس ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه
وترجمة مقدماته والتعليق عليها وعلى بعض النصوص عبد العزيز عبد الحق ،
مجمع البحوث الاسلامية ، الازهر ، القاهرة ١٣٩٣ هـ .

١٠١ — الغزالي : احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .

١٠٢ — الفارابى : احصاء العلوم ، بتحقيق الدكتور عثمان امين
القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ م الطبعة الثانية ١٩٤٩ م .

١٠٣ — القاضى عبد الجبار ، المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ، الجزء
الخامس الفرق غير الاسلامية بتحقيق محمود محمد الخضيرى ومراجعة الدكتور
ابراهيم مدكور ، واشراف الدكتور طه حسين ، المؤسسة المصرية العلمية
للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،
١٩٦٥ م .

١٠٤ — القاضى عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق الدكتور
عبد الكريم عثمان ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

١٠٥ — القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، حثقه وقدم له
الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٥ م .

١٠٦ — القاضى عبد الجبار ، المحيط بالتكليف فى العقائد ، جمع
الحسن بن منويه ، تحقيق عمر السيد عزمى ، ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد
الاهوانى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٥ م .

- ١٠٧ - القاضي عبد الجبار : شذيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .
- ١٠٨ - القاضي عبد الجبار : مثنى القرآن ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ١٠٩ - القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة وما يبينهم لسائر المخالفين ، تحقيق فؤاد السيد ، تونس ، ١٩٧٤ م .
- ١١٠ - القاضي عبد الجبار : المختصر فى أصول الدين ، تحقيق الدكتور محمد عمارة ، ضمن رسائل العدل والتوحيد ، الجزء الاول ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ١١ - القرطبي : تفسير القرطبي ، دار الكتاب العرب ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ .
- ١١٢ - الكندي : رسائل الكندي الفلسفية ، بتحقيق وتقديم الدكتور أبو ريذة دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ ، الجزء الاول .
- ١١٣ - السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الطو ، ومحمد محمد الطناحى ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٢ .
- ١١٤ - الشعرانى : اليواقيت والجواهر ، مطبعة مصر ، ١٣٠٧ هـ .
- ١١٥ - الماتريدى : كتاب التوحيد ، بتحقيق الدكتور فتح الله خليف ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ١١٦ - الماتريدى : شرح الفقه الاكبر ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٢١ هـ .
- ١١٧ - المسعودى : مروج الذهب ، بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد القاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ١١٨ - المقرئى : الخطط ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ج ٤ .
- ١١٩ - النسفى : العتائد النسفية ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ .
- ١٢٠ - النيسابورى : فى التوحيد ، ديوان الاصول ، بتحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريذة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ١٢١ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .
- ١٢٢ - اوتوبريتزل : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الاولين فى الاسلام ، بحث فى مسألة العلاقة بين علم الكلام الاول وبين الفلسفة اليونانية نشر بمجلة الاسلام الالمانية ، المجلد التاسع عشر ١٩٣١ م وترجمه الى

العربية الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريذة ضمن كتاب مذهب الذرة عند
المسلمين لبينس .

١٢٣ — اوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة
الدكتور وهيب كامل ، ومراجعة زكى على ، النهضة المصرية ١٩٦٢ م .

١٢٤ — بكر : تراث الاوائل فى الشرق والغرب ، ضمن مجموعة مقالات
ترجمها ، وعلق عليها الدكتور عبد الرحمن بدوى ، جمعها تحت عنوان التراث

اليونانى فى الحضارة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .

١٢٥ — بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين ، وعلاقته بمذهب اليونان
والهنود ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازى ترجمة الدكتور محمد عبد
الهادى ابو ريذة ، النهضة المصرية القاهرة ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

١٢٦ — الدكتور توفيق الطويل : تمصنة الصراع بين الدين والفلسفة
مكتبة الاداب القاهرة ، بدون تاريخ .

١٢٧ — الدكتور جلال موسى : منهج البحث العلمى عند العرب ، فى
مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت الطبعة

الاولى ، ١٩٧٣ م .

١٢٨ — الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، دار الكتاب
اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧ م .

١٢٩ — جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ، ١٩٢٥ م .

١٣٠ — جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة ، محمد
يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٣١ — حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، نبى قدامى الايرانيين
حياته وفلسفته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣٢ — حسام الالوسى : نشأة الفكر الاسلامى فى بواكيره (الكلامية) ،
مثالة بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد السادس ، العدد الثانى ١٩٧٥ م .

١٣٣ — الدكتور حسن حنفى : دراسات اسلامية ، دار التنوير للطباعة
والنشر ، بيروت ، الطبعة العربية الاولى ، ١٩٨٢ م .

١٣٤ — حنا الفاخورى ، وخلييل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، دار
المعارف بيروت ، ١٩٥٧ م .

- ١٣٥ — دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمه الى العربية
الدكتور ، حمد عبد الهادى ابو ريده مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٨ م .
- ١٣٦ — رحمة الله الهندى : اظهار الحق ، الترجمة العربية ، طبعة
مصر ١٣١٧ هـ .
- ١٣٧ — زهدى جبار الله : المعتزلة ، القاهرة ، ١٩٤٧م — ١٣٦٦ هـ .
- ١٣٨ — الزواوى : مناقب الامام مالك ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .
- ٣٣٩ — طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة ، فى
موضوعات العلوم ، بتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور ، مطبعة
الاستقلال الكبرى ، دار الكتب الحديثة .
- ١٤٠ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : فى تاريخ الاحاد فى الاسلام
دراسات ألف بعضها ، وترجم بعضها ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ،
١٩٤٥ م .
- ١٤١ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ، دار العلم
للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ١٤٢ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى ، النهضة
المصرية القاهرة ، الطبعة الثالثة : ١٩٥٨ م .
- ١٤٣ — عبد العزيز عبد الحق : مقدمة تحقيقه لكتاب الرد الجليل
لالهية المسيح بصريح الانجيل ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .
- ١٤٤ — الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى
الاسلام دار المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٦ م .
- ١٤٥ — الدكتور على سامى النشار وآخرون : ديموقريطس ، فيلسوف
الذرة ، وأثره فى الفكر الاسلامى حتى عصورنا الحديثة ، الهيئة العامة
للكتاب ، الاسكندرية ، الطبعة الاولى ، بدون تاريخ .
- ١٤٦ — الدكتور على عبد الواحد وائى : الاسفار المقدسة ، دار نهضة
مصر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ١٤٧ — فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة
الاولى ١٣٠٨ هـ .
- ١٤٨ — الدكتورة فوقية حسنين محمود : مقالات فى اصالة الفكر المسلم
دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦ م .

- ١٤٩ — الدكتورة فوئية حسين محمود : مدخل إلى الفكر الاسلامى ،
 طبعة بالوفست ١٩٨٢ م .
- ١٥٠ — لويس جارديّة : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية
 ترجمه الى العربية ، الشيخ الدكتور صبحى الصالحى والآب الدكتور فريد
 جبر ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧ م .
- ١٥١ — الدكتور ماجد فخرى : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الترجمة
 العربية للدكتور كمال اليازجى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٥٢ — محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ،
 دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- ١٥٣ — الدكتور محمد صالح : عمرو بن عبّيد وآراؤه الكلامية نهضة
 الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ١٥٤ — الدكتور محمد صالح : خلق العالم عند المعتزلة . رسالة
 دكتوراه لم تنشر ، تحت اشراف الاستاذ الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى
- ١٥٥ — الدكتور محمد عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن
 رشد ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ م .
- ١٥٦ — الامام محمد عبده : رسالة التوحيد ، دار النصر للطباعة
 القاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٥٧ — الدكتور محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى « الفلسفة
 اليونانية » دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م .
- ١٥٨ — الدكتور محمد على أبو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى
 وابن خلدون ، مقال بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد التاسع العدد الاول
 ١٩٧٨ م .
- ١٥٩ — دكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، دار المعارف
 القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٨ م .
- ١٦٠ — دكتور محمود على حمادة : ابن حزم ومنهجه فى دراسة
 الاديان — دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ م .
- ١٦١ — الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية
 لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ م .
- ١٦٢ — مصطفى صادق الرافعى : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،
 القاهرة بدون تاريخ .

١٦٢ — الدكتور يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة
الاسلامية القاهرة ، ١٩٧٢ م .

١٦٤ — يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٤٦ م .

ثانياً — المراجع الاخرى :

165 — Burent : Greek Philosophy From Thales to Plato
London 1943.

166 — Encyclopedia Britannica, Vol. 5,

167 — Macdonald (D.) : Development of Muslim theology,
Juris Prudence and Consitutional theory. theory, London, 1927.

168 — Watt : Free will and Predestintion in Early Islam,
London. 1948.

169 — Weber : History of philosophy, New York, 1928

الفهرس

الصفحة

رقم	صفحة	مقدمة
٥٨ - ١١	١٥ - ١٤	١٧ - ١٤
٤٤ - ١٧	٥٨ - ٤٥	٩٦ - ٥٩
٥٨ - ٤٥	٩٦ - ٦١	٧٠ - ٦١
٩٦ - ٧١		

أولا : القرآن الكريم :

٧٦ - ٧٣	(أ) أثر الآيات المتشابهات فى نشأة علم الكلام
	(ب) احتواء القرآن الكريم على ذكر العقائد المجالفة
٧٨ - ٧٦	والرد عليها
٨٥ - ٧٨	(ج) منزلة العقل فى القرآن الكريم
٩٦ - ٨٥	(د) موضوعات علم الكلام وإشارة القرآن إليها
٨٨ - ٨٦	— الاستدلال على وجود الله تعالى
٩٥ - ٨٨	— ذات الله تعالى
٩٦ - ٩٥	— إشارة القرآن الى الانسان

ثانيا : السنة :

٩٩ - ٩٦	(أ) اثبات النفس لله تعالى
١٠٠ - ٩٩	(ب) ذكر الوجه لله تعالى
١٠١ - ١٠٠	(ج) ذكر العين لله تعالى

الصفحة

- (د) السمع والبصر لله تعالى ١٠١ -
 (هـ) ذكر اليد لله تعالى ١٠٢ - ١٠٣
 (و) ذكر الرجل والقدم لله تعالى ١٠٣ - ١٠٤
 (ز) أحاديث الرؤيا ١٠٤ - ١٠٥

ثالثا : مشكلات صدر الإسلام وأثرها في نشأة علم الكلام ١٠٦ - ١٠٨

الفصل الثالث : المصادر الأجنبية وآثرها في تطور علم الكلام ١٠٩ - ٢٦٦

تمهيد ١١١ - ١١٢

- أولا : أثر الديانات السماوية في تطور علم الكلام ١١٢ - ١٤٢
 ١ - أثر اليهودية في تطور علم الكلام ١١٣ - ١١٨
 ٢ - أثر المسيحية في تطور علم الكلام ١١٨ - ١٤٢

ثانيا : أثر الديانات والملل والاهواء والنحل في تطور علم الكلام ١٤٢ - ٢٢٣

- (أ) أثر الديانات الفارسية في تطور علم الكلام ١٤٢ - ١٥٦
 (ب) أثر الصابئة في تطور علم الكلام ١٥٦ - ١٦١
 (ج) أثر الديانات الهندية في تطور علم الكلام ١٦١ - ١٦٩
 ١ - علم الكلام والبراهمة ١٦١ - ١٦٤
 ٢ - علم الكلام والسمنية ١٦٤ - ١٦٩

ثالثا : أثر الفلسفة اليونانية في تطور علم الكلام ١٦٩ - ١٩١

المراجع ١٩٢ - ٢٠٥

الفهرس ٢٠٦ - ٢٠٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٨٠١

دار التوثيق والنشر

للطباعة والنشر الآلية
الذخيرة، ميدان الوصل، بجوار جامع الشفاء
ت ٩٥٥٣٠٤

